



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا للغة العربية
فرع الأدب والبلاغة والنقد

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

رسالة لنيل درجة الماجستير في قسم الأدب والبلاغة والنقد

مقدمة من الطالبة :

نوال براك الشمالي

الرقم الجامعي: ٤٢٥٨٠٠٩٥

إشراف الأستاذ الدكتور :

مصطفى عناية

العام الدراسي ١٤٣٢هـ

الإهداء .

إلى والدي الحبيب الذي أضاء في قلبي مشاعل الأمل ...
وإلى أغلى الناس على قلبي وروحي والدتي الحبيبة ، والتي تواصلت معي بدعواتها
وتبريكاتها
إلى أخوتي ...الذين زرعوا في حب العلم وتقديره.
إلى زوجي العزيز الذي ساندني حتى أوصل مسيرتي العلمية
إلى النور الذي أضاء حياتي وبدد ظلمتها ،،،إلى ولدي الحبيبين :أسامة وإياد
أهدي دراستي المتواضعة هذه

شكر وتقدير

عرفاناً مني بالفضل فإنني أتقدم بالشكر الجزيل، لأستاذي الدكتور الفاضل: محمد بن مريسي الحارثي على مساعدته لي فكان لي نعم المرشد في اختيار الموضوع وأشكر له حسن تعاونه وجميل رأيه ومشورته الكريمة، كما أتوجه بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان لأستاذي ومشرفي الدكتور الفاضل والتقدير: مصطفى بن حسين عناية، الذي أعطاني من وقته وجهده الكثير الكثير، والذي لولا الله ثم عونه وجميل صبره لما خرج هذا البحث على صورته هذه. لقد صبر وتحمل من أجلي الكثير، ولم يبخل علي بمعلومة أو مشورة أو رأي، بل يكفي أنني كنت بمثابة ابنة له، ولا أنسى أن أتقدم بجزيل شكري للأستاذ الدكتور محمد دغريري رئيس قسم الدراسات العليا للغة العربية الذي قدم لي يد العون مراراً وتكراراً، ولم يتوان أبداً في مساعدتي طوال سنوات البحث، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى بكل منسوبيها، لما قدموه لي من عون أثناء البحث. كما أتقدم بالشكر المسبق لكافة أعضاء لجنة المناقشة على تجشمهم عناء قراءة هذا البحث المتواضع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص

تحتوي هذه الرسالة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة تطرقت فيها بالدراسة للموضوعات التالية :-

- ١- المقدمة : تضمنتها أسباب اختيار الموضوع وعرضت فيها لموضوعات الرسالة .
- ٢- التمهيد:تحدثت فيه عن التعريف بالذات الفردية والجمعية وعلاقتها بمصادر الهوية، والتعريف بالآخر.
- ٣- فصل الذات: وافتتحته بمدخل أوضح فيه تعريف الذات من خلال معاجم اللغة ومؤلفات علم النفس والفلسفة، وأتبعته بأربعة مباحث، كان المبحث الأول عن الذات الشخصية وقسمتها إلى الذات غير الأكاديمية واشتملت على الذات الظاهرة والذات الاجتماعية وإلى الذات الأكاديمية واشتملت على الثقافة اللغوية والدينية والثقافة الحربية. أما المبحث الثاني فكان عن الذات الأسرية وعلاقته بسيف الدولة و إخوته وأبناء عمومته ووالدته. وفي المبحث الثالث تحدثت عن الذات القومية والتعريف بها وبمقوماتها وهي: اللغة والتاريخ والموروث العربي والوصف الشكلي والمظهر الخارجي كأساس للتمايز القومي.وأفردت المبحث الرابع للحديث عن الذات الأممية والتعريف بها وتوضيح أبرز أبعادها من البعد الشرعي والبعد الاجتماعي والبعد الحضاري والثقافي .
- ٤- فصل الآخر: وضمته ثلاثة مباحث تحدثت في المبحث الأول عن المكان والزمان والإنسان وعرضت في المبحث الثاني لصور الأسر والمبحث الثالث للمناظرات الرومية وأشارت فيه إلى تحليل وصفي وشكلي لنصي المناظرة الرومية .
- ٥- فصل تشكيل الروميات : وفيه أربعة مباحث ، المبحث الأول تحدثت فيه عن السمات المعنوية التي شكلت القصائد والمبحث الثاني المعجم الحربي وكشفت فيه عن براعة الشاعر في اختيار الألفاظ الحربية وتوظيفها في خدمة النص الشعري والشعوري وحللت في المبحث الثالث العبارة بين الإيحاء والتوصيل، أما المبحث الرابع درست فيه بناء القصيدة من خلال الروابط اللغوية والمنطقية والشعورية ودراسة موسيقية للروميات .
- ٦- الخاتمة : وضمته عدداً من النتائج التي خلصت إليها الدراسة .

Abstract

The self and the other in Abu Faras Al-Hamdani's Poems

This thesis includes introduction, preclusion, three chapters and conclusion in which I have discussed the following topics:

- 1- Introduction: I included the reasons for choosing the topic as well as reviewing the topic of the thesis.
- 2- Prelusion: I reviewed the definition of individual and collective self and its relationship with sources of identity and introducing the other.
- 3- Chapter of the self: I started it with approaches in which I explained the definition of the self according to linguistic dictionaries, references of psychology and philosophy. Then, four sections. The first section focused on personal self and divided it into non academic self which included visible self and social self, and the academic self which included linguistic, religious and military culture. The second section was concerned with familial self and his relation with Sief Al-Dawla, his brothers, cousins and his mother. In the third section I discussed the national self, its definition and characteristics which were represented in: language, history, Arabic heritage, morphology and external appearance as a base for national integration. The fourth section reviewed the national self, its definition and explained it's legal, social, cultural and civilization dimensions.
- 4- Chapter of the other: It included three sections. In the first section I discussed the place , time and human. In the second section I reviewed sample of families. In the third section , I reviewed Romyan debates , and I used descriptive and content analysis for the text of Romyan debate.
- 5- Chapter of Romyat formulation: It included for sections. The first section dealt with semantic features that shaped the poems. The second section was concerned with military dictionary which explored the talent of the poet in choosing the military terms and employing them in the poetic and sentimental texts. In the third section, I analyzed the statement between deduction and induction. in the fourth section , I studied the poem construction, I reviewed the poem's construction through linguistic , logical and sensational correlations as well as studying the lyric of Romeyat.
- 6- Conclusion: I included some findings reached by the study.

المقدمة

لقد كان دافعي الأول للقيام بهذه الدراسة هو إعجابي بشعر أبي فراس، من خلال رهافة الحس وصدق التجربة وسحره البياني الذي جمع بين أصالة القديم وعدوبة الجديد، فحمل بين طيات شعره الكثير من الأسى والمعاناة الذاتية والتي ترجمت غالبية روميته .

مما دفعني للدراسة في روميات أبي فراس كأمودج على الروح الشاعرية في الشعر العباسي ، كما أن أبا فراس وعلى وجه الخصوص لم يحظ بدراسة شاملة عن الآخر ومعطيات الزمان والمكان التي التفت روميته، وبرزت الذات فقط كدراسة لشعره؛ مما دفعني لتعميق البحث من خلالهما.. بالإضافة إلى تعزيز الرؤية والنظرة الشمولية والتي أسبغها المرشد الفاضل الدكتور: محمد بن مريسي الحارثي على موضوع الرسالة مما ساعدني كثيرا على استدراك النقص والخلل في جنبات الموضوع إما بحذف أو توسع في هيكله البحث .

وعليه فقد اعتمدت على الأسلوب التحليلي الوصفي كمنهج للدراسة ،فكنت أعيد قراءة النصوص قراءة واعية لاستنطاق الصور وإجاءتها وتحليلها وتفسيرها وتوجيهها نحو الظروف الذاتية الشعورية والأحوال النفسية والاجتماعية، والأحداث التاريخية .

وقد اعتمدت في دراستي على جانبين : جانب نظري تناولت فيه حياة أبي فراس من خلال روميته بالقدر الذي يخدم موضوع الدراسة، والعوامل التي أثرت في بناء شخصيته من عوامل ذات علاقة بالطبيعة الانسانية أو الطبيعة العلمية التاريخية والثقافية والدينية ثم استجلاء للذات من خلال مفهومي السيادة القومي والأُمِّي وقد جاء ذلك في الفصل الأول .

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه الآخر في الروميات من خلال استجلاء المكان والزمان والإنسان كمؤثر في التجربة الذاتية للشاعر وصور الأسر وارتسامها من خلال صور وأدوات وعلاقات الأسر والأسير والآسر، ثم تحليل موجز للمناظرات الرومية .

أما الجانب التطبيقي فقد جاء في الفصل الثالث، اعتمدت فيه على المنهج الأسلوب الذي يتخذ من اللغة بشكل عام والمفردة بشكل خاص كأداة لتشكيل المادة الفنية وإبراز قدرة الشاعر التوظيفية للمفردة الإيحائية والمباشرة ثم حصر للمفردات الحربية لرسم معجم حربي يقوم على حصر المفردات الحربية وتحليلها وظيفيا وشعوريا في جدول توضيحي ،كما أوضحنا قدرة الشاعر على إيصال التجربة للمتلقى من خلال روابط لغوية ومنطقية وشعورية تفنن الشاعر وتنوع في أساليبها ثم أوردنا دراسة

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

موسيقية لأبرز البحور والتي نظم عليها الشاعر مع حصر لعدد القصائد والمقطوعات والأبيات وتوضيح الموسيقى الداخلية التي ارتبطت بمعان عميقة .

أما مصادر الدراسة ومراجعتها فمتعددة وفي مقدمتها ديوان أبي فراس الحمداني رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه وديوان أبي فراس بتحقيق خليل الدويهي والعديد من المصادر والمراجع البلاغية والنقدية القديمة مثل الإيضاح والتلخيص للقزويني وبتيممة الدهر للثعالبي، والعمدة لابن رشيق وبعض الدراسات الأدبية والنفسية والاجتماعية كما اطلعت على الكثير من الدراسات الأسلوبية الحديثة والتي أفدت منها كثيراً .

وأخيراً :

أتقدم بشكري لله سبحانه وتعالى على فضله وعونه على إتمام البحث ثم أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور المرشد: محمد بن مريسي الحارثي لعونه أثناء اختيار الموضوع والشكر الغامر للأستاذ الدكتور المشرف : مصطفى عناية الذي أفادني كثيراً بتوجيهاته القيمة وخبراته الواسعة، والذي لم يدخر جهداً في سبيل مساعدتي على إنجاز رسالتي هذه. وأشكر كذلك رئيس قسم الدراسات العليا للغة العربية، لما قدمه من تسهيلات أثناء البحث وأشكر جميع منسوبي جامعة أم القرى ، ولا أنسى أن أتقدم بالشكر المسبق للجنة المناقشة على قراءتهم للبحث .

التمهيد

يعتبر أبو فراس من الشعراء العباسيين الذين اتسمت قصائدهم بالرقى والجمال، لاسيما الروميات التي امتزجت فيها بالحزن والأسى .

فقد نشأ بين أسرة حاكمة، تنسب لحمدان بن حمدون فهو : "الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي" (١) .

وفي أدباء العرب في الأعصر العباسية نجد نسبه : "الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، ينتمي بعمومته إلى تغلب، فربيعة الفرس، وبخؤولته إلى تميم فمضر الحمراء .

لقوله : لم تنفرق بنا خؤول في العز أخواننا تميم

وكنيته أبو فراس، ولد على الأرجح في الموصل، حيث كان أبوه وأسرته وقتل أبوه وعمر ثلاث سنوات... (٢) .

نشأ أبو فراس نشأة عربية صميمة؛ "ولم يكن أبو فراس الابن الوحيد لأبي العلاء سعيد ابن حمدان بل كان له إخوة، فذكر منهم الحسين وأبا الهيجاء، وكان له أختان تزوج إحداهما سيف الدولة، وتزوج الثانية أبو العشائر، بيد أن أبا فراس هو الابن الوحيد لأمه" (٣) .

عاش أبو فراس يتيم الأب، تولاه سيف الدولة بالرعاية والتعليم ونقله إلى بلاطه، ووفر له تربية حسنة وقربه منه: "وولاه على منبج وحران وهو لا يزال في السادسة عشرة من عمره" (٤) .

فكان فارساً وقائداً يذود عن ملك بني حمدان حتى أسره، فكانت مرحلة جديدة في حياته، وقد اختلف المؤرخون في حكاية أسره، فمن قال: "أسر مرتين المرة الأولى بمغارة الكحل سنة ثمان وأربعين

(١) الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمتعربين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ١٩٨٠م، ١٥٥/٢ .

(٢) أدباء العرب في الأعصر العباسية: حياتهم - آثارهم - نقد آثارهم - بطرس البستاني، دار مارون عبود، ١٩٧٩م، ص ٣٦٣ .

(٣) أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية، د. عبدالمجيد الحر، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص ٤٢ .

(٤) السابق، ص ٤٣ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وثلاثمائة، والمرة الثانية أسره الروم على منبج في شوال سنة إحدى وخمسين، جاءوا به إلى القسطنطينية، وأقام في الأسر أربع سنين" (١).

وقيل أن أسره امتد سبع سنين: "وكان تاريخ أسره سنة ٣٤٨هـ - ٩٥٩م، وتاريخ فدائه سنة ٣٥٥هـ - ٩٦٥م" (٢).

ويرى الثعالبي أنه أسر مرة واحدة: "لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب وأصابته عين الكمال، أسرته الروم في بعض وقائعها وهو جريح، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه وحمل مشحناً بخرشنة، ثم بقسطنطينية، وتناولت مدته بما لتعذر المفاداة" (٣).

وقد رأى ذلك ابن خالويه في مقدمة ديوان أبي فراس: "وذات يوم فيما كان عائداً من الصيد، في نفر من أصحابه، فاجأه كمين رومي قد نصبه تيودور على أبواب منبج، فأخذ أسيراً وحمل أولاً إلى خرشنة ثم إلى القسطنطينية، فبقي في الأسر سبع سنوات إلى أن افتداه سيف الدولة" (٤).

وعليه عندما نقيم هذه الروايات، نرى أن ابن خالويه قد عاصر الشاعر وروى شعره، فروايتيه قريبة، وكذلك نجد أن الثعالبي قريب من عصره فكان حدوث الأسر مرة واحدة هو الأقرب.

وما يهمننا كثيراً هو ما أنتجه الأسر من نتاج أدبي، سمي بالروميات كما ذكرها ابن خالويه: "وأبوفرأس نفح الشعر العربي بروميته، التي نظمها وهو أسير بلون عاطفي لم يعرف من ذي قبل" (٥).

فالروميات نتاج الأسر، وطول المفاداة: "وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزادة سيف الدولة، وفرط الحنين إلى أهله وأخوانه وأحبابه، والتبرم بحاله ومكانه، عن صدر حرج وقلب شج تزداد رقة ولطافة وتبكي سامعها" (٦).

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان أحمد بن يحيى - القاهرة ١٨٨١م ١/١٥٨.

(٢) أدباء العرب في الأعصر العباسية ص ٣٦٤.

(٣) بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري - شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ١/٨٥.

(٤) ديوان أبي فراس الحمداني رواية أبي عبدالله الحسين بن خالويه - دار صادر بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ص ٦.

(٥) الديوان: شرح ابن خالويه ص ٦.

(٦) بيتيمة الدهر ١/٨٥.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ومن أسباب نظم الروميات أيضاً: "لم يقل روميته إلا بعد أن طال أسره، وأبطأ سيف الدولة في بذل فدائه، وله رومية شهيرة نظمها في خرسنة وبعث بها إلى سيف الدولة؛ لما علم أن والدته قصدت إليه من منبج تكلمه في المفاداة فلم يجب طلبها" (١).

فبلغت روميته خمس وعشرين قصيدة وثلاث وعشرين مقطوعة، تميزت بالتصوير الواقعي للحالة التي يعيشها الشاعر، ومرارة الشكوى التي أحاطت روميته، وقصة اندماجه مع الأسر الذي ولد لنا تصويراً جميلاً، فكانت الروميات من محاسن شعر أبي فراس كما وصفها الثعالبي: "رمى بها هدف الإحسان وأصاب شاكلة الصواب، ولعمري إنها - كما قرأته لبعض البلغاء - لو سمعته الوحوش أنست، أو خوطبت به الخرس نطقت، أو استدعي به الطير نزلت" (٢).

فالروميات وبما تشكله من الصراع الذي تولد عن الأسر، والواقع المعيش مع الروم في الأسر واستحضار الماضي، نجد وقفات رومية كثيرة أنتجت لنا صوراً للذات الشاعرة، وللآخر المعيش بكل أطيافه وأجزائه، فكان لنا من خلالها دراسة للذات والآخر وعليه سأقوم بتعريف موجز للذات الفردية، والذات الجمعية وعلاقتها بمصادر الهوية والتعريف بالآخر كمدخل للدراسة.

الذات والآخر من المصطلحات ذات التعقيد والغموض التي لا تنكشف لنا بالسهولة المرجوة، فهي مصطلحات ترتبط بكينونة بشرية معقدة، لا تتضح إلا بدراسة جلية وعميقة ومتأنية.

فالذات داخل كينونة إنسانية فيها من التعقيد الشيء الكبير، واكتشافها يمثل مرحلة خطيرة لأنها، تحدد مسار الإنسان والتي تتطلب منه أن يوقظ نفسه، بمعنى أن يتوقف لفترة قد تطول أو تقصر عن مجارة العالم المضطرب.

فهو إنسان وسط هذا العالم يجد نفسه في غربة لظروف القاهرة، فيحمل معه خلفيات عن دينه وأصدقائه وأهله وكل شيء، فيتوقف ليدرك من هو وعن دوره ومعرفته.

تلك هي الأنا وفك لغز هذه الكينونة إلا بسبر أغوار النفس الإنسانية حتى نصل إلى الإدراك الذاتي لها.

فالشعر منتج ذاتي وإن ارتبط بالسحر والكهانة "فكانوا يزعمون أن الشياطين تنزل على الشعراء كما تنزل على الكهان فقد زعم بعض الشعراء أن له تابعا من الجن ويؤكد أبو النجم بقوله:

(١) أدب العرب في الأعصر العباسية ص ٣٦٥.

(٢) بيتيمة الدهر ١/١١٢.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

إني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر^(١)

كل هذا في محاولة لتفسير الذات الشاعرة وتميزها عن غيرها وفي محاولة لاستجلاء الهوية الغائبة.

أما الهوية في الإسلام أضحت من أبرز الغايات لترتقي بها من بوتقة القبلية الضيقة إلى الهوية العالمية والإنسانية من خلال فتح المدارك العقلية وتوسيع آفاقها مما شكل ثنائية ثقافية فكرية ، قامت على ارتباط الذات الفردية والجمعية بالهوية على أسس جغرافية وتاريخية وثقافية ، فالوجود الحضاري العربي والإسلامي هو ذاته هوية استطاع التعامل مع الذات والآخر بوعي وموضوعية متحرراً من بوتقة الدونية .

فالهوية كمدرک فلسفي قد نشأ قديماً وترعرع بين العرب والغرب على حد سواء قبل انبثاقه سياسياً فبرز على أساس القوة والتي ألزمت انضمام الضعيف وركونه إلى جناح الأقوى . "فعلاقات القوة مازالت تتحكم في العلاقات الإنسانية على مختلف مستويات الاجتماع البشري بداية بالعائلة مروراً بالدولة ومتفرعاتها وصولاً إلى المجتمع الدولي"^(٢).

فإدراك الهوية يتمثل أولاً بالانتماء الفردي والجماعي لتظهر لنا بداية الهوية الفردية وقدرتها على الانسحاق من خلال التجليات التاريخية والثقافية بوصفهما مكونان أساسيان للذاكرة الفردية، فتتشكل الهوية من خلال كفاح طويل في مسيرة الفرد ليبدأ بالوعي لشخصيته الفردية ، مما يوجد حقائق وقيم ذاتية يعمل على الحفاظ عليها لتعمل على بناء شخصية قوية من خلال إثرائها وخلق أجواء التبادل المعرفي والثقافي من خلال الكيانات الفردية الأخرى ، فتنتهج الذات الفردية مسلكين أساسيين لبناء الهوية الشخصية من خلال مقومات موروثية تعتمد على تعزيز التراث ، فالتراث ليس مجرد مخزون بقدر ما يكون حدث تاريخي يتفاعل معه الفرد على أنحاء ومستويات مختلفة ، فامتلاك الطاقات الفردية القادرة على توظيف التراث يعتبر تحدياً قوياً يتيح أن يكون الفرد جزءاً منه لا محتكراً .

كما تلعب الهوية المكتسبة دوراً بارزاً في الاستقلال الذاتي ، فترتكز على الشخصية القوية وقدرتها على مجابهة ضغوط المجتمع ولا يتحقق ذلك إلا من خلال ابتكار الهوية الفردية التي تقوم على المحاور التالية :

١- إرادة الفرد في التعرف على ذاته

(١) ديوان أبي النجم العجلي - الفضل بن قدامة - جمعه وشرحه وحققه الدكتور محمد أديب عبدالواحد جمران

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ص ١٦١-١٦٢ .

(٢) إشكالية الهوية والانتماء _ علي حمدان _ المركز الاستراتيجي للدراسات السياسية _ سيدني _ الطبعة

الأولى _ ٢٠٠٥ م ص ٦٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

٢- تقدير الذات الشخصية .

٣- التميز الفردي .

٤- التبعية للأعراف والأسس الاجتماعية والموروثة في محيطه

فالهوية عبارة عن نظرة ذاتية فردية وإن ظهرت متغيرات جزئية ، من خلال سمات اللغة والدين والانتساب للوطن ، فتلك الهوية الفردية لا يتحقق لها المفهوم الأشمل إلا من خلال الإتصال بالآخرين حتى تتبدل المقومات والمعطيات ، لتشمل انعكسات جمعية جديدة تتقاسم من خلالها الأصول الثقافية والدينية والتاريخية واللغة لتخرج لنا الهوية من بوتقة الجمود إلى المرونة والشمولية والتفاعلية .

"فالحاجة إلى الاندماج هي التي تفرض على الفرد نمطا من الخيارات والأوصاف الشخصية قد لا تكون بالضرورة الأفضل لكنها ضرورة لشق طريقه وسط الجماعة"^(١).

فالهوية الاجتماعية تجعل الفرد يستمد تقديره لذاته من خلال هويته الاجتماعية وتكون بعدها قاعدة أساسية مشتركة تميزهم " فإبراز الشعائر الإسلامية والاعتزاز والتمسك بها والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية وهي محصلة ونتاج التجربة التاريخية لأمة من الأمم"^(٢)

وعليه فإن محصلات الدين والتاريخ هي محصلات تنتج لنا هوية جمعية متميزة تمايزها عن غيرها من الأمم ، وتعد اللغة ذات دور حاسم فالانتماء لهوية أمة ما، مما يصنع القلب الذي تنصهر به جميع المقومات السابقة.

وفي ظل التعريفات السابقة لمفهوم الذات الهوية الفردية والجمعية وتمايزها يبرز لنا (الآخر)، وعند تتبعنا للآخر في الشعر العربي نجد له مواقف متباينة منذ القدم ، ومن الطبيعي أنهما لم تتخذ تلك المواقف إلا بناءً على احتكاك أو ارتباط بهذا المختلف عنهم لغوياً وثقافياً ودينياً .

فالعرب اتصلوا بالأمم المجاورة بحكم الطبيعة الجغرافية لجزيرة العرب، فكانوا على ارتباط وثيق بالحضارات المجاورة وكان تجار مكة يدخلون مصر والشام وبلاد فارس والغساسنة يتصلون بالروم، وقد يكون دفاعاً عنا لأرض ؛ مما أدى إلى صراع ونزاع استمر عدة عقود بدء من العصر الجاهلي حيث نجد ذلك ممثلاً في موقعة ذي قار يقول أعشى قيس مفتخراً:

(١) تكوين الهوية الفردية _ مقال _ دكتور توفيق السيف _ صحيفة عكاظ _ العدد ٢٨٦٤ الاثني ٢٤ _ ٤ _ ١٤٣٠ هـ

(٢) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية د. خليل نوري العاني _ سلسلة دراسات إسلامية معاصرة _ العراق

_ الطبعة الأولى ٢٠٠٩ م

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

وجندٌ كسرى غداة الحِنُو صَبَّحهم منا كتائبُ ترجو الموتَ وانصرفوا^(١)

أو قول المتنبي في العصر العباسي:

رأى ملك الروم ارتياحك للندى فقام مقام المجتدي المتملق

وخلّى الرماح السمهرية صاغراً لأدرب منه بالطعان وأحذق^(٢)

وإن كنا رأينا بذلك الموقف العربي متطرفاً أحياناً تجاه الآخر قد نجده لينا متساهلاً أحياناً أخرى، لقد توضحت علاقات العرب بهم فقامت على التعاون الوثيق بل أصبح كثير منهم من علماء الدين ودارسيه ، وتولوا زمام الحكم في أوقات أخرى .

لم تستطع الحضارة العربية أن تنفي الآخر بل تجد له كل الأسباب والسبل لكي يندمج في حركتها وإن كان " هو المختلف دينياً أو عرقياً أو ثقافياً بالتالي يمكن أن يؤثر ويلعب دوراً فيمكنه أن يكون صديقاً أو عدواً"^(٣).

أما ما نجده عند دراسة الروميّات فإنها صورة لاتتخذ موقفاً واحداً ، وإن كانت دون تناقض بل صور متناغمة نشأت عن علاقته بالآخر بدءاً من أسره في خرشنة وانتقاله إلى القسطنطينية ومالقي بينهما من مرارة الأسر والبعد حتى افتدائه سنة ٣٥٥ هـ.

(١) ديوان الأعشى الكبير – ميمون بن قيس – شرح وتعليق د. محمد حسين – المطبعة النموذجية ص ٣١١.

(٢) شرح ديوان المتنبي _ عبدالرحمن البرقوقي _ الجزء الأول _ المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٨ هـ _ ١٩٣٠ م ص ٤٦٣

(٣) الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين _ حسين العودات _ دار الساقى _ بيروت _ لبنان الطبعة الأولى ٢٠١٠ م ص ٢١

الفصل الأول

الذات


المبحث الأول



الذات الشخصية

الذات :

كثيراً ما نجد في شعرنا القديم، صوراً ترسم مشهداً أو موقفاً نفسياً ، سواءً أكان وصفاً مباشراً أو صوراً رمزية مشحونة بتجارب الشاعر ، المليئة بمشاعر الحنين والغربة والوحدة ، والتي يكون فيها الذات محوراً رئيسياً لتقوم عليها شخصيته، ومن خلالها يعتمد تشكيل الصورة على هذا المخزون اللا شعوري .

أولاً : الذات في اللغة :

تكاد معاجم اللغة العربية القديمة والحديثة تتفق على أن مصطلح الذات ، يعنى به الحال وبيان الحال وحقيقته "ذو ، معناها صاحب .."  [الأنفال آية : ١] أي حقيقة وصلكم ، أو ذات البين : الحال التي به يجتمع المسلمون." ^(١).

فالذات جاءت بمعنى الحقيقة وبيان الحال ،وقد تأتي النفس أيضاً بمعنى الذات  "  ما عندي وعندك أو حقيقتي وحقيقتك." ^(٢).

والذات بمعنى النفس أيضاً في المعجم الوسيط "الذات : النفس والشخص يقال في الأدب :نقد ذاتي: يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته." ^(٣).

والذات في لسان العرب: "فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم)... قال أبو اسحق: معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم أي اتقوا الله وكونوا مجتمعين على أمر الله ورسوله.. والأنتى ذات والثنية ذواتا والجمع ذوون" ^(٤).

(١) القاموس المحيط _ الفيروز أبادي _ الطبعة الأولى ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان مادة ذات ص ١٣٥٦

(٢) المرجع السابق مادة نفس ص ٦٠١

(٣) المعجم الوسيط _ قام بإخراجه ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار - الطبعة الثانية-دار الدعوة اسطنبول -تركيا مادة ذات ص٣٠٧

(٤) لسان العرب لابن منظور أعد بناءه على الحرف الأول يوسف خياط ونديم مرعشلي -دار لسان العرب-بيروت المجلد الأول مادة ذات ص ١٠٤٩-١٠٥٠

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ومن خلال المعاجم السابقة نتبين أن مصطلح الذات كان على قسمين :

أولاً: بيان الحال والحقيقة (الحقيقة الظاهرة).

ثانياً: السريرة المضمرة وهذه (حقيقة داخلية).

الذات في الإصطلاح:

الذات مصطلح نفسي تداوله علماء النفس في كثير من المؤلفات والدراسات والنظريات النفسية ومنها:

دراسات نفسية مثل: موسوعة علم النفس للمؤلف أسعد رزق ، في طبيعة الإنسان د.عبد السلام عبدالغفار.

دراسات نفسية أدبية مثل: التحليل النفسي والأدب لجان بلامان نويل، و التفسير النفسي للأدب د.عزالدين اسماعيل ،دراسات نفسية إسلامية مثل: الشخصية السوية د.سيد عبد الحميد مرسى

ومن خلال تلك المؤلفات وغيرها الدور الكبير في التحليل الأدبي والنفسى للشعر والشعراء "فقد أصبح شريكا للأديب في تفكيك الأثر والصور البيانية والحقل المعجمي" (١).

ومن أبرز التعريفات لبيان مفهوم الذات أنها:

١- "التنظيم المنسق والدينامي لصفات الفرد الجسمية والعقلية والأخلاقية والإجتماعية ،حسب تجليها لآخرين في مجال الأخذ والعطاء داخل الحياة الإجتماعية." (٢).

٢- " ويرى محمد عماد الدين اسماعيل أن مفهوم الذات، هو ذلك المفهوم الذي يكونه الفرد عن نفسه باعتباره كائنا بيولوجيا اجتماعيا ،أي باعتباره مصدرا للتأثير والتأثر بالنسبة للآخر." (٣).

٣- "هي فكرة الشخص عن نفسه، وهي نظرة الشخص إلى نفسه باعتباره مصدر الفعل." (٤).

(١) التحليل النفسي والأدب -جان بلامان نويل الطبعة الأولى ١٩٩٦م -منشورات عويدات -بيروت -لبنان ص١٢٩

(٢) موسوعة علم النفس اعداد د.أسعد رزق مراجعة د. عبدالله عبدالدايم المؤسسة العربية للدراسات والنشر -بيروت-الطبعة الثالثة ١٩٨٧م ص ١٤٨

(٣) سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والإتجاهات د.عبد الفتاح محمد دويدار -دار المعرفة الجامعية -الطبعة ١٩٩٩ م -ص٣٩ .

(٤) التكيف النفسي د. مصطفى فهمي - مكتبة مصر دار الطباعة الحديثة ص ١١١

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

من خلال ماسبق نرى مدى الارتباط الوثيق بين المعنى اللغوي في المعاجم العربية، والمعنى الإصطلاحي في علم النفس:

- ١- كلاهما يجمعان بين حقيقة الشخص ونظرته إلى نفسه ونظرة الآخرين إليه.
- ٢- كلاهما يوضحان أهمية الناحية الاجتماعية في بيان حقيقة المرء وذاته.
- ٣- المصطلح النفسي أكثر شمولاً في نواحي دراسة الذات بذكره النواحي العقلية والجسدية والأخلاقية وهذا ما يمتاز به لأنه مجال متخصص .

الذات الشخصية:

تمتعت شخصية أبي فراس بمظاهر السمائل الإنسانية، والقيم الأصيلة، والعريية، والصفات الفريدة والمميزة بمظاهر نابغة من الذات التي تملك زمام المبادرة ناحية المجد والعلو، فكان لا بد لتلك الذات الشخصية من دراسة تستحقها قائمة على نظريات نفسية؛ لتساعدنا على دراسة الشخصية من خلال تفسير الذات كمركز تقوم عليه.

ومن أبرز النظريات التي تتعلق بهذا المجال:

- ١- "نظريات المجال أو النظريات الظاهرية"^(١).

"هي مجموعة من النظريات التي تعتمد على الإدراك، والمعرفة أكثر من اعتمادها على التعلم، وترتكز على شكلين هما: مفهوم الذات، وقد اتجه هذه الوجهة، كل من كارل روجرز وماسلو، وجولدشتاين، والتركيز على المعارف التي يعرفها الشخص عن العالم، وقد اتجه هذه الوجهة كل من كيرت لوين وجورج كيللي."^(٢)

ومنها تندرج عدة نظريات:

أ- نظرية الذات: لكارل روجرز

(١) نظرية المجال (نظرية كورت لغين في بحوث الشخصية وعلم النفس الاجتماعي حيث لا تؤخذ العناصر الفزيولوجية بعين الاعتبار، بينما ترجع حالات الفرد إلى قوى المجال النفسي الفاعلة أنيا) - موسوعة علم النفس د. أسعد رزق ص ٢٧٦

(٢) الشخصية ونظرياتها - اختبارات وأساليب قياسها د. رمضان محمد القذافي منشورات الجامعة المفتوحة - دار الكتب الوطنية - بنغازي ١٩٩٣ م ص ١٩٦-١٩٧

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

"ويعتبر روجرز الذات كجزء متميز من المجال الظاهري، تتكون من المدركات الشعورية والقيم المتعلقة به... وترتكز على الواقع كما يدركه الشخص، وعلى خبراته الذاتية وعلى سعيه إلى تحقيق الذات، وتهتم بالذات كما يخبرها الشخص."^(١).

ب- نظرية الذات عند سينج وكوبنر:

وهي تشبه كثيراً النظرية السابقة لكارل روجرز فكلاهما استخدمتا مصطلح المجال الظاهري ليشير إلى البيئة: "وهو يعتبر السلوك كعلاقة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع المجال الظاهري، وأن السلوك يتسبب كنتيجة لهذا العالم الخاص بالفرد."^(٢).

ج- نظرية الذات الهرمية:

وهي سمة من السمات الخاصة بالنظريات السابقة، وقد فصل فيها كل من سونج وهاييتي ويقسمون الذات إلى ثلاثة أقسام:

- مفهوم الذات الأكاديمي: ويتضمن الذات التحصيلية ومفهوم ذات القدرة، العلوم الطبيعية والدراسات الاجتماعية واللغات..
- مفهوم الذات الظاهرة: ويتضمن مفهوم الذات الجسمية والثقة بالذات
- مفهوم الذات الاجتماعية: "ويتضمن مفهوم الذات العائلي والرفاق.." ^(٣).

وعليه يكون مفهوم الذات متكوناً من:

جانب نفسي وجانب اجتماعي وجانب انفعالي وجانب عقلي.

د- نظرية الذات لماسلو:

"لقد تصور ماسلو الدوافع على شكل سلسلة متدرجة من حاجات المحافظة على البقاء مثل: الجوع والعطش، ثم تأخذ في الارتقاء نحو حاجات نفسية أعلى، كالشعور بالأمن والانتماء والحب والتقدير ثم إلى الحاجات المعرفية، ثم الحاجات الجمالية، حتى تصل للحاجات العليا التي تضمن تحقيق الذات

(١) سيكيولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والاتجاهات ص ٣٥-٣٩

(٢) المرجع السابق ص ٣٨

(٣) مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق-د. قحطان أحمد الظاهر الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م -دار وائل للنشر والتوزيع

عمان -الأردن ص ٤٣-٤٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

الكامنة لدى الفرد في حالة عدم توفر الظروف المناسبة، ولا تستطيع التعبير عن نفسها، إلا بعد أن يتحرر الانسان من سيطرة الحاجات الدنيا"^(١).

وبذلك اهتم ماسلو بنوعين من الحاجات هما: حوافز النمو وحوافز الحرمان فالأول يعتمد على تحقيق القدرات الكامنة والآخر المحافظة على الحياة .

جميع نظريات المجال السابقة تعتمد على اللاشعور والخبرات الذاتية والسلوك الخارجي.

وبناء على ماسبق فإن مجمل النظريات السابقة تعتمد بدرجة كبيرة على البيئة المؤثرة في سلوك الفرد، وإن كانت كل من نظرية روجرز وسينج متقاربتين من ناحية اعتمادها على السلوك المؤثر في المجال الظاهري.

وتتقارب النظريتين الأخيرتين وهما النظرية الهرمية ونظرية ماسلو لتدرجها وشمولها على جميع نواحي المعرفة التي تؤثر على سلوك الفرد .

وقد تميزت نظرية الذات الهرمية لسينج وهايتي بتحقيقها الكبير لمفهوم الذات، وعلى ذلك فقد اتخذت نظرية الذات الهرمية والتي تدخل ضمن اطار نظريات المجال أو النظريات الظاهرية بناء على مايلي:

- شموليتها بتحقيق كثير من الجوانب التي تشكل شخصية الإنسان، من نواح معرفية، وجسمية، وانفعالية واجتماعية.
- نظرتها للشخصية من خلال قوى العالم الخارجي التي تؤثر على الإنسان، والتي يضغط بها بدوره على البيئة المحيطة به، فهي تشمل كل من الإنسان وبيئته وعلى ذلك فهي تلائم كثيرا شخصية شاعرنا، والضغوط التي واجهته من خلال سجنه ومرضه وتحديات مجتمعه.
- سهولة تطبيقها في مجال بحثي لأنها تأخذ منحاً نظرياً أكثر منه عملياً .
- ملاءمتها لدراسة الآثار الأدبية لأنها تعتمد على فكرة الشخص عن نفسه ونظرته إلى غيره وذلك يتحقق من خلال روميات أبي فراس الحمداني.

إذاً على ماسبق من نظرية الذات الهرمية فإن مفهوم الذات ينقسم إلى قسمين:

(١) الشخصية اختباراتها وقياسها ص ٢١٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

١- الذات الأكاديمية وتشمل جميع المعارف الإنسانية أو اللغوية أو الطبيعية.

٢- الذات غير الأكاديمية وتشتمل على:

أ- الذات الجسمية

ب- الذات الاجتماعية

ج- الذات النفسية

وبداية سأتناول الجانب غير الأكاديمي؛ لأن الجانب الآخر (الأكاديمي) يترتب على ما نخلص به من الجانب غير الأكاديمي.

ألوان الذات:

أولاً: الذات الظاهرة "غير الأكاديمية":

الذات الظاهرة: "وهي المظهر العام والتناسق بين أعضاء الجسم، شكل ولون الجسم، تناسق أعضاء الوجه، ولون العيون، ولون الشعر.." (١)

إن دراسة الشخصية من الناحية البدنية لها أثر كبير في تحليل شخصية الفرد؛ إذ إن وجود القصور البدني سواء أكان خلقياً أو نتيجة عارض ما يؤثر على حياة الشخص، ويزيده شعوراً بالنقص والاحتقار وعلى النقيض ما يزيده اكتمال البنية الجسدية، وصحتها من الثقة والشعور بالأمان، ويحد من الضعف والتواكل.

ومن خلال قراءتي أبيات أبي فراس الحمداني، التي ذكرت الصفات الجسدية كانت كالتالي:

١- شكل الجسم:

وقد ذكر أبو فراس بعض الأبيات التي اشتملت على صفات جسمه وبنيته، من خلال ارتباط بعض الأبيات بكلمة (فتى)؛ إذ إن الفتوة بمعناها الواسع لا تقتصر على مرحلة عمرية معينة في حياة الشاعر فحسب، ولكننا نجد أنه معنى من معاني الفتوة بمفهومها العربي، والذي يشمل الشاعرية والفروسية والبطولة بل هو مرادف للبطولة فيقول (٢):

(١) مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق ص ٤٤

(٢) الديوان شرح ابن خالويه ص ٨٤ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

مَتَى تُخَلِّفُ الْأَيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فَتَى طَوِيلَ نَجَادِ السَّيْفِ (١) رَحْبَ الْمُقْلَدِ (٢)

مَتَى تَلِدِ الْأَيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فَتَى شَدِيداً عَلَى الْبِأْسَاءِ غَيْرَ مُلَهَّـدِ (٣)

لقد أوضح الشاعر تلك الفتوة التي تمثلت في إقدامه وفروسيته ونجدته، تلك التي أضاف إليها في معرض كنياته [طويل نجاد السيف-رحب المقلد] بطول القامة وعرض المنكبين وكذلك القوة في [شديداً على البأساء].

لقد وظف أبو فراس تلك الكنايات توظيفا رائعا؛ لتخدم الصورة التي أراد رسمها عن قوته وصلابته، فنرى مدى أحقية ذلك الفارس باستنكاره لسيف الدولة بل لقومه أجمع، بعدم إمكانية ظهور فارس آخر في مثل صفاته البطولية والجدية، من خلال تجسيد الأيام في صورة امرأة بقوله [متى تلد الأيام].

ومما يدل أيضاً على ارتباط معنى الفتوة بالقوة وشدة البأس قوله (٤):

فَنَاتِي عَلَى مَا تَعَهَّدَانِ صَلْبِيَّةً وَغُودِي عَلَى مَا تَعْلَمَانِ صَلِيبُ

صَبُورٌ عَلَى طَيِّ الزَّمَانِ وَنَشْرِهِ وَإِنْ ظَهَرَتْ لِلدَّهْرِ فِي نُـدُوبِ

وَإِنْ فَتَى لَمْ يَكْسِرِ الْأَسْرُ قَلْبَهُ وَخَوْضُ الْمَنَايَا جِدَّهُ لَنَجِيبِ (٥)

وصف أبو فراس نفسه بالقوة والصبر على الآلام، والجراح فلم تكسر قلب ذلك الفتى؛ لقدرتة الجسدية على تحمل الألم، وكرم نسبه وأصلهما يعارض ضعفه ووهنه.

أيضا ارتبطت لديه الفتوة بالفروسية عندما استنكر على محبوبته انكارها له وجهلها به وهو الفارس ابن الفارس يقول:

(١) نجاد السيف : كناية عن طول القامة .

(٢) رحب المقلد. كناية عن سعة ما بين الكتفين .

(٣) ملهد: الذليل الضعيف .

(٤) الديوان ص ٥٦ .

(٥) جده : اجتهاده .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

تُسَائِلُنِي مَنْ أَنْتَ وَهِيَ عَلِيمَةٌ وَهَلْ بَفَتَى مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرٌ (١)

إلى أن يقول :

فَلَا تُنْكِرِي يَابْنَةَ الْعَمِّ إِنَّهُ لَيَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَهُ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ

وَلَا تُنْكِرِي إِنَّنِي غَيْرُ مُنْكَرٍ إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ وَاسْتَنْزَلَ النَّصْرُ (٢)

كما ارتبطت الفتوة بمعنى الحكمة والشجاعة والمروءة، فالقوة الجسدية والصحة البدنية تنعكس إيجاباً على القدرة العقلية، وتحكيم العقل فهي أجزاء لا تتجزأ من اكتمال البنية الصحية الجسدية في قوله:

وَلَا أَرْضَى الْفَتَى مَا لَمْ يُكْمَلْ بِرَأْيِ الْكَهْلِ إِقْدَامَ الْغُلَامِ (٣)

٢- صفات جسدية خلفتها الحروب والمعارك :

ذلك من خلال أثر السنان الذي أصاب خده بطعنة، فكانت له علامة فارقة ميزته وكانت شاهدة على قساوة المعارك التي واجهها هذا الفارس:

مَا أَنْسَ قَوْلْتَهُنَّ يَوْمَ لَقِينَا نِي أَزْرَى السِّنَّانُ بِوَجْهِهِ هَذَا

قَالَتْ لَهُنَّ وَأَنْكَرْتُ مَا قُلْنَهُ أَجْمِعُكُنَّ عَلَى هَوَاهُ مُنَافِسِي

إِنِّي لَيُعْجِبُنِي إِذَا أَثَرُ السِّنَّانِ بِصَحْنِ خَدِّ

٣- لون الشعر :

إن من المفارقات العجيبة هي الشيب الذي ذكره أبو فراس بقوله:

(١) الديوان ص ١٥٨ .

(٢) الديوان شرح ابن خالويه ص ١٥٨-١٥٩

(٣) السابق ص ٢٧٥

(٤) السابق ص ١٧٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وهأنا قد حلّى الزّمانُ مفارقي وتوجّني بالشّيبِ تاجاً مُرصّعاً^(١)

هنا يصف بأن الشيب غزا شعره وحلّى مفارقه، فالمفرق هو منتصف الرأس وعلى طوله، فقد انتشر الشيب وبدأ يتلألأ ويلمع كالجواهر، ثم توجه بلون أبيض ناصع وذلك كناية عن انتشار الشيب في مقدمة الرأس ، فكيف يكون ذلك برغم صغر سنه ؟ إن المقاربة في ذلك ؛ أن يعود الشيب لا إلى نتاج سنين العمر الطويلة بل إلى ما مر به من ألم الأسر ومعاناته النفسية العصبية ، التي أثقلت كاهله وجعلت المشيب علامة ودلالة لها، ومما يوضح ذلك قوله:

ومازادت على العشرين سنيّ فما عذّر المشيب إلى عذاري^(٢)

وقوله أيضاً^(٣):

أيّها الشّيبُ لم حلّلت برأسي وإنمالي عشرٌ وعشرٌ وبنجٌ^(٤)

نخلص من ذلك بأن أبا فراس لم يكن من المسهبين في ذكر صفاته الجسدية ، فالعربي الأصيل لم تكن لتهمة المظاهر قدر ماتمه الأفعال أما ما ذكر من صفات جسدية ، لم تكن إلا صوراً تكميلية لبطولة الشاعر وقوته ومنعته وهيبته.

الذات الاجتماعية:

"هو الذي يجسد تفاعل الفرد مع الآخرين، ويتفرع إلى مفهوم تقبل الذات ومفهوم القبول الاجتماعي والأسري."^(٥)

وسيتم التفصيل عنه لاحقاً في المبحث الثاني "الذات الأسرية"

الذات النفسية:

(١) السابق ص ١٨٤

(٢) الديوان ص ١٦٧

(٣) شرح ديوان أبي فراس الحمداني _ خليل الدويهي - دار الكتاب العربي - بيروت-لبنان الطبعة ١٤٢٥ هـ

٢٠٠٥م - ص ٧١

(٤) البنج : العدد خمسة في الهندية .

(٥) مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق ص ٤٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وهي "مفهوم الانطباعات الشخصية، مفهوم الأحاسيس والمشاعر الذاتية الخاصة، مفهوم الإتجاهات"^(١) لقد اتخذت تلك الانطباعات والأحاسيس والمشاعر عدة جوانب نفسية، ومن خلال قراءتي للديوان أحصرها فيما يلي:

١- الموت:

شمل شعر أبي فراس للتأملات الذهنية حقائق الموت، والفناء، فانشغل بذكر الموت في أسره مما أثار في أعماق نفسه المضطربة تساؤلات عن جدلية الموت والحياة، وسر الفناء وغاية الزوال واستخدم لذلك ألفاظا كالموت والمنايا والقضاء والأجل والردى..

أ- حتمية الموت:

لاشك أن الموت حقيقة ثابتة وقضاء مقدر لا مهرب منه، ولا منجاة يقول في ذلك:

وَهَلْ يَدْفَعُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ وَاقِعٌ وَهَلْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ
كَاسِبٌ وَهَلْ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ فِي النَّاسِ هَارِبٌ^(٢)
هَارِبٌ^(٢)

فالشاعر مدرك أنه منهل يرده الجميع ولا ينجو منه إنسان "فكأنما خرج موضوع الموت عن نطاق الواقع والمشاهدة، ليدخل في نطاق المدارك الدينية عندما يعتبره أجلا مكتوبا وقضاء، إذ يقترب بذلك من الفكر الديني في النظرة إلى الموت."^(٣)

ب- شمولية الموت:

بحيث يتحقق العزاء في المساواة فتزول الفوارق فالموت لا يغادر أحداً :

أَلَمْ عَلَى التَّعْرِضِ لِلْمَنَائِبِ وَلي سَمِعُ أَصَمُّ عَنِ الْمُلَامِ

(١) السابق ص ٤٤

(٢) الديوان ص ٣٦-٣٧

(٣) ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي د.صادق مكي دار الفكر اللبناني بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٩٩١م

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

بُنُو الدُّنْيَا إِذَا مَاتُوا سَوَاءٌ وَلَوْ عَمَرَ الْمُعَمَّرُ أَلْفَ عَامٍ^(١)

وبذلك انتفت فكرة الخلود، فأصبحت من المستحيلات فاتسمت نظريته بالواقعية فالغلبة في النهاية للموت الذي أفنى الناس جميعاً صغاراً أو كباراً.

ج- اللذة والموت:

ليس المقصود بها تلك اللذة الحسية الدنيوية، بل لها معنى أسمى من ذلك وهي اللذة المعنوية التي تتجلى في الحمد والثناء عليه بعد مماته يقول:

قَدْ عَذِبَ الْمَوْتُ بِأَفْوَاهِنَا وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ الدَّلِيلِ

إِنَّا إِلَى اللَّهِ لِمَا نَابِنَا وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرِ السَّبِيلِ^(٢)

نرى الخضوع والاستسلام للموت، والقدر المحتوم لذلك عندما جعل الموت شراباً سائغاً عذبا ينتظر احتسائه وشربه، فلربما حمل الموت ليتيهياً نفسياً له ولمصيره ولكن اليقين أنه استعذب الموت في نصره الدين، وعزة النفس فهي تمثل معنى الحياة في الموت :

وَهَلْ يَتَجَافَى عَنِّي الْمَوْتُ سَاعَةً إِذَا مَا تَجَافَى عَنِّي الْأَسْرُ وَالضُّرُّ

هُوَ الْمَوْتُ فَاخْتَرْتُ مَاعِلاً لَكَ ذِكْرُهُ فَلَمْ يَمُتِ الْإِنْسَانُ مَا حَيِيَ الذِّكْرُ^(٣)

هنا تكرر لمعنى اللذة المعنوية في الموت من الحمد والثناء عليه بعد وفاته، لما قدمه قبل ذلك من البطولات والعلا والشرف والذود عن الحمى (فالذكر) يكون كفيلاً بإبقاء معنى الحياة لهذا الفارس حتى بعد مماته.

وَقَالَ أَصِيحَابِي الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى فَقُلْتُ هَمَّ أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مُرُّ

(١) الديوان ص ٢٧٦

(٢) الديوان ص ٢٤٦

(٣) السابق ص ١٦٠

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَلَكِنِّي أَمْضِي لَمَّا لَا يَعِينِي وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ^(١)

يؤكد في البيتين السابقين حلاوة الموت في سبيل العزة والكرامة على النجاة والسلم، وما يتعلق بهما من ذل وهوان الفرار، فإن كان أصحابه قد عابوا عليه أسره وفضلوا فراره، فذلك الخيار أبعد ما يكون عن ذلك الفارس الذي يأبى الذل والانكسار، ويرضى بالأسر والعذاب في سبيل الكرامة فتلك تعد معادلة مجزية الموت والذكر الحسن مقابل الحياة والهون والانكسار.

أَرَى مِلاءَ عَيْنِي الرَّدَى فَأَحْوِضُهُ إِذِ الْمَوْتُ قُدَّامِي وَخَلْفِي الْمَعَايِبُ^(٢)

إن تلك الذات العسية التي تأبى الذل والهوان حقيقة بالموت؛ إذا كان لها شرفها وعزها، على أن يعيب بها لو آثرت الفرار.

"فالإنسان دائم البحث عن معنى لوجوده وهو دائم السعي لتحديد هدفه من الحياة، والوجود ليس مجرد وجود بيولوجي، بل إن الوجود هو الالتزام برسالة ما، ووجود الإنسان يتمثل في حريته في اختيار هدف حياته يتفق مع المعنى الذي يصل إليه في حياته، ثم إلزام نفسه بهذا الهدف والعطاء في سبيله، وبقدر ما يبذل الإنسان في سبيل رسالته يحقق وجوده".^(٣)

وبما أن تلك الإرادة والحرية التي تتطلب تحقيق ذلك الهدف السامي، من الذود عن الديار وتحقيق الشرف له وقومه أجمع قد ينتفي بالهروب والفرار، فقد آثر الموت على ذلك.

نرى أن الأبيات التي ذكر بها مفردات الموت، قد ارتبطت بعدة دلالات كما هي الحياة كذلك.

فنجد لمعنى الحياة دلالات منها: (مقام الذليل - الضر - الفرار - المعاييب)

أما الموت فيقابله من دلالات: (العذوبة - خير السبيل - الذكر - لا يعينني)

تلك الدلالات السابقة كانت المفاتيح التي بينت لنا مفاهيم أبي فراس عن الموت، فنتيجة لمرجعياته وتكوين عقيدته وتقاليدته شكلت ذلك المفهوم المتشعب والمتضارب في بعض الأحيان. فقد واجه الشاعر الموت كمعبر للحياة الأبدية بقوله (خير السبيل).

(1) السابق ص ١٦٠

(2) الديوان ص ٣٦

(3) في طبيعة الإنسان د. عبدالسلام عبدالغفار - دار النهضة العربية ص ٥٧

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

د- الخوف من الموت:

إن الخوف من الموت يبيث الرهبة في النفوس، ولكنه قضاء الله وحكمته في أن يعيش الإنسان عمرا زائلا في الدنيا ثم خالداً في الآخرة قال تعالى: ﴿لَا تَحْزَنُوا عَلَى الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ لَنْ يَذَّابِقَهُ إِرْبَ الْبَرِّ إِذْ هُمْ يُقْبَلُونَ﴾ (١).

فالاتجاه نحو الموت إتجاه يشعر الإنسان بالخوف والتناقض في قبوله ورفضه، فهو "إتجاه متناقض يسترعي الإلتباه ويتعين التوقف عنده، ومرجع تناقضه؛ أننا نسلم به ولاننكره ولكننا مع ذلك نكرهه ونمقتسه، نتوقعه ولكن معظمنا يود من صميم قلبه أن يتأخر مجيئه" (٢).

فكثير من الشعراء عاشوا تجربة النهاية وفي معتقدتهم أنهم سيقتلون لامحالة، وكان منهم من يستعد ويتأهب للموت، ومنهم من لديه الصمود والمواجهة، وذلك وفقا للطبيعة الانسانية النفسية لديه فكانت لهم حججهم وأسبابهم.

أما خوف أبي فراس من الموت فقد اتخذ منحى تعليلياً؛ لذكره عدد من الأسباب التي جعلته يتشبث بالحياة، لاحوفا من الموت بحد ذاته؛ بل تحاشيا لأمر عدة قد ترتبط بموته.

ومنها:

١- الموت بين أيدي النصارى يقول:

ذكر الشاعر أحد الأسباب التي جعلته يخاف من الموت وليس هو الموت بحد ذاته بل من تبعاته، وكان من ذلك الموت على أيدي النصارى يقول (٣):

وَمَازَلْ عَنِّي أَنَّ شَخْصاً مُعَرِّضاً لِنَبْلِ الْعِدَى إِنْ لَمْ يُصَبِّ فَكَأَنَّ قَدِ
وَلَكِنِّي أَخْتَارُ مَوْتَ بَنِي أَبِي عَلَى صَهَوَاتِ الْخَيْلِ غَيْرَ مُوسَّدِ

(١) الحجر : ٢٣

(٢) قلق الموت _ سلسلة كتب ثقافية شهرية تصدرها المجلة الوطنية بالكويت د. أحمد محمد عبد الخالق ١٩٩٨ م ص ١٦-١٧

(٣) الديوان ص ٨٢-٨٣.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وتأبى وآبى أن أموتَ مُوسَّداً بأيدي النَّصَارَى مَوتَ أَكْمَدَ أَكْبَدِ^(١)

لطالما كان الموت أمراً محتوماً ومتوقعاً له، بل لكل فارس على صهوات الخيل مقارعاً ومحارباً ولكنه مع ذلك لا يريد الموت إذا ما كان أسيراً بين النصارى "فقد تعظم المصيبة على الشاعر حين يجد نفسه غريباً عن وطنه ودياره وينزل به الموت، فلا يجد مفرّاً من لقائه وينظر حوله فلا يجد أحداً من أهله، فليس معه من سيثييعه ولا من سيحفر له لحده ولا من سيبيكيه ويندبه"^(٢)

ومما يزيد الأمر سوءاً على أبي فراس ليس الموت وحيداً؛ بل بين أيدي النصارى الذين لن يدفنوه بعد موته بل سيرمونهم، عندما أشار بذلك في قوله [موت أكمد أكبد] وهو المتغير لونه لعدم دفنه ويقول في ذلك :

أُنَادِيكَ لَا أَنِّي أَخَافُ مِنَ الرَّدَى وَلَا أُرْتَجِي تَأْخِيرَ يَوْمٍ إِلَى غَدِ

وَقَدْ حُطِّمَ الْخَطِّيَّ وَاخْتَرَمَ الْعِدَى وَقُلَّ حَدُّ الْمَشْرِفِيِّ الْمُهْتَدِ

وَلَكِنْ أَنْفَتُ الْمَوْتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ بِأَيْدِي النَّصَارَى الْغُلْفِ مَيِّتَةَ أَكْمَدِ^(٣)

هنا تأكيد لتعليقه السابق حيث لا يريد الموت إلا بين يدي أهله، على أن يموت على أيدي الروم الأنجاس في قوله [الغلف] وفي بلد غريبة، مما يجسد معاناة الخوف من الإذلال عند الموت.

٢- الخوف من الموت لعدم الفداء:

لقد طالب أبو فراس سيف الدولة بتخليصه من أسرته، فيبدو خوفه من الموت جلياً في صوته المرتفع عندما أحس بالخوف من الموت، ميتة الجبناء المختبئين عن ساحات الوغى والجهاد، فيحاول أن يسمو بفروسيته وهو أسير، فيذكر سيف الدولة ببلائه وقرب الموت منه يقول :

وَأَبْطَأَ عَنِّي وَالْمَنَايَا سَرِيعةً وَلِلْمَوْتِ ظُفْرٌ قَدْ أَطْلَّ وَنَابُ^(٤)

(١) أكمد : المتغير اللون - أكبد : المصاب في كبده

(٢) الرثاء لجنة من أدباء الأقطار العربية - دار المعارف ص ٣٠

(٣) الديوان ص ٨٣

(٤) السابق ص ٢٦

ويقول (١) :

وَلَا تَتَّعِدَنَّ عَنِّي وَقَدْ سِيمَ فِدَيْتِي فَلَسْتُ عَنِ الْفِعْلِ الْكَرِيمِ بُمَقْعَدِ
فَكَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ أَيَادٍ وَأَنْعَمٍ رَفَعْتَ بِهَا قَدْرِي وَأَكْثَرْتَ حُسْدِي
تَشَبَّثُ بِهَا أَكْرَوْمَةٌ قَبْلَ فَوْتِهَا وَقُمْ فِي خِلَاصِي صَادِقَ الْعِزْمِ وَأَقْعُدِ
فَإِنْ مَتُّ بَعْدَ الْيَوْمِ عَابِكَ مَهْلِكِي مَعَابَ التَّزَارِيئِ نَ مَهْلِكَ مَعْبَدِ^(٢)

قدم أبو فراس سبباً وجيهاً يحض به سيف الدولة على الفداء وذلك لايتماد على خوفه من الموت، بل حتى لايعاب على ذلك سيف الدولة بأنه قد سيم الفداء ولم يفده؛ فتكون وصمة عار عليه مدى الزمان .

ومن العجيب أن أبافراس يطلب الفداء لنفسه لآخوفا عليها؛ بل خوفا على سيف الدولة كما سبق وعلى قومه يقول في ذلك :

فَإِنْ تَفْتَدُونِي تَفْتَدُوا شَرَفَ الْعُلَا وَأَسْرَعَ عَوَادٍ إِلَيْهَا مُعْوَدِ
وَإِنْ تَفْتَدُونِي تَفْتَدُوا لِعُلَاكُمْ فَتَيَّ غَيْرَ مَرْدُودِ اللِّسَانِ أَوْ الْيَدِ
يُدَافِعُ عَنِ أَعْرَاضِكُمْ بِلِسَانِهِ وَيَضْرِبُ عَنْكُمْ بِالْحَسَامِ الْمَهْتَدِ^(٣)

يرى أبو فراس أن فداءه مكسب لقومه بالدرجة الأولى؛ فهو المحارب والمدافع وهو الحامي عنهم، أكان بلسانه أم بحسامه فهو رمز الشرف والعللا، فنرى أن أبافراس قد قدم سيف الدولة وقومه على نفسه بالرغم من كونه أسير الروم وهم الطلقاء.

٣- الخوف من الموت إشفاقاً بوالدته:

(1) الديوان ص ٨٣-٨٤

(2) هم بنو زرارة وقد أعيوا لكونهم لم يفتدوا معبداً فمات في الأسر فشرعوا يرثونه، الديوان، شرح خليل الدويهي، ص ٩٧

(2)

(3) السابق ص ٨٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

من الأسباب التي دفعت أبي فراس لطلب الفداء ، وكرهية الموت في الأسر؛ هي إشفاقه بوالدته فقد ترك أبوفرأس وراءه أماحنونا بمنبح، ووقفت حياتها على رعايته وعند أسره لم تكف عن البكاء والنواح مما انعكس ذلك سلباً على نفسية أبي فراس فأخذ يطلب الفداء لذلك:

لَوْلَا الْعَجُوزُ بِمَنْبِحٍ مَا خِفْتُ أَسْبَابَ الْمَمْنِيَّةِ

وَلَوْ كَانَ لِي، عَمَّا سَأَلْتُ تُوْنُ مِنَ الْفِدَا، نَفْسٌ أَبِيَّةِ

لَكُنْ أَرَدْتُ مُرَادَهَا، وَلَوْ أَنِّي جَدَبْتُ إِلَى الدَّيْنِيَّةِ

وَأَرَى مُحَامَاتِي عَلَيَّ هَذَا أَنْ تُضَامَ مِنَ الْحَمِيَّةِ

أَمَسْتُ بِـ"مَنْبِحٍ"، حُرَّةً بِالْحُزْنِ، مِنْ بَعْدِي، حَرِيَّةً^(١)

لَمْ تَطَّرِقْ نُوْبُ الْحَاوَا دَثِ أَرْضِ هَاتِيكَ التَّسْقِيَّةِ

لَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ، وَالْـ أَحْكَامُ تَنْفِذُ فِي الْبَرِيَّةِ

وَالصَّبْرُ يَأْتِي كُلَّ ذِي رُزْءٍ عَلَيَّ قَدْرَ الرَّزِيَّةِ^(٢)

لَا زَالَ يَطَّرِقُ مَنبِحًا، فِي كُلِّ غَنَادِيَّةٍ، تَحِيَّةِ

فِيهَا التَّقَى، وَالسُّدَيْنُ مَجْـ مُوعَانٍ فِي نَفْسِ زَكِيَّةِ

يَا أُمَّتِي! لَا تَحْزَنِي، وَثَقِي بِفَضْلِ اللَّهِ فَيَّة!

يَا أُمَّتِي! لَا تَيَّاسِي، اللَّهُ أَلْطَفُ خَفِيَّةِ

(1) حرية : جديرة

(2) الزرية : المصيبة

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

كَمْ حَادِثٍ عَنَّا جَلَا هُ، وَكَمْ كَفَانًا مِّنْ بَلِيَّةِ

أوصيك بالصبر الجميل ل ! فإنه خير الوصية! (١)

فالقصيدية من بحر الكامل، مما أعطى القصيدة الكثير من القدرة على نقل آلامه وخوفه وقلقه على والدته. كذلك تفصح عن حزن الشاعر العميق الذي يصدر من قلب معذب بفراق والدته، ويرر بذلك طلبه للفداء ليس خوفه من الموت بل اشفاقاً بوالدته. فالقصيدة تبدأ بحرف (لولا)، فلو امتنع وجود هذه الأم الوحيدة الصابرة على مضض بانتظار ابنها لما طالب بفدائه وتمنى خلاصه من الأسر.

لقد بدأ الشاعر قصيدته بداية مباشرة دون مقدمات وهذا ما يطالعنا في أغلب قصائده، لعدم توفر النفسية الهادئة المطمئنة التي تبعث على الهدوء في قصائده والتمهل حتى دخوله صلب الموضوع، بل هي نفس معذبة قلقة وجلة وعلى ذلك كان دخوله مباشرة إلى صلب الموضوع دخولاً مقبولاً.

ثم يستدرك الشاعر بقوله (لكن) وهي أداة استدراك يبرر بما حالج شعوره ونفسه من طلب الفداء، ذلك أنه أراد مرادها حتى لو كان ذلك على حساب عزته وهيبته فكل ذلك يهون في سبيل رضاها وطمأننتها والوقوف معها جنباً إلى جنب.

ومن ثم يصف ظروف هذه الأم بأنها أمست حزينة من بعد فراقه، وهي جديرة بأن تكون على ذلك فقد كان وحيداً فلم تخاطب إلا هو ولم تعرف معنى الأمان إلا معه ؛ لخلو حياتها من الرجال بعد مقتل زوجها فهذا الابن هو صورة الأب والابن والزوج الحاني.

ثم يمهد الشاعر للقسم الثاني من القصيدة حين يذكر مناقب أمه وسجاياها وأخلاقها فهي طيبة القلب صافية النية، وأن هذا الصفاء والنقاء في القلب لو كان شفيفاً لشفع لها عن كل نائبة تطرق بابها، وذلك مرجعه لقضاء الله وحكمه النافذة في خلقه لا تستثني أحداً فتميزت هذه الأم بالتقى والدين التي إن اجتمعا كانت نفساً زكية كما وصفها أبو فراس.

بعد ذلك نرى الالتفات في الخطاب من العام إلى الخاص فقد جعل لهذه الأم لفتة خاصة وخطاب مباشر حتى يهدئ من روعها ويطمئن قلبها بقوله (ياأمتا).

نرى بعد ذلك أسلوب النداء وهو نداء للقريب بقوله (ياأمتا) فقد جعل نفسه قريباً من أمه وإن كان ذلك نفسياً ليطمئننها، ويوصيها بالثبات وعدم اليأس فلله حكمه من هذا الإبتلاء قد يجهلها الإنسان.

(١) الديوان ص ٣١٧

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ويختتم أبياته بتركيز عن تجاربه وخبراته في الحياة بأن الله سبحانه قد كفانا حوادث عدة بفضل التقى والصلاح، وهو يوصيها بالصبر الجميل ليختم بذلك قصيدته التي سطع فيها الجانب الإنساني بشكل كبير ليثبت آلامه وأحزانه وما يثبت على ذلك خلو القصيدة من المحسنات البديعية لأنه عاش تجربة قاسية فأراد أن يقدم قصيدته في إطار شعري مؤثر لينقل لنا شكواه ويطالب بالفداء.

٢- هموم السجن:

إن أشد الأزمات النفسية هي تلك الأزمات التي يمر بها السجن داخل سجنه وإن تعددت، فأبرزها الهموم التي تثقل كاهل صاحبها، فهي قيد نفسي يفوق القيد المادي الذي يعاينه وقد عبر الشعراء عن همومهم ومعاناتهم في السجون والأسر، ولكن اللافت أن تكون تلك الهموم ليست قيوداً أو تعذيباً، بل هي أحزان القلب التي تؤرق المنام وتنحل الجسد، وقد عبر أبو فراس عن همومه وإن أخذت عدة مناحي كان أبرزها:

أ- هم الألم والمرض:

لقد أثنى أبو فراس بالجراح أثناء مصارعة الروم، ومدافعتة عن الحدود والثغور الشمالية للدولة الحمدانية، وخلال هذا الزحف المفاجئ من قبل الروم أصيب بنصل سهم بقي في بدنه سنتين ونصف "وأقام أبو فراس في بلاد الروم يقاسي من آلام هذه الجراح التي أصابته، وقد كانت جراحاً دامية لأن نصلاً أصابه في بدنه ولم يستطع نزعها إلا بعد سنتين ونصف من أسره، وقد شق عليه ست مرات حتى خرج فحمل مع من بقي من حرسه إلى بيزنطة في شوال سنة ٣٥١ للهجرة/٩٦٢م وبقي طوال حياته يعاني من أثر الجرح البليغ الذي أصاب فخذه." (١)

يقول (٢):

أَسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ لَدَى الْوَعَى وَلَا فَرَسِي فِي مُهْرٍ وَلَا رَبِّهِ
وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى امْرِي غَمٌّ (٣)
فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرٌ

(1) أبو فراس الحمداني حياته وشعره للدكتور عبدالجليل حسن عبدالمهدي طبعة عام ١٩٨١م ص ١٠٤

(2) الديوان، ص ١٦٠

(3) مهر: مجرب، ولا ربه غمر: ليس حديث عهد بالمعارك.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَقَالَ أَصِيحَابِي الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى فَقَلْتُ هُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مُرُّ
وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعِينِي وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ

وَيَصُورُ أَبُو فِرَاسِ الْعَلَةَ الَّتِي أَثْقَلَتْ عَلَيْهِ وَأَلْحَتْ حَتَّى شَكِيَ بِهَا إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ لَعَلَّهُ يَعْجَلُ بِالْفِدَاءِ :

هَلْ تَعْطِفَانِ عَلَيَّ الْعَيْلِ؟ لَا بِالْأَسْرِ وَلَا الْقَتْلِ
بَاتَتْ تُقَلِّبُهُ الْأَكُ فَ سَحَابَةَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ
يَرَعَى النُّجُومَ السَّائِرًا تِ مِنْ الطُّلُوعِ إِلَى الْأُفُولِ^(١)

من خلال الأبيات السابقة نرى معاناة الشاعر وعدم قدرته على النوم، فباتت تلك الآلام تقلبه ليلته كاملة دون نوم، وقد حدد موعد الألم وشدته بمجيء الليل ولاغرابته في ذلك؛ فإن المرض لا يزداد شدة إلا بالليل ويعود ذلك إلى نفسية الإنسان، فالليل يزيد الوحشة وتقل به الأنسة والاطمئنان، مما يزيد حالة المرء النفسية سوءاً وتباعاً عليه تزيد حالته المرضية، فهو ينتظر بزوغ الفجر بفارغ الصبر حتى تخف وطأة المرض فقد أصبح مراقباً لتلك النجوم وخط سيرها من بداية الليل إلى نهايته مترقب لأمل جديد بفجر جديد.

وفي الخطاب السابق قد غيب نفسه وجعل منها شاهداً على ألمه حتى يؤكد لسيف الدولة أن ما يعانيه هو حقيقة وليس استعطافاً، حين يقول (تقلبه - يرعى)

ولكنه مالبت أن تحول بصيغة المتكلم حين طلب العون والإستنجاد :

يَا عُدَّتِي فِي النَّائِبِ تِ وَظَلَّتِي عِنْدَ الْمُقِيلِ
أَيْنَ الْمَحَبَّةِ وَالذَّمِّ مُ وَمَا وَعَدْتَ مِنَ الْجَمِيلِ
أَجْمِلْ عَلَيَّ النَّفْسَ الْكَرِيمَ مَمَّةً فِي الْقَلْبِ الْحَمُولِ^(٢)

(1) الديوان ص ٢٣٥

(2) السابق ص ٢٣٦

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ويقول واصفا جراحه وآلامه^(١):

مُصَابِي جَلِيلٌ وَالْعَزَاءُ جَمِيلٌ وَظَنِّي بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُدِيلُ^(٢)
جِرَاحٌ تَحَامَاهَا الْأَسَاءَةُ مَخُوفَةٌ وَسُقْمَانٍ بَادٍ مِنْهُمَا وَدَخِيلُ^(٣)
وَأَسْرٌ أَقَاسِيهِ وَكَيْلٌ نُجُومُهُ أَرَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَهُنَّ يَسْزُولُ
تَطُولُ بِي السَّاعَاتُ وَهِيَ قَصِيرَةٌ وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لَا يَسْرُكُ طُـوْلُ

ثقلت على أبي فراس آلامه، والتي عجز الأطباء عن مداواتها "وكانت الروم قد أسرت به بعض وقائعها وهو جريح، قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ونقلته إلى خرشنة ثم إلى القسطنطينية وذلك في سنة ٣٤٨ للهجرة/٩٥٩م وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين."^(٤)

فقد بقي نصله داخل الجرح ، مما أدى إلى إصابته بالحمى تلك الآلام التي تبيت معه فتطول به الساعات، فتسمح لكوامن الذات بالاستيقاظ للتعبير عن الهموم والمشاعر وذلك ليس بجديد: "فالشعراء الذين عايشوا تجربة السجن والأسر كانوا يعايشون أحزانهم وأفراحهم ، وما كان ينتابهم من عذاب نفسي وبخاصة أثناء الليل حيث لا جليس ولا سمر ولا ضوضاء ولا حركة ، فيجلس الشاعر إلى ذاته وتستيقظ في داخله جميع أحاسيسه ومشاعره ومايقاسيه من عذاب وألم.. فيبدأ صراعه مع نفسه وصراعه مع جسده فيطول الليل ويتعذر النوم."^(٥)

ب- همّ والصدته:

كرست والدة أبي فراس حياتها ووقفتها له ، فلم تتزوج ثانية بعد أن قتل زوجها أبي العلاء سعيد بن حمدان، فكان أبو فراس المعين لها بعد مقتل زوجها وقد حال الأسر دون تحقيق مراد هذه الأم من عون ولدها لها يقول :

(1) السابق ص ٢٣٢

(2) يديل : يغير .

(3) الإساءة : الطبيب .

(4) وفيات الأعيان ابن خلكان ١/ ١٢٨

(5) السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي د.واضح عبدالصمد -

المؤسسة الجامعية للنشر الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م ص ٢١١

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أَمَسْتُ بِ— (منبج) حُرَّةً بِالْحُزْنِ مِنْ بَعْدِي حَرِيَّةً^(١)

ويتبين لنا من شعر أبي فراس إلى أن أمه مكثت ثلاثين سنة لم تتزوج بعد وفاة والده، فقد توفي وهو لما يبلغ الثالثة من عمره عندما قتل فقضت سني حياتها على تربية ابنها وتعليمه وتثقيفه، متحلية بالصبر والتقوى والصلاح وبدلا من أن ترى بعد ذلك ابنها في بلاط الحكم، تراه أسيرا في قبضة أعدائه، مما أثار في نفسها الحزن والوحشة والوحدة، فهو وحيد أمه فلم يعد لها معين ولا نصير .

يقول (٢) :

يَا حَسْرَةً مَا كَادُ أَحْمِلُهَا آخِرُهَا مُزْعِجٌ وَأَوْلَاهَا

عَلِيَّةٌ بِالشَّامِ مُفْرَدَةٌ بَاتَ بِأَيْدِي الْعِدَى مُعَلَّلَهَا^(٣)

تُمْسِكُ أَحْشَاءَهَا عَلَى حُرْقٍ تُطْفِئُهَا وَالْهُمُومُ تُشْعِلُهَا

إِذَا أَطْمَأَنَّتْ وَأَيْنَ؟ أَوْ هَدَاتْ عَنَّتْ لَهَا ذُكْرَةٌ تُقَلِّقُهَا^(٤)

تَسْأَلُ عَنَّا الرُّكْبَانَ جَاهِدَةً بِأُدْمَعٍ مَا تَكَادُ تُمَهِّلُهَا

الآبيات السابقة حافلة بتحطم الأمان عند أبي فراس، فالأم هي مصدر الأمن والأمان والحنان فإذا كانت هذه الأم فاقدة لها فكيف يستقي منها ذلك، فالأم هي الملاذ الآمن وهاهي تعاني ما يعانيه من قلق وهم وقد أضناها السهر ترتقب ابنها بشغف وعودته سالما، تلك الأمور المقلقة انعكست بدورها في مخيلة الشاعر ونفسيته، فهو يعاني آلامها وفقدائها والبعد عنها "فالشاعر عندما يصف معاناتها أو بتعبير أدق وصف لنا حاله على لسانها؛ لأن عز الأمير يحول بينه وبين التعبير عن ذل الأسير وهذه طريقة رائعة

(1) الديوان ص ٣١٧

(2) الديوان ص ٢٤١

(3) معللها : مسليها

(4) تقاتلها : أي مضطربة : شرح خليل الدويهي ص ٢٣٦

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

في الإبانة الفنية عن همومه وأحزانه فنقل القصيدة من جوها الخاص لتلامس الأجواء الإنسانية العامة التي تتخطى حدود الزمان والمكان. ^(١) مما دفعه لطلب الفداء .

ج- هم المهجر والبعد :

إن للحبس والأسر أثرهما في النفس على الإنسان ، ولكن النفي هو أشد وطأة وأقوى أثرا وبخاصة النفي النفسي لا الجسدي ، وتلك كانت من أشد همومه التي طالما أرهقته والتي زخر بها شعره بكثير من الأبيات، فخوفه من هجر سيف الدولة بعد أقربائه شكلت عبئا نفسياً له .

"ولاشك أن ارتباط المرء بالعالم الخارجي ارتباطا تفاعليا إنما يحول بينه وبين الوقوع في فخ الوسوسة ذلك أن الأصل في الوسوسة الانغلاق في عالم العقل بغير قدرة على الخروج من إطار هذا العالم إلى عالم الواقع" ^(٢).

فالعواطف لاتستثار إلا إذا كان المرء حبيساً فتتدافع الإنفعالات النفسية يقول:

وَمَا كُنْتُ أَحْشَى أَنْ أْبَيْتَ وَبَيْنَنَا خَلِيْجَانِ وَالْدَّرْبُ الْأَشْمُ وَالسُّ

وَلَا أَنْي أَسْتَصْحِبُ الصَّبْرَ سَاعَةً وَلِي عَنكَ مَنَاعٌ وَدُونَكَ حَاسِبُ

يُنَافِسُنِي فِيكَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ وَكُلُّ زَمَانٍ لِي عَلَيْكَ مُنَافِسُ ^(٣)

يخشى أبو فراس المبيت بعيداً عن سيف الدولة ذلك البعد الذي حدده جغرافياً بالدروب والأنهار والبحار تلك المسافات التي تحد من لقاءه لسيف الدولة بل قد تجعل سيف الدولة يستبدله بآخرين .

فلم يكن العمل الجغرافي هو المنافس الوحيد لأبي فراس ، بل الزمان أيضاً وقد صبغه بصبغة بشرية ، فالزمان قد أخذ شبابه وصحته وقوته وهذا الشك السيكيولوجي انصب على من حوله ، فبات يتعامل معهم بتقلب فتارة من شك إلى حب ومن حب إلى كره تارة أخرى يؤكد ذلك قوله :

وَمَا كُنْتُ أَحْشَى أَنْ أَرَى الدَّهْرَ حَاسِدِي كَأَنْ لِيَالِيهِ لَدِي الْأَقْرَابُ

(١) أبو فراس الحمداني شاعر الفروسية والوجدان إعداد د. محمد حمود - دار الفكر اللبناني - بيروت ص ١٢٤

(٢) سيكيولوجية الشك يوسف ميخائيل أسعد - دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٩٧ م ص ١٧٥

(٣) الديوان ص ١٧٦

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَلَكِنِّي فِي ذَا الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ غَرِيبٌ وَأَفْعَالِي لَدَيْهِ غَرَائِبٌ^(١)

كذلك نرى معاناته متجلية في هم بعده عن أقربائه ومن ذلك خطابه لأخيه :

لَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو الْبُعْدَ مِنْكَ وَبَيْنَنَا بِلَادٌ إِذَا مَا شِئْتُ قَرَبَهَا الْوَحْدُ^(٢)

فَكَيْفَ وَفِيمَا بَيْنَنَا مُلْكٌ قَيْصِرٍ وَلَا أَمَلٌ يُحْيِي النَّفْسَ وَلَا وَعْدُ^(٣)

ليس الأمر مقتصرًا على سيف الدولة بل ينسحب كذلك على أقربائه وأهله فالبعد ولد الشكوك والظنون بعد الاهتمام والسؤال عنه ، وإن كان الالتحام بين الأقرباء يولد الأمانة والطمأنينة في نفس الإنسان فهو هنا لا يسأل المفاداة بل يسأل الوصال والقربى عليها تخفف ما يقاسيه .

٤- هَمُّ الشَّامِتِينَ وَالْحَسَادِ :

شب أبو فراس في كنف ابن عمه الذي شمله بالحنان والرعاية ، فميزه سيف الدولة عن سائر القوم فقد كان معجبا جدا بسجاياه وأخلاقه ، فكان يصطحبه في غزواته ويستخلفه على أعماله ولقد "أقطعته ضيعة بأعمال منبج تغل ألفي دينار في السنة وزاد سيف الدولة على ذلك أن ولاه منبج وحران وأعمالهما جميعا"^(٤).

مما أعطى أبا فراس القوة والسلطة الشيء الكثير "فقد كان سيف الدولة يمتلئ فخرا واعتزازا وهو يرى ابن عمه يتفانى في الذود عن ملك بني حمدان ، ويحمي ذمار ولايته."^(٥)

لقد كان أبو فراس اليد اليمنى لسيف الدولة والأمير الفارس والشجاع ، وبهذه الانتصارات من الطبيعي أن يبرز له من ينافسه على تلك السلطة والولاية ، بل وزوالها عنه فقد كانت المنزلة التي لقيها لدى سيف الدولة أشعلت قلوب الحاسدين فجعلوا يترصدون له كل مرصد ، فكانوا يؤلبون سيف الدولة عليه

(1) الديوان شرح خليل الدويهي ص ٤٣

(2) الوحد : السير السريع

(3) الديوان شرح ابن خالويه ص ٧٩

(4) تاريخ الأدب العربي - حنا فاخوري - المطبعة البولسية الطبعة الثانية - بيروت - ١٩٥٣م ، ص ٦٤٧

(٥) أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية ص ٤٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ويكثرون الأقاويل لتفكيك تلك الرابطة المتينة التي بلغها ولم يبلغها آخرون ولقد شكلت تلك الفئة حيزاً في شعره وبخاصة (روميته) فقد خصص مقطوعة كاملة يصف فيها حساده ومنها يقول^(١) :

عَتَادِي لِدَفْعِ الْهَمِّ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ وَقَلْبٌ عَلَيَّ مَا شِئْتُ مِنْهُ مُصَاحِبٌ
وَجُرْدٌ كَأَمْثَالِ السَّعَالِي سَلَاهِبٌ وَخُوصٌ كَأَمْثَالِ الْقِسِيِّ نَجَائِبٌ^(٢)
تَكَاتَرُ لَوَامِي عَلَيَّ مَا أَصَابَنِي كَأَنْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِأَسْرِي النَّوَائِبُ
يَقُولُونَ: لَمْ يَنْظُرْ عَوَاقِبَ أَمْرِهِ وَمِثْلِي مَنْ تَجْرِي عَلَيْهِ الْعَوَاقِبُ
أَلَمْ يَعْلِمِ الذُّلَانَ أَنَّ بَنِي الْوَعْيَى كَذَلِكَ سَلِيبٌ بِالرَّمَاكِحِ وَسَالِبٌ

لقد اتخذ أبو فراس الاتجاه الواقعي في تفسيره وتحليله لما جرى له قبل الأسر وذلك أمر طبيعي ، غير مستغرب ولا مستحدث لمن يطأ أرض الحرب ويدافع عن الحمى ويصون الأعراض فلا بد له أن يحتمل تبعاتها أكان بأسر أو بموت وكلاهما خير له من عيشة الذل التي تصحب الفرار والهروب فهو إما (سليب بالرماح أو سالب).

"فالخوف من ملاقاته الموت في الحرب لم يمنعه من ملاقاته شبحه بعيداً عن الحرب وشبح الموت يتبعه ويترصده ويلح عليه ومهما فر لا يكسبه الفرار إلا العار والإحساس بالعجز والضعف وإذا لم يكن من الموت بد فلتكن المعركة إذا صريحة واضحة يلاقي فيها فارس فارساً فإذا لامه لائم على كثرة اقتحامه الأهوال وتعريض نفسه للأخطار أجاب بأن الأخطار محدقة به سواء اقتحمها أو لم يقتحمها."^(٣)

ويقول :

فَلَيْتَ مَنْ خَلَصَ نَفْسَهُ فَيَأْتِي شَرَّ الْعَدَى طِفْلاً

(1) الديوان ص ٣٥-٣٦

(2) السعالي: أنثى الغول، سلاهيب: طول، الخوص: أخوص غائر العينين

(3) قضايا في الأدب والنقد رؤية عربية وقفة خليجية د. ماهر حسن فهمي - دار الثقافة قطر - الدوحة طبعة ١٩٨٦

١٩٨٦ م ص ٥٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ زَا دَعَا لِي
وَلَكِنَّ قُتِلَ كَرَامُ مَوْتُ الْكِرَامِ
فَأَنْتَ الصَّنْدُ مَا الصَّنْدُ
وعلى ذلك نجد أن أبا فراس برر لنفسه قبل قومه وقوعه في الأسر، وأن كل ما قيل عنه إنما هو قول حاسد شامت وهو في شغل عن ذلك كله بذكر الله فهو يترفع عن اللغو بقوله :

وَإِنْ مَسَامِعِي عَنْ كُلِّ عَذْلٍ لَفِي شُغْلٍ بِحَمْدٍ أَوْ سُؤَالٍ^(٢)

ومن وسائل التعامل مع هذه الفئة كذلك الصد عن التعامل والتفاعل ، وهذا يدل على سمو نفسه وعدم إنزال نفسه إلى مستوى الجدال واللغو عن هذه الفئة. يقول:

وَرُبَّ كَلَامٍ مَرَّ فَوْقَ مَسَامِعِي كَمَا طَنَّ فِي لُوحِ الْمَجِيرِ ذُبَابٌ^(٣)

وعلى ذلك فإنه من خلال الأبيات السابقة التي رصدت هموم الشاعر وآلامه ومخاوفه تظهر لنا ذاته القلقة والحائرة وذلك الحزن الداخلي الذي تحول إلى معاناة وألم سواء أكانت علل جسدية أم نفسية والتي أطلق عليها الدكتور عبدالله بن ثقفان في كتابه الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين مسمى (علل ذاتية)^(٤) ويقصد بها ما يتصل بها من علل الشكوى والعتاب والألم والفراق والحنين للوطن والغربة والغربة .

مما تقدم من هموم أبي فراس الذاتية والجسدية ، نجد أن أبا فراس في كثير من رسائله الشعرية وبخاصة لسيف الدولة كانت تصويراً للحال التي كان يعاني منها في أسره ، من جراح جسدية ونفسية ، وأسره الذي سبب له الأسى والحزن والشوق إلى الأهل والوطن ، والشعور بالغربة والبعد عن الأقارب مما جعله يلح في الفداء مليبا رغبات أمه العجوز بمنهج ، وطلباً للخلاص من الأعداء وشماتة الحساد، فصدرت شكواه وهمومه من قلب جريح وصادق صادرة من أعماق نفسه معبرة عن ذاته المعذبة.

(1) الديوان ص ٢٤٠

(2) الديوان ص ٢٠٩

(3) السابق ص ٢٥

(٤) الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين د. عبدالله بن ثقفان - دار التوبة - الرياض ١٩٩٦م ص ٣٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أخلص أحياناً: من خلال رصدي لحياة أبي فراس غير الأكاديمية والمتجلية في ذاته الجسدية وذاته النفسية من خلال روميته ، بأن انقطاعه عن العالم الخارجي وانطوائه على أحزانه قد ولد ذاتاً جديدة ، ليست ذات أبي فراس قبل الأسر ذاته الهادئة، وإنما ذات متقلبة بين الألم والأمل والشوق والحنين والذلة والاعتزاز والرجاء والكبرياء ، كل ذلك أسهم في بناء وخلق شخصية جديدة لأبي فراس .

فقد علا فيها صوت الأنا وكثر فيها رصد الإنجازات ؛ ربما ليوازن بين انكساره في الأسر وكبريائه قبل ذلك، وليطفئ بها نار ذاته المعذبة والمعلقة وهو مفسره د. نيلا غرانبرغر: " أن الجرح النرجسي الذي لا تتحمله الأنا يجند بعض آليات الدفاع، فالنرجسية في التصور الفرويدي لا تمثل حب الفرد ذاته فحسب ولكنها تمثل أيضاً عاطفة القوة الكلية"^(١).

وعلى ذلك نرى أن أبا فراس قد اتخذ الاتجاه إلى ذكر مواطن القوة الكلية في حياته الجسدية أو العاطفية؛ ليتخلص من عواطف الضعف لديه ويستعيد قوته النرجسية الكلية .

ثانياً: الذات الأكاديمية :

الذات الأكاديمية تجمع لنا محصلات المرء العلمية والدينية والثقافية التي اكتسبها خلال حياته. "ويتضمن الذات التحصيلية ومفهوم ذات القدرة :العلوم الطبيعية والدراسات الاجتماعية واللغات"^(٢). ومن نظرتي إلى ديوان أبي فراس (روميته) ومن خلال التعريف بالذات الأكاديمية قد حددت بعض المعالم الواضحة لشخصيته الثقافية ، كما رسمها في شعره أو ذكرها المؤرخون وهي على قسمين:

أ- الثقافة اللغوية والدينية والعلمية والتاريخية.

ب- الثقافة الحربية.

أولاً: الثقافة اللغوية والتاريخية والدينية

كان لنشأة أبي فراس في أسرة عريقة أكبر الأثر في تكوين شخصيته الثقافية ، فقد كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء اشتهروا بالفصاحة والرجاحة ،وقد قال عنهم الثعالبي: " كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة وألسنتهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة"^(٣).

(١) النرجسية -دراسة نفسية د.نيلا غرانبرغر -ترجمة وجيه أسعد منشورات وزارة الثقافة -دمشق -سوريا

٢٠٠٠م ص ٧٦

(٢) مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق ص ٤٤

(٣) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر تأليف أبي منصور الثعالبي النيسابوري شرح وتحقيق د. مفيد محمد الجزء

الأول الطبعة الأولى ١٤٠٣-١٩٨٣ م دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان ص ١٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فقد عاش في ظل سيف الدولة الذي اتسم بلاطه بزخرة العلماء والأدباء في جميع فروع المعرفة المختلفة فمن "علماء النحو ابن خالويه، ومن علماء اللغة ابن جني، ومن أساطين الشعراء: المتنبي والنامي وغيرهم، ومن الفلاسفة الفارابي"^(١).

تتلמד أبو فراس على أيدي عديد من العلماء مما شكل أكبر الأثر في تنوع ثقافته وعلومه :

أ- الفصاحة والبلاغة والشعر:

تميز بلاط سيف الدولة بزخرة شعرائه "كان بلاط سيف الدولة ميدان سباق بين الشعراء والعلماء والأدباء فسارع كل شاعر إلى ساحته؛ لينال عطاء الأمير ويحصل على صلواته فكثرت الشعراء في عهد سيف الدولة كثرة نادرة فلم يجتمع قط بباب واحد من الملوك بعد الخلفاء كما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر"^(٢).

وتميز -أيضاً- بلاط سيف الدولة بتنوع شعرائه من مختلف الأمصار والأقطار "فكان في بلاطه المتنبي وأبو فراس والصنوبري وكشاجم والسري الرّفاء ، والأواء دمشقي ، والنامي والخالديان ، وابن نباتة السعدي والسملي وغيرهم ، ووفد عليه من أرض الكنانة أكثر من شاعر كالمغنم المصري ومحمد بن سلمى الشيباني."^(٣).

كل ذلك شكل منافسة شديدة على أبي فراس ، وزاد من شاعريته من خلال السجلات التي دارت ، ولاسيما سجلاته مع المتنبي والتي أثرت الشعر بكثير من القصائد.

يقول في ذلك الثعالي "كان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامي جانبه فلا ينيري لمباراته ولا يجتريء على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه آل حمدان تهيئاً له وإجلالاً لا إغفالاً وإحلالاً."^(٤)

فكان المتنبي يحسب له حساب المواجهة ويتوخاها "وربما كان من أشد خصومه ((يقصد المتنبي)) أبو العباس النامي الشاعر وأبو فراس الحمداني وابن خالويه النحوي"^(٥).

(١) شعر أبي فراس الحمداني دراسة فنية تأليف ماجدولين بيسيرو الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ص ٥٤

(١) بيتيمة الدهر ١/ ١١٣

(٣) الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني تأليف د.سعود محمود عبدالجابر جامعة قطر مؤسسة الرسالة الطبعة

الطبعة الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١ م بيروت لبنان ص ٥٩

(٤) بيتيمة الدهر ١/ ٣٥

(٥) الشعر في رحاب سيف الدولة، ص ٧٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وبذلك نرى أن أبا فراس قد اشتدت شاعريته حتى أصبح يتغنى بذلك ويقول:

وَهَلْ لِلْفَصَّاحَةِ وَالسَّامَا حَاةِ وَالْعُلَى عَنِّي مَجِيدٌ^(١)

ويقول مخاطباً سيف الدولة:

جَنَانِي مَا عَلِمْتَ وَلِي لِسَانٌ يَقْدُ الدَّرْعَ وَالْإِنْسَانَ عَضْبٌ^(٢)

فعلی الرغم من شاعريته وبلاغته لم يتخذ أبو فراس الشعر وسيلة للتكسب أو حرفة سخرها لظفر الهبات، فهي أمور لا تتناسب ومثاليته التي طالما ناشدها؛ فهو يمدح الرجل بما فيه لاطمعاً ولا كسباً.

نَطَقْتُ بِفَضْلِي وَامْتَدَحْتُ عَشِيرَتِي وَمَا أَنَا مَدَّاحٌ وَلَا أَنَا شَاعِرٌ^(٣)

فمداح وشاعر لفظتان مترادفتان في ذهن الشاعر للتكسب والتمدح، وقد أخرجها من قاموسه الشعري ليسمو بمهدف أسمى من ذلك كله؛ وهو بيان فضائل عشيرته التي طالما تغنى بها. "فلم يكن أبو فراس في قوله الشعر ومدحه لسيف الدولة بوقا كالشعراء المتكسبين وإنما كان أميراً يعبر شعره عن خلجات نفسه وخواطره ومقاله في سيف الدولة إنما دفعه إليه صلة النسب والقربة"^(٤). وقد قال عنه د. يحيى شامي "من ألمع شعراء العصر العباسي الثاني ومن الفرسان المعدودين"^(٥)

واتسم أيضاً بدلائل الملكة اللغوية والشعرية كما ذكره د. عبد عون الروضان "نشأ أبو فراس الحمداني في كنف ابن عمه الذي رعاه لما توسم فيه من أمارات الشجاعة والذكاء وعلو النفس، فاستقى من ذلك الجو الأدبي ما قوم لغته ونمى ملكته الشعرية"^(٦).

وفي ضوء ما سبق نجد أن أبا فراس قد علت شاعريته في ظل سيف الدولة، الذي دعمه وساعده في صقل تلك الملكة التي سماها عن التكسب والهبات إلى سجل حافل بماثره وشجاعته وماثر قومه.

ب- الثقافة التاريخية:

(١) الديوان ص ٧٧

(٢) السابق ص ٣١

(٣) الديوان ص ١٢٠

(٤) شعر أبي فراس الحمداني. دراسة فنية ص ٧٢

(٥) موسوعة شعراء العرب د. يحيى شامي دار الفكر العربي - بيروت: ٩٢ / ٢

(٦) موسوعة شعراء العصر العباسي د. عبدعون الروضان دار أسامة للنشر والتوزيع: ٥٦ / ٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

كان أبو فراس عارفا بتاريخ العرب ووقائعهم وأيامهم ، فنجد الكثير من الإشارات إلى أعلام وأحداث تاريخية قد رصدها حينما أسر؛ ليضرب بها الأمثال لسيف الدولة عله يعجل بالفداء ، أو مخاطبا بها قلب والدته ليدعوها للتجلد والتصبر يقول^(١):

وَقَدْ عَلِمْتُ أُمِّي بِأَنْ مَنِيَّتِي بِحَدِّ سِنَانٍ أَوْ بِحَـ____دِ
كَمَا عَلِمْتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَغْرُقَ ابْنُهَا قَضِـ____سِ
وَلِلْعَارِ خَلَّى رَبُّ غَسَّانَ مُلْكَهُ بِمَهْلَكَةٍ فِي الْمِـ____سَاءِ أُمُّ شَبِيبِ
وَلَمْ يَرْتَعِْبْ فِي الْعَيْشِ عَيْسَى بْنِ مُصْعَبِ وَفَـ____ارِقَ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ
مُـ____صِـ____بِ (٢)
وَلَا خَفَّ خَوْفُ الْحَرْبِ قَلْبَ حَيْبِ (٣)

لقد ذكر الشاعر بعض الرموز التاريخية ، التي تحمل على مدى صدق بعض النبوءات التي تجري في هذه الحياة ومن ذلك "أم شبيب رأت كأنها ولدت نارا فلما بلغت السماء وقعت في ماء فطفئت فكان يقال لها قد مات ابنك فتقول لا ، فيقال قد قتل فتقول لا ، فلما قيل لها قد غرق بكت وناحت عليه." ^(٤) وغير ذلك من ذكر قصة جبلة بن الأيهم الغساني أم عيسى بن مصعب بن الزبير .

ويقول أبو فراس مخاطبا أمه مستدعياً شخصيات تاريخية من نساء المؤمنين لتكون أدعى للاحتذاء^(٥) :

أَمَّا لِكِ فِي ذَاتِ النَّطَاقِينَ أُسْوَةٌ بِمَكَّةَ وَالْحَرْبُ الْعَوَانُ تَجُولُ^(٦)
أَرَادَ ابْنُهَا أَخَذَ الْأَمَانَ فَلَمْ تُجِبْ وَتَعَلَّمُ عِلْمًا أَنَّهُ
لَقَتْنَا

(1) الديوان ص ٤٠-٤١

بأمر فتتصر هو وثلاثون ألفاً من غسان ﷺ (2) هو جبلة بن الأيهم الغساني لطم رجلاً فألزمه عمر بن الخطاب ثم ندم: شرح ابن خالويه ص ٤٠ .

(٢) عيسى بن مصعب بن الزبير كان مع أبيه في حرب عبد الملك وهو صبي فلما أحس مصعب الموت قال له

أبوه انج بنفسك فقال والله ما كنت لأفارقك وتقدم فقاتل حتى قتل، شرح ابن خالويه ص ٤١

(٣) السابق ص ٤٠ .

(5) السابق ص ٢٣٣

(6) ذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر الصديق أم عبدالله بن الزبير، شرح ابن خالويه ص ٢٣٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وقوله :

وَكُونِي كَمَا كَانَتْ بِأَحَدٍ صَفِيَّةٌ وَلَمْ يُشْفَ مِنْهَا بِالْبُكَاءِ غَلِيلٌ^(١)

ومن أبياته ما كان مخاطبا فيها سيف الدولة ، لحملة على سرعة الفداء وتحذيره مما قد يترتب على عدم الفداء:

فَإِنْ مِتُّ بَعْدَ الْيَوْمِ عَابَكَ مَهْلَكِي مَعَابَ النَّبِ زَارِيْنِ

هُمْ عَضَلُوا عَنْهُ الْفِدَاءَ فَأَصْبَحُوا مَهْلُكَ مَهْلَكِ

وَلَمْ يَكُ بَدْعًا هُلُكُهُ غَيْرَ أَنَّهُمْ يُعَابُونَ إِذْ سِيمَ الْفِدَاءِ وَمَا فِدِي^(٢)

وقد ذكر العديد من الوقائع والمعارك ، التي مثلت الدفاع عن أرضها مثل معركة اليرموك الحاسمة ؛ ليحث قومه على الدفاع وتقوية عزم أمير الدولة وجنده يقول^(٣):

وَالْمُسْلِمُونَ بِشَاطِئِ الْيَرْمُوكِ لِي مَا أُخْرِجُوا عَطْفُوا عَلَى هَامَانَ^(٤)

وَحُمَاةَ هَاشِمٍ حِينَ أُخْرِجَ صَدْرُهَا جَرُّوا الْبَلَاءَ عَلَى بَنِي مَرْوَانَ^(٥)

كذلك تمثلت ثقافته التاريخية في حشد بعض أسماء الشخصيات والأعلام البيزنطية ، من خلال مناظراته مع الدمستق وهو ما سيتم التفصيل عنه لاحقاً.

وبذلك نرى مدى اتساع أفق الشاعر التاريخي ، وحسن اطلاعه على وقائع وقصص الأمم السابقة ، وحسن استدلاله واستشهاده بها من خلال طرحه الأمثال والقصص لأخذ العبرة وتسكين قلب والدته والتعجيل بالفداء.

(1) شرح ابن خالويه ص ٢٣٣ ﷺ صافية : عمه النبي محمد

(2) الديوان ص ٨٤

(3) السابق ص ٣٠٥

(4) يشير إلى موقعة اليرموك التي انتصر فيها المسلمون على الروم وكان هامان رئيسها شرح ابن خالويه ص ٣٠٥

(5) يشير إلى انتزاع الهاشميين أي بني العباس الخلافة من بني مروان الأمويين، شرح ابن خالويه ص ٣٠٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ج- الثقافة المنسبية:

كان لأبي فراس نصيب في علم الأنساب وتاريخها ومدلل على ذلك مقاله حين افتخر بنسبه^(١):

وَفَرَعِي فَرَعُكَ السَّامِي المَعْلَى وَأَصْلِي أَصْلُكَ الرَّاكَي وَحَسْبُ
لِإِسْمَاعِيلَ بِي وَبَنِيهِ فَخْرُ وَفِي إِسْحَاقَ بِي وَبَنِيهِ عَجْبُ
وَأَعْمَامِي رِيْعَةٌ وَهِيَ صَيْدُ وَأَخْوَالي بَلْصُفْرٌ وَهِيَ غُلْبُ

وقوله:

إِذَاخِفْتُ مِنْ أَخْوَالي الرُّومِ خُطَّةً تَخَوَّفْتُ مِنْ أَعْمَامِي العُرْبِ أَرْبَعًا^(٢)

لقد نسب أبو فراس خوئلته إلى الروم ولم يقصد بها فخره بخوئلته القريبة عندما ذكر أحواله بني تميم:

لَمْ تَتَفَرَّقْ بِنَا خُؤُولُ فِي جِذْمِ عِزٍّ وَلَا عُمُومُ
سَمَتْ بِنَا وَائِلٌ وَقَازَتْ بِالْعِزِّ أَخْوَالَنَا تَمِيمُ^(٣)

بل فخره بخوئلته عندما جمع في نفسه العمومة الإسماعيلية والخوولة الإسحاقية وهو مدلل عليه بقوله:

لِإِسْمَاعِيلَ بِي وَبَنِيهِ فَخْرُ وَفِي إِسْحَاقَ بِي وَبَنِيهِ عَجْبُ^(٤)

د- الثقافة الدينية :

كان أبو فراس حسن التدين قوي الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى ، فنجد كثيراً من المفاهيم الإسلامية ، التي تمازجت في شعره لتكامل لنا ذاته الشخصية الدينية ، فكانت صبغة ثابتة في سلوكه وفي بناء مجتمعه كذلك. فدراسة الشخصية تدعو إلى الاهتمام بموضوع الأخلاق والدين ، لعلاقتها الوثيقة بالشخصية

(1) الديوان ص ٣١-٣٢

(2) الديوان ص ١٨٤

(3) السابق ص ٢٥٢

(4) السابق ص ٣١

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وهذا ما ذكره الدكتور سيد مرسي في كتابه الشخصية السوية : "إن الاهتمام بموضوع الأخلاق والدين لعلاقتهما بالشخصية ، وإن الأخلاق في الإسلام طرقت جميع جوانب الحياة الإنسانية سواء أكانت روحية أم جسمية ، دينية أم دنيوية ، فردية أم اجتماعية ."^(١)

فقد هذب أبو فراس هذه الذات من خلال تعاليم القرآن الكريم وثقافته الدينية بآل البيت ومكارم أخلاقهم .

فمن أبرز هذه المبادئ التي ذكرت في رومياته على سبيل المثال لا الحصر :

أ - التسليم بالقدر :

نرى أن أبا فراس شديد الارتباط بموضوع القضاء والقدر ، وارتباطه بقدرته إلهية سماوية مما أدى إلى وجود صراع نفسي داخلي في ذات أبي فراس المعذبة ، فبين الرغبة في الدنيا وسلطتها والتسليم بالقضاء والقدر يقول :

وَهَلْ يَدْفَعُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ وَاقِعٌ وَهَلْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ كَاسِبٌ

وَهَلْ لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي النَّاسِ غَالِبٌ وَهَلْ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ فِي النَّاسِ هَارِبٌ^(٢)

وقوله :

وَمَا لَمْ يُرِدْهُ اللَّهُ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ إِلَيْهِ سَبِيلٌ^(٣)

ب- مقابلة الإساءة بالإحسان :

لاشك في تأثر أبي فراس بالقرآن الكريم وبتعاليمه السماوية ، فقد علم أبو فراس أن الإسلام دين رحمة وتسامح يقول مخاطبا سيف الدولة :

وَأَتَى عَلَى الْحَالِينَ فِي الْعَتَبِ وَالرَّضَى مَقِيمٌ عَلَى مَا كَانَ يُعْرِفُ مِنْ وُدِّي^(٤)

(١) الشخصية السوية إعداد د. سيد عبدالحميد مرسي- الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م دار التوفيق النموذجية

للطباعة الأزهر-مصر ص ١٣٠

(٢) الديوان ص ٣٦

(٣) السابق ص ٢٣٤

(٤) السابق ص ٩٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وهذا تأثر بقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ أُمَّةَ نَجَتْ مِنْ يَدِ اللَّهِ إِذْ يَخْرُجُ بِالْحَقِّ لِيُعَذِّبَ الْأَعْدَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْعَذَّبُونَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (١)

ج- ترفع عن اللغو في الحديث :

لقد أبقى أبو فراس على وقاره فلم ينحرف لاستفزات اللاغين :

وإنَّ مَسَامِعِي عَنْ كُلِّ عَذْلٍ لَفِي شُغْلٍ بِحَمْدٍ أَوْ سُؤَالٍ (٢)

وقوله (٣) :

وَرُبَّ كَلَامٍ مَرَّفَ فَوْقَ مَسَامِعِي كَمَا طَنَّ فِي لُوحِ الْمَجِيرِ ذُبَابٌ (٤)

وهذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ أُمَّةَ نَجَتْ مِنْ يَدِ اللَّهِ إِذْ يَخْرُجُ بِالْحَقِّ لِيُعَذِّبَ الْأَعْدَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْعَذَّبُونَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٥)

د- الحلم عند الغضب :

إن من سماحة عقله نجده رحب الصدر يتجاوز الهفوات ، مما أعطاه القدرة على كبح النفس وعدم الوقوع في العثرات نتيجة غضبه فلاتسحقه التوافه :

فَأَشْكُرُ مَا كُنْتُ فِي ضَجْرَتِي وَأَحْلِمُ مَا كُنْتُ عِنْدَ الْعَضْبِ (٦)

هـ- الصبر :

لقد عرف أبو فراس الصبر بقدر لا يعرفه غيره من الشعراء، فقد كانت سنوات الأسر شديدة الوطأة عليه ولم

(١) فصلت : ٣٤

(٢) السابق ص ٢٠٩

(٣) الديوان ص ٢٥

(٤) اللوح: الهواء بين الأرض والسماء

(٥) المؤمنون : ٣

(٦) الديوان ص ٢٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

يعرف سبيلا للخلاص إلا الصبر ، سواء أكان صبرا على آلامه وجراحه التي عاناها، أم صبره على فراق الأحبة وشماتة الأعداء فقد عرف أبو فراس الصبر بشتى أنواعه وألوانه .

يقول:

صَبُورٌ وَلَوْ لَمْ تَبْقَ مِنِّي بَقِيَّةٌ قَؤُولٌ وَلَوْ أَنَّ السُّيُوفَ جَوَابٌ^(١)

وقوله :

نَدَبْتَ لِحُسْنِ الصَّبْرِ قَلْبَ نَجِيبٍ وَنَادَيْتَ بِالتَّسْلِيمِ خَيْرَ مُجِيبٍ^(٢)

ونرى ذلك في قوله تعالى :

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ إِنَّمَا جَعَلْتُمَا شُرَكَاءَ لِي﴾^(٣)

و- البر بالوالدين :

كما ذكرنا سابقا فقد نشأ أبو فراس يتيم الأب ، فكانت أمه هي الراعية له بعد وفاة والده فلم تتزوج ، فقامت على تربيته التربية الصالحة فلم يغيب عن ذهن شاعرنا ذلك بل أفرد لها الكثير من القصائد التي امتدح بها والدته والتي فضل في بعضها الذل في سبيل إسعادها وإعالتها وخدمتها والرأفة بحالها .

لَكِنَّنْ أَرَدْتُ مُرَادَهَـا وَلَوْ ائْتَجَزْتُ إِلَى الدِّيَّـةِ^(٤)

تأسيا بقوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَسَبِهِمْ لَدِينٌ﴾^(٥)

(1) السابق ص ٢٤

(2) السابق ص ٤٠

(3) محمد : ٣١

(4) الديوان ص ٣١٧



مما سبق نجد أن شخصية أبي فراس تدعو للاهتمام لعلاقتها الوطيدة بالدين وجوانبه الإنسانية والروحية ، فينطلق الإسلام في تكوينه الشخصي الإسلامي باعتبار أن الدين منظم لحياته فكل سلوك ودافع يصوغه في إطار الصلة الدينية بالخالق . فنجد الكثير من التوافق بين ذات أبي فراس الواقعية وذاته المثالية التي ناشدها.

الثقافة الحربية :

لقد حفلت روميات أبي فراس بالحديث عن الفروسية لأنها كانت الطابع المميز له ، فهي مظهر من مظاهر حياته ، التي نشأت نتيجة عدة عوامل منها :

١- عوامل اجتماعية :

لقد لعب نسب أبي فراس دوراً كبيراً في بناء ثقافته الحربية فقد نشأ نشأة عربية صميمة من أسرة تنسب إلى تغلب يقول :

لَنَا أَوْلُ فِي الْمَكْرَمَاتِ وَأَخِرُّ
وَبِإِطْنِ مَجْدٍ تَغْلِبِيٍّ وَظَاهِرٍ^(٢)

تلك الأسرة التي توارثت الملك والإمارة سنين عديدة واعتادت ممارسة الحروب وقيادة الجيوش ، فقد سجل بنو حمدان صفحة خالدة في تاريخ حربهم ضد القبائل المارقة وضد الروم .

فأبو العلاء سعيد بن حمدان والد أبي فراس كان أميراً فارساً وتقلد عدة مناصب منها الموصل : " وحين تسلم الرازي الخلافة بعد موت المقتدر وحاول أن يخضع ناصر الدولة لحكمه فلم يستقم له ذلك الأمر فبحث عن ند يقف في وجه الأمير الحمداني فوجده في شخص سعيد بن حمدان عم ناصر الدولة ووالد أبي فراس وعمد إلى توليته إمارة الموصل . " ^(٣)

وحيثما توفي والد أبي فراس ، أحاطه ابن عمه سيف الدولة بالرعاية والعناية ووفرت له تربية صالحة وتولاه بمن يدرّبونه على أساليب الفروسية ، ومن شدة إعجاب سيف الدولة به ومارآه فيه من القوة

(1) الإسراء : ٢٤

(2) الديوان ص ١٠٧

(3) أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية ص ٤٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

والبسالة والشجاعة جعله قائد جيوشه ونائبه فيها يقول الثعالي: " وكان سيف الدولة يعجب جدا بحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطفيه لنفسه ويصطحبه في غزواته ويستخلفه على أعماله وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ويوفيه حق سؤدده. " (١).

وعلى ذلك نجد أن أبا فراس استقى فروسيته وشجاعته من أبيه وأجداده الذين حكموا وملكوا سنين طويلة، وكذلك ابن عمه الذي كان له الدور الأبرز في تربيته وسقايته علوم الفروسية وألوان القتال ، فهو من بيئة تقلدت المناصب والسيوف في سبيل نصرته الحق والقبيلة .

٢- عوامل أخلاقية :

إن شخصية الفارس البطل تملي على أبي فراس أن يكون إنساناً سامياً في مثله إلى جانب بطولته ،فجانب الحرب وجانب المثل العليا يمثلان بناء واحدا وروحا واحدة وهي كما يلي :

أ- المجد والعلا:

ناشد أبو فراس المثالية التي ترتقي به إلى أعلى درجات المجد ليرضي بما غروره وطموحه الذي بلغ به أرقى درجات العلا فهو ذو بصيرة نافذة وتطلع إلى المستقبل :

هُمْ يُطْفِئُونَ الْمَجْدَ وَاللَّهُ مُوقِدٌ وَكُمْ يُنْقِصُونَ الْفَضْلَ وَاللَّهُ وَأَهْبُ

وَيَرْجُونَ إِدْرَاكَ الْعُلَا بِنُفُوسِهِمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْمَعَالِي مَوَاهِبُ^(٢)

فالمجد هنا يقصد السيادة على القبيلة ، " فكل من ليس سيديا في قومه ليس ماجدا . " (٣).

تبين لنا أن المجد والعلا لهما تأثيرا على ذات أبي فراس النفسية ، فهي تزيد من طاقاته الإيجابية وترفعها إلى أعلى مستوى، مما ينعكس إيجابا على قدرته العجيبة في الرد والنيل من حاسديه يقول :

قَلِيلٌ اعْتَذَارٍ مَنْ يَبِيْتُ ذُنُوبَهُ طَلَابُ الْمَعَالِيِ وَاكْتِسَابُ

الْمَمَامِدِ^(٤)

وقوله :

أَلَمْ يَرَى هَذَا النَّاسُ غَيْرِي فَاضِلًا وَلَمْ يَظْفَرِ الْحُسَّادُ قَبْلِي بِمَاجِدِ^(٥)

(1) بيتيمة الدهر ٣٢/١

(2) الديوان ص ٣٦

(٣) أبو فراس الحمداني تأليف خليل شرف الدين _ منشورات دار ومكتبة الهلال - بيروت طبعة ١٩٩٦م ص ٤٣

(4) الديوان ص ٨٧

(5) السابق ص ٨٧

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ومما هو طريف في ذلك أن كل ما استحوذ عليه من مجد وعلا لم يجزها بالجهد بل باليسير! وذلك تناقض جميل فهو يسير لأنه من أسرة عريقة النسب أصيلة الطباع ، ولها هيبة اللقاء عند الأعداء كل ذلك جعله يسيرا عند أبي فراس ولكن الجهد والصعوبة تكمن في القدرة على الحفاظ عليها وهو سبب معاناة الشاعر في أسره في أن يجاهد على إبقاء تلك المكانة العالية على ماهي عليه وإن كان في الأسر :

أَيَا جَاهِدًا فِي نَيْلِ مَانِلَتْ مِنْ عَلَا رُوَيْدَكَ إِنِّي نَلْتُهَا غَيْرَ جَاهِدٍ^(١)

ويقول :

فَإِنْ عُدْتُ يَوْمًا عَادَ لِلْحَرْبِ وَالْعُلَا وَبَذَلَ النَّدَى وَالْجُودِ أَكْرَمَ عَائِدِ

خَلَاتِقُ لَأَيُوجِدَنَّ فِي كُلِّ مَاجِدِ وَلَكِنَّهَا فِي الْمَاجِدِ ابْنِ الْأَمَاجِدِ^(٢)

وعلى هذا يتبين أن المجد الذي حازه أبو فراس، هو السيادة على قبيلته وقومه.

ب - المناقب الأخلاقية :

كما ذكرنا سابقاً لقد ظهر أبو فراس بالسيادة على قومه ، وهذا جانب واحد أما مايكمله هو المجد الفروسي الذي يقف جنبا إلى جنب مع المجد السيادي ، فقد جمع أبو فراس مجدين حتى يكتمل جانب الثقافة الحربية السلمية .

ومن أبرزها :

١- العفاف :

كان أبو فراس ذا عفة مما زجره عما يخالفها من هفوات :

وَأَجْرِي فَلَا أُعْطِي الْهَوَى فَضْلَ مِقْوَدِي وَأَهْفُو وَلَا يَخْفَى عَلَيَّ صَوَابٌ^(٣)

(1) السابق ص ٨٨

(٢) الديوان ص ٨٩

(3) السابق ص ٢٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

٢- الحفاظ على العرض :

لم تمنع شجاعة أبي فراس في المعارك والحروب ، وهيبته عند اللقاء من الحفاظ على أعراض النساء، وعدم التعرض لمن بحال من الأحوال بل إكرامهن ومعاملتهم بالحسنى^(١) :

وَسَاحِبَةُ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقَيْتُهَا فَلَمْ يَلْقَهَا جَافِي اللَّقَاءِ وَلَا وَعْرُ
وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ وَرُحْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَبْيَاتِهَا سِثْرُ
وَمَا حَاجَتِي بِالْمَالِ أَبْغِي وَفُورَهُ إِذَا لَمْ أَفِرْ عَرَضِي فَلَا وَفَرَ الْوَفْرُ^(٢)

٣- حسن الجوار :

إن من صفات الفارس ليس الذود عن الحمى فقط، بل ينطلق ذلك عبر حفاظه على حمى جاره والتسارع إليه بالخير والوصل والكرم :

أَنَا الْجَارُ لِأَزَادِي بَطِيءٌ عَلَيْهِمْ وَلَا دُونَ مَالِي لِلْحَوَادِثِ بَابُ^(٣)

٤- هيبته عند اللقاء:

تميز أبو فراس بالقوة والصلابة وحسن التدبير ، فإذا ما اجتمعت كانت له هيبته في حضرته أو عند غيابه يقول مخاطباً الحساد^(٤) :

وَمُضْطَغِنٍ لَمْ يَحْمِلِ السَّرَقْلُبُ تَلَفَّتْ ثُمَّ اغْتَابَنِي وَهَوَّ هَائِبُ^(٥)
تَرَدَّى رِدَاءَ الذُّلِّ لَمَّا لَقَيْتُهُ كَمَا تَتَرَدَّى بِالْعُبَارِ الْعَنَاكِبُ^(٦)

٥- الثناء وعدم الجحود:

(١) السابق ص ١٦٠

(٢) الوفير : المال

(٣) الديوان ص ٢٥

(٤) السابق ص ٣٦

(٥) مضطغن : حاقد

(٦) تردى : لبس

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لم ينس أبو فراس فضل سيف الدولة عليه فكل قصيدة من قصائده نادرا ماتخلو من ذكره لسيف الدولة، وامتنانه لما قدمه من رعاية وحسن معاملة وتفضيله له عن سائر أقرانه وولاه عدة ولايات وقربه إليه، كل ذلك شكل الكثير في حياته فلم يستطع إلا الثناء عليه والإشادة به :

عَلَيَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ القَرْمِ أَنْعُمٌ أَوَانِسُ لَمْ يَنْفِرْنَ عَنِّي رَبَائِبُ

أَأَجْحَدُهُ إِحْسَانَهُ فِيَّ إِنِّي لَكَافِرٌ نَعَمَى إِنْ فَعَلْتُ مُوَارِبُ^(١)

٦- الحزم:

من أبرز صفات الفارس القيادي هي الحزم وعدم التهاون سواء في أمور الدين أو الدنيا :

وَلَكِنِّي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَازِمٌ أَعِزٌّ إِذَا ذَلَّتْ لَهُنَّ رِقَابُ^(٢)

وقوله مخاطباً سيف الدولة وقد ربط حزمه وقوته بسيف الدولة :

إِذَا كَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ المَلِكُ كَافِي فَلَا الحَزْمُ مَعْلُوبٌ وَلَا الحِصْمُ غَالِبُ^(٣)

مما سبق نجد بعض صفات الفارس البطل على سبيل المثال لا الحصر تلك الصفات، التي شكلت جانب الفارس الأخلاقي فقد أثبت أن جانب الحكم والسيادة لا ينفصل عن جانب الخلق والعبادة، بل هما جانبان مكملان لبعضهما، كل ذلك أثرى ذاته الشخصية الحربية بكثير من السمات، التي قلما نجدها اجتمعت في فارس، فأصبحت على ذلك شخصية إسلامية ذات قيم عليا وقدوة رائدة في الحياة تنزع للوصول إلى المثل الإنساني الأعلى فهو يطلب الدنيا ويسعى للآخرة .

(1) الديوان ص ٣٧

(2) الديوان ص ٢٤

(3) السابق ص ٣٧

الفصل الأول

الذات

المبحث الثاني

الذات الأسرية

الذات الأسرية :

لقد سبقت الإشارة إلى مفهومي الذات الشخصية بفرعيها الأكاديمي وغير الأكاديمي عند أبي فراس الحمداني، وتبقى مفهوم ذات الأسرة وهي الذات الاجتماعية : " وهو ما يتضمن مفهوم الذات العائلي ومفهوم الذات الرفاق" (١) .

فالذات الأسرية نظام اجتماعي، له تقاليده التي تبدأ بالفرد لتخلص للمجتمع الكلي، وتكوين الذات الأولى إنما يسير جنباً إلى جنب مع العلاقة الأسرية ومدى الالتزام الأسري. وهي الذات التي تسعى إلى النضج والكمال الداخلي من خلال العلاقات الداخلية الأسرية، بدءاً من الوالدين وانتهاءً بدائرة أكبر من الأخوة وأبناء العمومة والأصحاب .

فقد امتدت العلاقات الأسرية عند أبي فراس، وضربت أروع الأمثلة على قدرته في التواصل والتكاتف رغم أسره، فبالرغم أن أبا فراس لديه شخصية قيادية مستقلة كما ذكر سابقاً، وقدرة على حسم الأمور إلا أنه لم يخرج يوماً عن الإطار الأسري، فكانت قصائد أبي فراس بها دلالات ثابتة على شدة الترابط والألفة التي كان يتمتع بها، فقد نشأ بين أحضان والدته وأكناف ابن عمه وترعرع بين أبناء عمومته وإخوته فأفرد لهم القصائد، حبا واشتياقا تارة وعتاباً وألماً تارة أخرى .

وعليه، نجد أن القصائد والمقطوعات اتجهت إلى ثلاث وجهات من خلال الكم الشعري:

أولاً : علاقته بسيف الدولة

هي العلاقة التي شكلت منعطفاً هاماً في حياة الشاعر بعد وفاة والده أبي العلاء سعيد بن حمدان، فقد تكفل برعايته فكان الوالد والمربي والمعلم، ولم يتوان أبو فراس من جانبه أن يظهر الكفاءة والجدارة في الذود عن حمى بني حمدان وملكهم ، فكانت أعماله الحربية خير دليل يتوج بها تلك المحبة والإخلاص، حتى كان أسره في بلاد الروم ثم تذبذبت تلك العلاقة، وباتت عتاباً وألماً وشكوى فقد بلغت قصائده في سيف الدولة إحدى عشرة قصيدة وخمس مقطوعات وإن تنوعت مناسبات وأسباب هذه القصائد .

أ- عتابه لسيف الدولة

لقد تناول أبو فراس العتاب في رومياته كثيراً نظراً لظروف أسره التي دعت إلى ذلك العتب في تأخير سيف الدولة بالفرار فكانت قصائده مباشرة في الخطاب ما عدا قصيدتين طليلتين :

(١) الذات بين النظرية والتطبيق ص ٤٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

١- عتاب كان الخطاب فيها غير تقليدي :

لم تجد قريحة الشاعر بمقدمات طللية أو غزلية، بل تصب في موضوع واحد هو العتاب وطلب الفداء
ومن أشهر قصائده :

دَعَوْتُكَ لِلجَفْنِ القَرِيحِ المُسَهَّدِ لَدَيَّ، وَللنَّوْمِ القَلِيلِ المُشَرَّدِ

وَمَا ذَاكَ بُخَالاً بِالحَيَاةِ، وَإِنَّهَا لِأَوَّلِ مَبْنُذُولٍ لِأَوَّلِ مُجْتَنَّدِ^(١)

هذه دعوة صريحة لسيف الدولة للوقوف على حاله الذي استدعى بكل مرارة رفق سيف الدولة
وعطفه، فقلة النوم والأسر ليس ما حمل أبو فراس على الفداء وإنما هي الأنفة والعزة على أن يموت بين
أيدي النصارى :

وَلَكِنِّي أَخْتَارُ مَوْتَ بَنِي أَبِي عَلَى صَهَوَاتِ الخَيْلِ، غَيْرَ مُوسَدِ

وَتَأبَى وَآبَى أَنْ أَمُوتَ مُوسَّداً بِأَيْدِي النَّصَارَى مَوْتَ أَمَدٍ أَكْبَدِ^(٢)

لقد صعب كثيراً الأسر على أبي فراس، ومما زاد أسره أسراً هو شماتة الأعداء فيطلب الخلاص والفداء
وإن خالط ذلك نبرة تهديدية من أبي فراس حتى لا يعيبه عدم الفداء :

فَلَا تَتْرِكِ الأَعْدَاءَ حَوْلِي لِيَفْرَحُوا وَلَا تَقْطَعْ التَّسَالَّ عَنِّي، وَتَقْعُدِ

وَلَا تَقْعُدَنَّ، عَنِّي، وَقَدْ سِيمَ فِدَيْتِي فَلَسْتَ عَنِ الفِعْلِ الكَرِيمِ بِمُقْعَدِ^(٣)

لقد ختم أبو فراس قصيدته بمدح سيف الدولة وذكر مناقبه وفضائله :

وَإِنَّكَ لِلْمَوْلَى، الَّذِي بِكَ أَقْتَدِي وَإِنَّكَ لِلنَّجْمِ الَّذِي بِكَ أَهْتَدِي

(١) الديوان ص ٨٢

(٢) السابق ص ٨٣

(٣) السابق ص ٨٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَأَنْتَ الَّذِي عَرَّفْتَنِي طُرُقَ الْعُلَا وَأَنْتَ الَّذِي أَهْدَيْتَنِي كُلَّ مَقْصِدِ

وَأَنْتَ الَّذِي بَلَّغْتَنِي كُلَّ رُتْبَةٍ مشيتُ إليها فوق أعناقِ حُسَدي^(١)

ومن أبرز قصائده أيضاً ما كان مطلعها^(٢) :

أَسَيْفُ الْهُدَى ، وَقَرِيحُ الْعَرَبِ عِلَامُ الْجَفَاءِ وَفَيْمُ الْغَضَبِ

وَمَا بَالُ كُتَيْبِكَ قَدْ أَصْبَحَتْ تُنَكِّبُنِي مَعَ هَذَا التَّنَكُّبِ

وَأَنْتَ الْكَرِيمُ ، وَأَنْتَ الْحَلِيمُ وَأَنْتَ الْعَطُوفُ ، وَأَنْتَ الْحَادِبُ^(٣)

كانت بداية الشاعر بداية استفهامية انكارية لما اجتمع عليه من نكبات نكبة الأسر وعتب سيف الدولة عليه والذي بلغ أكبر مبلغ في نفس أبي فراس الحمداني، علماً بأن كرم سيف الدولة طالما استبق وشمل الجميع.

وقوله^(٤) :

ومازلت تَسْبِيحُنِي بِالْحَمِيْلِ وَتُنزِلُنِي بِالْجَنَابِ الْخَصْرِبِ

وَتَذْفَعُ عَن حَاوِزِي الْخُطُوبَ وَتَكْشِفُ عَن نَاطِرِي الْكُورَبِ

وَأَنْتَ لِلْجَبَلِ الْمَشْمَخِ رُبِّي بَلِّ لِقَوْمِكَ بَلِّ لِلْعَرَبِ

عَلَيَّ تَسْتَفَادُ ، وَمَالُ يُفَادُ وَعِزُّ يُشَادُ ، وَنَعْمَى تُرَبُ^(٥)

لا يلبث بعدها أبو فراس إلا ويتجدد بنبرة الخطاب بالعتاب ويعلو صوته فلا يرتضي التقرير ولا العتب وأنه مازال يحفظ لسيف الدولة هيئته واحترامه فأثر عدم الرد:

(١) الديوان ص ٨٥

(٢) السابق ص ٢٨

(٣) الحدب: العطوف

(٤) السابق ص ٢٨

(٥) ترب: تزداد

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فَفِيمَ يُقَرِّعُنِي بِالْحُمُورِ لِمَ مَوْلَىٰ بِهِ نَلْتُ أَعْلَى الرُّتَبِ؟
وَكَانَ عَتِيداً لَدَيَّ الْجَوَابُ وَلَكِنْ لِهَيْبَتِهِ لَمْ أُجِيبْ
أَتُنْكِرُ أَنِّي شَكَوْتُ الزَّمَانَ وَأَنِّي عَتَبْتُكَ فِيمَنْ عَتَبُ!
فَأَلَّا رَجَعْتَ فَأَعْتَبْتَنِي وَصَصَّيْتُ لِي وَلَقَوْلِي الْعَلَبُ!^(١)

لقد عاد أبو فراس إلى خطاب هاديء، يخاطب فيه سيف الدولة برقة وعاطفة ويستميل قلبه يبعد عنه الشكوك والظنون :

وَنَفْسٌ تَكْسِرُ إِلَّا عَلَيَّكَ وَتَرْغَبُ إِلَّاكَ عَمَّنْ رَغِبُ!
فَلَا تُعَدِّلَنَّ، فِدَاكَ ابْنُ عَمِّ - كَلَّا بَلْ غَلَامِكَ - عَمَّا يَجِبُ
وَأَنْصَفُ فَتَاكَ فَإِنْصَافُهُ مِمَّنَ الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ الْمَكْتَسَبُ
وَكَُنْتُ الْحَيِيبَ وَكَُنْتُ الْقَرِيبَ لِيَا لِي أَدْعُوكَ مِنْ عَنِّ كَثَبُ!^(٢)

لم تختلف هذه القصيدة كثيراً عن سابقتها فقد مزجت العتاب والشكوى بالمديح وإن اتحدت مقدماتها في العتاب وختمت بالمديح وذكر الفضائل .

ومن جواب أبي فراس على عتاب سيف الدولة :

زَمَانِي كُلُّهُ غَضِبٌ وَعَتَبُ وَأَنْتَ عَلَيَّ وَالْأَيَّامُ إِلْبُ!^(٣)
وَعَاشِشُ الْعَالَمِينَ لَدَيْكَ سَهْلٌ وَعَيْشِي وَحَدُهُ بِفَنَّاكَ صَعْبُ
وَأَنْتَ وَأَنْتَ دَافِعُ كُلِّ حَطْبٍ مَعَ الْخَطْبِ الْمَلَمِّ عَلَيَّ حَطْبُ

(١) الديوان ص ٢٩

(٢) السابق ص ٢٩ - ٣٠

(٣) إلْب : مجموعين علي

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

إلى كَمِ ذَا الْعِقَابِ وَلَيْسَ جُرْمٌ وكم ذَا الْإِعْتِذَارِ وَلَيْسَ ذَنْبٌ؟^(١)

يرى الشاعر أن الزمان كان غير منصف وكذلك كان سيف الدولة فلا ذنب له سوى أنه حمى بلاده، ومع ذلك مازال العتب قائماً رغم اعتذاره .

ثم يؤكد أبو فراس على صلة النسب والتي لربما تكون شفيحاً لفدائه وهو ما غلب على بعض قصائده، فرابطة الدم رابطة قوية لطالما اعتد بها العربي منذ القدم .

وَفَرَعِي فَرَعَكَ السَّامِي الْمُعَلَّى وَأَصْلِي أَصْلَكَ الزَّاكِي وَحَسْبُ^(٢)

ثم يختم أبياته بالثناء على سيف الدولة وأنه في كلا الحالتين من إنصاف وظلم سيبقى مخلصاً له ومحباً :

فَقُلْ مَا شِئْتُ فِيَّ فَلَئِي لِسَانٌ مَلِيءٌ بِالثَّنَاءِ

وَعَامِلِي بِإِنْصَافٍ وَظَلَمٍ عَلِيٌّ كَالثَّنَاءِ
تَجِدُنِي فِي الْجَمِيعِ كَمَا تَجِبُ^(٣)

وفي قصيدة أخرى معاتباً سيف الدولة على تأخره بالفداء :

أَبَى غَرْبٌ هَذَا الدَّمْعَ إِلَّا تَسْرُعًا وَمَا كُنْتُ هَذَا الْحُبَّ إِلَّا تَضَوُّعًا

وَكُنْتُ أَرَى أُنِي مَعَ الْحَزْمِ وَاحِدٌ إِذَا شِئْتُ لِي مَمْضَى وَإِنْ شِئْتُ مَرْجِعًا

فَلَمَّا اسْتَمَرَ الْحُبُّ فِي غُلُوِّهِ رَعَيْتُ مَعَ الْمُضْيَاعَةِ الْحُبَّ مَا رَعَى^(٤)

إن الذات الأسرية هنا ذات معذبة وأشدّها عذاباً هو الحجر والبعد، فكانت مقدمة القصيدة مترجمة لهذا الكم من الحزن، لقد أفنى أبو فراس عمره سائراً في رضى سيف الدولة حتى توجه الشيب وسرقه الزمان :

(١) الديوان ص ٣١

(٢) السابق ص ٣١

(٣) السابق ص ٣٢

(٤) السابق ص ١٨٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَهَبْتُ شَبَابِي، وَالشَّبَابُ مَضْنَةٌ لأبْلَجَ مِنْ أبنَاءِ عمي ، أروعاً!

فلما قضى عَصْرُ الشَّيْبَةِ كُلُّهُ وفارقني شرخ الشباب مودعاً^(١)

وفي مقابل هذا يرى أن سيف الدولة يماطله الفداء، وما زال يعاتبه وقد وقع في نفس الأمير ما وقع من أقوال الوشاة :

تنكر "سيف الدين" لما عتبه وَعَرَّضَ بي، تحت الكلام، وَقَرَّعَا

فَقُولاً لَهُ: مِنْ أَصْدَقِ الوُدِّ أَنِّي جعلتك مما رابني ، الدهر مفرعاً

ولو أنني أكننته في جوانحي لأورقَ مَا بَيْنَ الضَّلُوعِ وَقَرَّعَا^(٢)

ثم يختم قصيدته بحمد الله وشكره وأن السراء لا بد وأن يعقبها ضراء ومع هذا لا يعتبر به ويظل شاكراً حامداً لنعمه :

فَلِلَّهِ إِحْسَانٌ إِلَيَّ وَنِعْمَةٌ ولله صنعٌ قد كفاني التصنعاً

أراني طريقَ المكرماتِ ، كما أرى عَلَيَّ وَأَسْمَانِي على كُلِّ مَنْ سَعَى

فإنَّ يَكْ بَطْءُ مَرَّةٍ فَلطالما تَعَجَّلَ، نَحْوِي، بِالْجَمِيلِ وَأَسْرَعَا^(٣)

كما خاطب سيف الدولة وصور فيها أسره وحالته النفسية، وكان صوت الخضوع فيها واضحاً على عكس قصائده السابقة والتي كان العتاب فيها طاعياً على أبياتها :

هَلْ تُعْطِفُ أَنْ عَلِيَّ العَلِيِّ لِي؟ لا بالأسيير،

ولا القستنا!

(١) الديوان ص ١٨٣

(٢) السابق ص ١٨٥

(٣) السابق ص ١٨٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

باتت تقفُ _____ بله _____ فُ، سَحَابَةٌ
الأَكْ _____ اللِّبَاءُ الطَّيِّبُ (١)

لقد تفاوت الخطاب من شكوى الحال إلى سؤال الفداء ومن ثم المديح :

لَمْ أَرَوْ مِنْهُ _____ وَلَا شَفِيهُ _____ تُ
طَهْل
أَمَلِي _____ اللهُ

بع _____
مما سبق نجد أن أبا فراس اتخذ الخطاب المباشر كوسيلة في معاتبته سيف الدولة فكان أقرب وأكثر تعبيراً عما يختلج الشاعر من أسى البعد والغربة والحنين والشوق.

٢- القصائد التقليدية في عتاب سيف الدولة :

لقد ظل مفهوم القصيدة العربية ثابتاً ومتماسكاً في أوزانه وقوافيه واشتد فيه الميل للتصنع، فكان لبناء المعاني شكلاً مميزاً عن القصائد الحديثة . فاتخذ البناء أشكالاً شتى من مقدمات طللية غزلية أو فخرية وغيرها وكانت بعض قصائد أبي فراس قد اتخذت تلك المقدمات الطللية القديمة : "فالطلل في الواقع له أفاعيل تبدو عياناً أو خيالياً في سلوك أو تمثل ذهني رؤيوي فلا يمكننا فصل ظاهرة الصيد والطرْد من الطلل وأفاعيله كما لا يمكننا الفصل في الغزل والكلام على الشباب والمشيب ووصف الطيف والليل والفروسية فهي كلها في السياقين الموضوعي والفني من أفاعيل الطلل" (٣).

وبهذا نجد أن مفهوم القصائد الطللية مفهوم واسع، فكانت رائية أبي فراس الغزلية أبرز ما نظمته في مجال القصائد التقليدية فبرزت نتيجة اختلافها في البناء والمعاني والوقوف على المقدمات الغزلية، وبرز من خلالها التصوير الفني واللغوي الجميل :

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شَيْمُتَكَ الصَّبْرُ أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ؟
بلى أنا مشتاقٌ وعندي لوعَةٌ ولكنَّ مثلي لا يذاعُ لهُ سرُّ!

(١) الديوان ص ٢٣٥

(٢) السابق ص ٢٣٦

(٣) الطلل في النص العربي - دراسة في الظاهرة مظهراً للرؤية العربية - سعد حسن كموني- الطبعة الأولى -

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م - المؤسسة الجامعية للنشر ص ٤٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى وأذلت دمعاً من خلائقه الكير

تكاد تُضيء النار بين جوانحي إذا هي أذكتها الصبابة والفكر^(١)

برزت القصيدة السابقة ؛ لأنها اختلفت كثيرا في بنائها ومعانيها ، ولوقوفها على مقدمات غزلية ، واشتملت على الفخر والحماسة و بروز التصوير الفني واللغوي .

فخطب الشاعر محبوبته خطاباً خالصاً نقياً بأسلوب رقيق ، كما برز الأسلوب القصصي على القصيدة الذي ساعد على إثارة التشويق للقصيدة:

تسألني: " من أنت ؟ " ، وهي عليمه وهل بفئ مثلي على حاله نُكر؟

فقلت، كما شاءت، و شاء لها الهوى : قَتِيلُكَ! قَالَتْ: أَيُّهُمْ؟ فَهُمْ كَثُرُ^(٢)

لقد مزج أبو فراس بين الغزل والعتاب لمحبوبته والذي بلغ به اليأس كل ما بلغ عند تعنتها وإنكارها له رغم شهرته وأميريته حتى عاد إلى حكمها وحكم الزمان الذي أجبره على هذا الأمر :

فَعُدْتُ إِلَى حَكْمِ الزَّمَانِ وَحَكْمِهَا لَهَا الذُّبُّ لَا تُجْزَى بِهِ وَلِيَ الْعُدْرُ^(٣)

ثم يستحضر أبو فراس الصور الفنية المقتبسة من البيئة البدوية، ومن ثقافة الصحراء عندما يشبه محبوبته بالظبية التي تجفل تارة وتدنو تارة أخرى^(٤) :

كَأَنِّي أَنْادِي دُونَ مَيْثَاءَ ظَبْيَةٍ عَلَى شَرَفٍ ظَمِيَاءَ جَلَلِهَا

الدعاء

تُنَادِي طَلًّا، بِالْوَادِ، أَعْجَزُهُ الْحُضْرُ^(٥)

تَجْفَلُ حِينًا ، ثُمَّ تَرْنُو كَأَنَّمَا

(١) الديوان ص ١٥٧

(٢) السابق ص ١٥٨

(٣) السابق ص ١٥٨

(٤) السابق ص ١٥٩

(٥) طلا : ولد الظبية ، الحضر: الركض

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

عند قراءتنا لما سبق من أبيات القصيدة نجد أن القصيدة موجهة لمحبوته وأن الخطاب إنما صور الأنتى حتى نقف على البيت التالي :

فلا تنكربني ، يابنة العم ، إنه ليعرف من أنكرته البدو والحضر

ولا تنكربني ، إنني غير منكر إذا زلت الأقدام ؛ واستنزل النصر^(١)

نجد البيتين السابقين هي المفتاح الذي يتكشف من خلاله الرمز فجعل محبوبته والخطاب فيها معادلاً موضوعياً لسيف الدولة بالبيت من خلالها كل هواجسه وتأملاته وآلامه "فتوظيفه لم يكن بدافع الخوف والرغبة من سيف الدولة وإنما لشعوره بأنه قد أكثر من عتابه إكثاراً غيره عليه فأراد بالرمز تخفيف حدة التوتر أو لأنفته من استجدائه صراحة غير مرة ليفك أسره وهو الفارس البطل"^(٢).

ثم على عادة الشعراء القدامى لا بد وأن يكون الفخر والحماسة متوجاً لقصائدهم وهذا ما نجده في قوله :

وإنني لجرارٌ لكل كتيبة معودة أن لا يخل بها النصر

وإنني لنزالٌ بكل مخوفة كثيرٌ إلى نزالها النظر الشزر

فأظماً حتى ترتوي البيض والقنا وأسعب حتى يشبع الذئب والنسر^(٣)

لقد كانت القصيدة السابقة قصيدة ذاتية في صميمها رغم استحضر الغزل والفخر والحماسة بها " فالأبيات من الشعر الغنائي القائم على الذاتية وهي تنضوي تحت باب معين من أبوابه يسمى الشعر الوجداني"^(٤).

أما القصيدة الأخرى فقد استحضر فيها الرسوم والديار الدارسة :

(١) الديوان ص ١٥٩

(٢) - البطل في شعر أبي فراس الحمداني ، دراسة موضوعية وفنية ، لنيل درجة الماجستير ، عبد الرحمن صالح صالح خميس ، عام ١٤٢٧ هـ . جامعة أم القرى ص ٩٤

(٣) الديوان ص ١٥٩

(٤) أبو فراس الحمداني شاعر الفروسية والوجدان ص ١١٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أَتَعَزُّ أَنْتَ عَلَى رُسُومِ مَعَانٍ فَأَقِيمِ لِلْعَبْرَاتِ سَوْقَ هَوَانٍ

فَرَضٌ عَلَيَّ، لِكُلِّ دَارٍ وَقَفَةٌ تقضي حقوق الدار والأجفان

لولا تذكر من هويتُ بـ "حاجر" لم أبك فيه مواقف النيران^(١)

لقد استفاض الشاعر هذه القصيدة في رسم الطلل، وذكر الديار لقد وقف على الأطلال وقوفاً روحياً والتي كانت حكراً للزائرين والضيوف عندما كنى بقوله [مواقد النيران] والتي شهدت المعارك والوقائع :

وَمَكَانَ كُلِّ مُهَنَّدٍ، وَمَجَرَّكَ لَمُثَقَفٍ، وَمَجَالَ كُلِّ حِصَانٍ^(٢)

لقد كان أثر السيوف والرماح ضارباً على تلك الأطلال والديار، وكان الشاعر يحن إليها وإلى وقفته مرة أخرى بها .

كما نجد للفخر نصيباً في قصيدته حيث يقول :

وَلَطَّالَمَا حَطَّمْتُ صَدْرَ مُثَقَّفٍ، وَلَطَّالَمَا أَرَعَفْتُ أَنْفَ سِنَانٍ

وَلَطَّالَمَا قُدْتُ الْجِيَادَ إِلَى الْوُعَى قُبَّ الْبُطُونِ، طَوِيلَةَ الْأُرْسَانِ

وأنا الذي ملأ البسيطة كلها ناري، وطنَّبَ في السماء دخاني^(٣)

ثم ينتقل أبو فراس للهدف الرئيسي من قصيدته حين يجذر سيف الدولة من خروج الدمستق للشام ويقول:

هَذِي الْجِيُوشُ، تَجِيْشُ نَحْوَ بِلَادِكُمْ مَحْفُوفَةٌ بِالْكَفْرِ وَالصُّلْبَانِ

(١) الديوان ص ٣٠٢

(٢) السابق ص ٣٠٢

(٣) السابق ص ٣٠٣ - ٣٠٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

البغى أكثر ما تقل حيولهم والبغى شرُّ مُصاحبِ الإنسانِ (١)

لقد برز الجانب القومي الأممي في البيتين السابقين ، فبالرغم أن أبا فراس بالأسر إلا أنه مازال يحرص على بلاده من المعتدين والغائرين ويتمنى لو أنه حاضرا ليقاتل ويدافع عن بلاده ..

إن اشتياق أبي فراس لساحات المعركة إنما هو أمر قد نشأ عليه، ولا يرى نفسه في غيرها فهو فارس محارب حتى لو كان بقلبه .

مقطوعات قصيرة في عتاب سيف الدولة :

لقد تراءت للشاعر بعض الاختلاجات والتي تجود بها قريحة شاعريته إلا ببضعة أبيات بل لا تزيد عن البيتين . فإن العفوية التي طبعت شخصية أبي فراس، انعكست في قصر أبياته ورقة ألفاظها وخطابها المباشر فحالة الشاعر النفسية وغلبة الذات الجريحة ، كان لها تأثيراً كبيراً في مقطوعاته :

وما هو إلا أن جرت يدُ الدهرِ حتى قيلَ، مَنْ هُوَ حَارِثُ؟
نفاقنا
يذكرنا بعد الفراق وتلكَ عهْـودٌ قد بليتْ
عُهْـودُه ، تَأْتِيهِمْ (٢)

لقد طال البعد على الشاعر حتى تيقن أن جميع العهود والتي عقد عليها آماله تقادم بها الزمن وبلت .

ويقول :

بالكره مـني واحتـياركُ، أن لا أكونَ حـليفَ داركُ

يـا تـارِكِي، إنـي لـدِكُ رِكُ، ما حـييتُ ، لغيرِ تـارِكِ!

كـن كـيفَ شـئتَ ، فـإنـي ذاكَ المـواسي والمـشـارِكِ (٣)

ويقول في أخرى

(١) السابق ص ٣٠٤

(٢) الديوان ص ٦٢

(٣) السابق ص ٢٠٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أليـك أشـكو منك ، يا ظالمـي إذ لـيسَ ، في العالم ،
مُعد عـلـكُ
أعـانَ _____ كَ اللهُ مَن لـيسَ يَشـكـو
نَحـا _____ ، منكَ الـا السـكُ^(١)
لقد دارت مقطوعاته السابقة حول البعد والفراق واشتملت على الشكوى، فأسره وألمه لم يكن إلا باختيار سيف الدولة، فنجد أنها تتقاطع في ذات الهدف وهو عتاب سيف الدولة فلقد تجاوز هنا المقدمات وانشغل بالبعد والشكوى.

على ضوء ما سبق من قصائد ومقطوعات في عتاب سيف الدولة نخلص إلى ما يلي :

١- غلبة الخطاب المباشر في عتاب سيف الدولة ماخلا قصيدتين، ومرجع ذلك لذات الشاعر المشحونة بالأسى والتعزية لنفسه، فلم يجد السكينة ليضع المقدمات الطللية والغزلية لقصائده وذلك لأن بعض الشعراء يرى ضرورة الابتعاد عن الطابع التقليدي " وليتصل اتصالاً قوياً بتجاربه الحياة التي يعيشها في مجتمعه وهي أقرب إلى حياة الناس من ذلك التقليد "^(٢) .

٢- تميز الخطاب الشعري بالخطاب الأثني في مواضع عدة :

خَلِيلِيَّ، لِمَ لَا تَبْكِيَانِي صَبَابَةً أأَبْدَلْتُمَا بِالْأَجْرَعِ الْفَرْدِ أَجْرَعَا؟^(٣)
وقوله :

فَقُولَا لَهُ: مِنْ أَصْدَقِ الْوُدِّ أَنِّي جعلتك مما رابني ، الدهرَ مفزعاً^(٤)
وأيضاً :

هَلْ تَعْطِفَانِ عَلَيَّ الْعَلِيلِ؟ لا بالأسيـرِ، وَلَا الْقَتِيلِ!^(٥)
ويقول :

(١) الديوان ص ٢٠٣

(٢) في الشعر العباسي الرؤية والفن د، عز الدين اسماعيل ص ٣٢٠

(٣) الديوان ص ١٨٣

(٤) السابق ص ١٨٤

(٥) السابق ص ٢٣٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

يَا وَاقِفَانِ، مَعِي، عَلَى الدَّارِ اطْلُبَا غَيْرِي لَهَا، إِنْ كُنْتُمَا تَقْفَانِ!^(١)

فالخطاب هنا للمفرد وخاطب بالمفرد المثني جرياً على عادة العرب في الخطاب: "وإنما فعلت العرب ذلك لأن الرجل يكون أدنى أصحابه اثنين... وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة فجرى خطاب الإثنين على الواحد لمرون ألسنتهم عليه"^(٢).

٣- تذبذب الخطاب فتارة نجد خضوع وخنوع وعتاب رقيق تارة يعلو صوت الشكوى. ونجد أن الشكوى الواحدة قد تشكل على عدة معاني وإن كان هدفها العتب، فنجد المدح والفخر والحماسة والحكمة بين طيات أبياته.

٤- التأكيد دوماً على اجتماع النسب والأصل :

أَلَسْتُ وَإِيَّاكَ مِنْ أُسْرَةٍ وبيني وبينك فوق النسب!^(٣)

وقوله :

وَفَرَعِي فَرَعُكَ السَّامِي المُّعَلَّى وَأَصْلِي أَصْلُكَ الزَّاكِي وَحَسْبُ^(٤)

لقد كان أبو فراس بمثابة الابن لسيف الدولة ، فقد كان ابن عمه وأخاً لزوجته رباه منذ الصغر وفي ذات الوقت خاف على ملكه فأراد كسره قليلاً، لذا كان عليه الجمع بين أداء الواجب والاحتراز في ذات الوقت.

٥- بإطلاعنا على روميات أبي فراس في سيف الدولة نجد السمة الغالية والطابع المميز لها هو العتب من تأخر الفداء عليه، والباحث في هذا الموضوع لا بد له من التأني قبل الحكم سواء على سيف الدولة وحقائقه امتناعه عن الفداء أو حقيقة وصفاء نية أبي فراس تجاه سيف الدولة.

وعلى هذا نجد أننا أمام قسمين مختلفين من التعليقات منها ما قدمه أبو فراس من خلال رومياته، وما قدم أيضاً في مناسبات قصائده من آراء الكتاب والمؤلفين .

١- تعليقات أظهرها أبو فراس من خلال أبياته :

(١) الديوان ص ٣٠٢

(٢) شرح المعلقات السبع للحسين أحمد الزوزني - دار إحياء التراث العربي ص ٣٥

(٣) الديوان ص ٢٩

(٤) السابق ص ٣١

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

الأول :

ما رده إلى حساده وأعدائه، ففي كثير من أبياته تلميحات لما كان عليه سبب الخلاف الذي بينه وبين سيف الدولة وأن مرده هو الكثير من الحساد والواشين ممن سعوا بالفتنة والخلاص منه :

أمثلي تقبلُ الأقوالُ فيه؟ وَمِثْلُكَ يَسْتَمِرُّ عَلَيْهِ كَذِبٌ؟^(١)

وأيضاً :

ظَلَلْتُ تُبَدِّلُ الْأَقْوَالَ بَعْدِي وَيَبْلَغُنِي اغْتِيَابُكَ مَا يَغِيبُ^(٢)

وقوله :

فَلَا تَغْتَرَّرِ بِالنَّاسِ، مَا كُلُّ مَنْ تَرَى أَحُوكَ إِذَا أَوْضَعْتَ فِي الْأَمْرِ أَوْضَعًا

وَلَا تَتَّقِلْدُ مَا يَرُوعُكَ حَلِيَّهُ تَقْلُدُ، إِذَا حَارَبْتَ، مَا كَانَ أَقْطَعًا!

وَلَا تَقْبَلَنَّ الْقَوْلَ مَنْ كُلِّ قَائِلٍ! سَأَرْضِيكَ مَرَأَى لَسْتُ أَرْضِيكَ مَسْمَعًا^(٣)

فالأبيات السابقة تؤكد أن الوشاة والحاسدين كان لهم يد في الفجوة التي حدثت بين أبي فراس وسيف الدولة.

الثاني :

ما رده إلى المغرضين من أهله من بني حمدان لا يخفي علينا أن أبا فراس طالما شكل مصدر قلق وخطر على بني حمدان، فقد خافوا تطلعه للحكم وأحس بذلك أبو فراس واشتد ذلك الإحساس بمرور الأيام حتى وهو في أسره، ويقول في هذا الدكتور محمد محمود : " يبدو أن عداء بني حمدان لفرع أبي فراس لم يخف بمقتل سعيد إذا استمر واشتد مع الأيام وظل سيف الدولة وناصر الدولة يخشيان من أبي فراس وتطلعه إلى الحكم ويحاولان النيل منه " ^(٤).

ويؤكد ذلك قول أبي فراس :

(١) الديوان ص ٣١

(٢) السابق ص ٣٢

(٣) السابق ص ١٨٥

(٤) أبو فراس الحمداني شعر الفروسية والوجدان ص ٢٨

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

بَنُو حَمْدَانَ حُسَّادِي جَمِيعاً فَمَالِي لَا أَزُورُ بَنِي طُغْجِ (١)

وقوله :

غَرِيبٌ وَأَهْلِي حَيْثُ مَا كَانَ نَاطِرِي وَحَيْدٌ وَحَوْلِي مِنْ رَجَالِي عَصَائِبُ (٢)

وقد يؤكد خشية بني حمدان من أبي فراس وتطلعاته للحكم ما قاله أبو فراس :

أرى نفسي تطالبي بأمرٍ قليلاً، دُونَ غَايَتِهِ، اقْتِصَارِي

وما يغنيك من همم طوالٍ إذا قرنت بأعمارٍ قصارٍ؟ (٣)

فقد ذكر الدكتور فوزي عيسى : "أن لخصوم أبي فراس دوراً كبيراً في ذلك فقد اهتمبوا فرصة وقوع أبي فراس في الأسر؛ ليغتابوا ويتقولوا عليه وربما خوفوا سيف الدولة من طموحات أبي فراس السياسية، وأقنعوه أنه طامع في الحكم وقد وجدوا في شعر أبي فراس نفسه ما يؤيد ذلك" (٤) .

وقد يكون هذا الأمر يداعب فكر ونفس أبي فراس وإن لم يصرح به في عهد سيف الدولة، وإنما توضح بعد وفاته قال ابن خالويه: " لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص، فاتصل خبره بأبي المعالي من سيف الدولة و غلام أبيه قرغويه فأنفذ إليه من قاتله فأخذ وقد ضرب ضربات فمات في الطريق " (٥)

ومن هذا المنطلق نجد أن أبيات أبي فراس في تعليل سبب عدم الفداء ؛ كان لأمرين مجتمعين الأول: حساده وأعداده والثاني: كراهة بعض أهله في خلاصه: " يرجح أبو فراس سبب الفرقة والتباعد الذي بينه وبين الأمير مرجعها لعاملين: أحدهما: حساده وأعداؤه الكثيرون من أصدقائه، الذين غدروا به

(١) الديوان شرح خليل الدويهي ص ٧٢

(٢) السابق ص ٢٣

(٣) السابق ص ١٦٨

(٤) في الشعر العباسي - فوزي عيسى - عام ٢٠٠٠م ص ١٣٧

(٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- ابن خلكان- تحقيق الدكتور إحسان عباس المجلد الثاني- بيروت- دار صادر
صادر الطبعة الأولى ١٩٧٧م ص ٦١ .

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

وأوغروا صدر الأمير عليه، وثانيهما: أن بعض أهله كان يكره خلاصة من الأسر ويتبني هلاكه ويدس له عند سيف الدولة^(١).

ومن التعليقات التي قدمها أبو فراس من خلال عتابه لسيف الدولة وتأخره بالفداء ما نجده في أبياته التالية:

فَلَمَّا تَنَسَّبْنَا إِلَيْهِ عَدَا
الْحُمَّى _____ سَكَ أَقْمَتُ فَلَم
وَأَصْبَحْتَ مِنْكَ فَإِنْ كَانَ فَضْلٌ وَإِنْ كَانَ نَقْصٌ فَأَنْتَ
السَّ

مما سبق نجد أن أبا فراس وقف مدافعا عن كل ما نسب إليه وأنكر كاتب صاحب خراسان وغيره لدفع الغدية والتخفيف عن سيف الدولة، وهو ما ذكره لنا ابن خالويه في شرح ديوان أبي فراس:

"كُتِبَ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ رَحِمَهُ اللهُ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ بَعْضَ الْأَسْرَى قَالَ: إِنَّ ثِقْلَ هَذَا الْمَالِ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ كَاتِبِنَا فِيهِ صَاحِبُ خِرَاسَانَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْبِلْدَانِ وَخَفَفْنَا عَنِ الْأَمِيرِ، فَاتَّهَمَ أَبُو فِرَاسٍ بِهَذَا الْقَوْلِ لِضْمَانَةِ الْمَالِ لِلرُّومِ فَقَالَ: وَمَنْ أَيْنَ يَعْرِفُ أَهْلَ خِرَاسَانَ."^(٢)

وعليه لا نستبعد أن ما سبق هي أقوال المعرضيين لينالوا منه، فنفسيّة الشاعر المتعالية ونزعتة المثالية جعلت من حساده ومن بني حمدان فرصة سانحة للنيل منه.

ب_ ما ذكر من تعليقات بناء على رأي مؤلفيها:

لقد تضاربت الآراء في بقاء أبي فراس في سجنه وعدم مفاداته. فمنهم من يرى أن التأخير هو أن يكون الفداء عاما وليس مقتصرًا على أبي فراس فالفداء للكافة.

ومن ذهب إلى ذلك ابن خالويه بقوله: "وامتنع سيف الدولة من إخراج ملك الروم إلا بفداء عام"^(٣).

وأيضًا ما ذهب إليه الدكتور عبدالجليل عبدالمهدي: "غضب سيف الدولة على الشاعر الأسير وامتنع من الفداء إلا أن يكون عاما فشكا منه أبو فراس شكوى مرة؛ لأنه لم يكن يدر بحسابه أن أميره سيتركه

(١) شعر أبي فراس الحمداني ص ١٠٨

(٢) الديوان ص ٢٩

(٣) السابق ص ٢٨

(٤) السابق ص ٢٤

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

بعد أن ضحى بنفسه في سبيل أميره ووطنه ويعنفه في عتابه، فُيعد سيف الدولة خطاباً نزل به إلى جانب خطوبه الأخرى^(١).

وقد نجد سبباً آخر لهذا الجفاء وهو إباء أبي فراس، ونفسه المتعالية التي رفضت أخذ شيء مما عرضه عليه سيف الدولة من خيوله، فعتب عليه سيف الدولة، يقول ابن خالوية: "وعُرضت على سيف الدولة خيوله وبنو أخيه وبنو عمه حضور فأمسك الأمير أبو فراس فعتب عليه سيف الدولة ووجد من ذلك فبلغ أبا فراس فقال:

ما كثرة الخيل الجياد بزائدي شَرَفًا، وَلَا عَدَدُ السَّوَامِ الضَّافِي

خيّلي، وَإِنْ قَلَّتْ، كَثِيرٌ نَفْعُهَا بَيْنَ الصَّوَارِمِ، وَالْقَنَا الرَّعَافِ^(٢)

ويقول رداً على عتب سيف الدولة عليه في هذا:

غَيْرِي يُعَيِّرُهُ الْفَعَالُ الْجَافِي وَيَحُولُ عَنْ شِمِيمِ الْكَرِيمِ الْوَافِي

لا أَرْضِيهِ وُدًّا، إِذَا هُوَ لَمْ يَدْمُ عِنْدَ الْجَفَاءِ، وَقَلَّةِ الْإِنْصَافِ^(٣)

هذا من جهة ومن جهة أخرى ما حدث لأبي فراس عندما عرض بناصر الدولة عند مدحه سيف الدولة يقول:

هَازِي شُيُوخُ بَنِي حَمْدَانَ قَاطِبَةً لِأَذْوَا بَدَارِكٍ عِنْدَ الْخَوْفِ وَاعْتَصَمُوا^(٤)

" قال يمدح سيف الدولة ويعرض بناصر الدولة ويذكر مساوئه، لما حصل عند أخيه سيف الدولة بالشام هارباً من معز الدولة وقد قصده وأخرجه من ديار ربيعة، حتى أرسل إلى أخيه فتوسط سيف

(١) أبو فراس الحمداني حياته وشعره ص ٢٩٧

(٢) الديوان - ص ٢٢٢-٢٢٣

(٣) السابق ص ٢٢٣

(٤) السابق ص ٢٧٠

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

الدولة بينهما وحمل عنه الأموال"^(١) . ونجد أن الدكتور عبدالمجيد الحر يذهب إلى " عدم قدرة الأمير الحمداني على افتداء ابن عمه وحين قدر لم يتأخر"^(٢)

مما سبق نجد أن الأسباب التي ذكرت والتعليقات التي وردت سواء من خلال الأبيات أم من خلال آراء بعض المؤلفين ليست بعيدة كلياً عن الصواب، فقد يكون كل ما سبق تداعيات تراكمية تراكمت في نفس سيف الدولة فأراد تأخير الفداء؛ لغاية في نفسه قد تكون كبح لجماح أبي فراس وتهدئة لنفسه المتعالية وارتخاء لطموحاته المتعدية.

قصائده في عزاء سيف الدولة:

لقد برز في روميات أبي فراس الكثير من الاهتمام والعطف على سيف الدولة رغم أسره، إلا أنه مازال قريباً منهم حتى في مصائبهم، فقد بعث أبو فراس من أسره قصيدتين عزاء لسيف الدولة تجلت بهما أرق المشاعر وأصدق العاطفة.

أ- قصيدة عزاء في أخت سيف الدولة:

لم يدخر أبو فراس جهداً لإثبات ولائه لسيف الدولة وإبداء الاهتمام له والمشاركة والتواصل المستمر حتى وهو أسير الروم، فهذا هو يعزيه عن أخته ويصبره وهو في قمة العوز لمن يصبره ويؤانسه في وحدته يقول:

أوصيك بالحزن، لا أوصيك بالجلد
إنني أجلك أن تكفني
تعا: هي الرزية إن ضنت بما ملكت
بي مثل ما بك من حزنٍ ومن جزع
لم ينتقصني بعدي عنك من حزنٍ،
جل المصاب عن
التعسف و الفند
عن خير مُفْتَقِدٍ، يا
خام مُفْتَقِد
منها الجفونُ فما
تسخه على أحد
وقد لجأت إلى صبرٍ،
فلم أجِد
هي المواساة في
قرب و في بعد^(٣)

(١) الديوان: شرح الدويهي ص ٢٩١

(٢) أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية ص ٥٩

(٣) الديوان ص ٧٥ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

نجد مشاركة أسرية رائعة ضربت أروع الصور في التأثير والتأثر رغم البعد والمعاناة: "فسلوك الأفراد في الأسرة ما هو إلا تفاعل اجتماعي وانعكاس للرموز، التي يشاهدها الفرد ويتأثر بها في مواقف الحياة بشكل مباشر"^(١).

وفي ذات الوقت نجد التلميح الخفي الذي يسري من خلال الأبيات؛ ليصف حاله بلا فداء ولا حرية وكان التلميح هنا تلميح خفيف كذلك مراعيًا فيها حالة سيف الدولة ومدى حزنه العميق:

هَذَا الْأَسِيرُ الْمَبْقَى لَا فِدَاءَ لَهُ يَفْدِيكَ بِالنَّفْسِ وَالْأَهْلِينَ وَالْوَلَدِ^(٢)

"لقد عز على أبي فراس حزن سيف الدولة على أخته وفراقها، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة وأبو فراس أسير بالقسطنطينية"^(٣).

فقد علت نبرة الحزن في القصيدة السابقة وزحرت بالكثير من الألفاظ الدالة على ذلك مثل:

الحزن - المصاب - تعزية - مفتقد - جزع - صبر - مواساة - سهد - التسليم.

كما أن القافية الدال كانت قافية خفيفة بنيت على بحر البسيط لتواءم الحزن العميق والذي يكنه الشاعر فنظم الأبيات على قافية الدال للبعد عن التعقيد وأيضًا تلائم حالة الشاعر النفسية إذ أنها لا تسمح بغيرها.

ب- عزائه في وفاة أبي المكارم بن سيف الدولة:

عندما ورد خبر وفاة أبي المكارم على أبي فراس اشتد جزعه لأجل سيف الدولة، وذلك سنة أربع وخمسين وثلاثمائة^(٤) ولا نستنكر فجيئته حين نعلم أن أبا المكارم هو ابن أخت أبي فراس وهي القصيدة القصيدة الثانية والأخيرة والتي ذكرها في العزاء حين يقول:

يَا عَمَرَ اللَّهِ سَيْفَ الدِّينِ مُعْتَبَطًا فُكُلَ حَادِثَةٍ يُرْمَى بِهَا جَلَلُ

من كان من كل مفقودٍ لنا بدلًا فليس منه على حالاته بدلٌ

(١) علم النفس الأسري- أحمد محمد مبارك - مكتبة الفلاح - الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م ص ٥٠

(٢) الديوان ص ٧٦.

(٣) السابق ص ٧٥.

(٤) السابق ص ٢٠٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

يَبْكِي الرَّجَالُ وَسَيْفُ الدِّينِ مُبْتَسِمٌ حَتَّىٰ عَنِ ابْنِكَ تُعْطَى الصَّبْرَ يَا جَبَلُ

لَمْ يَجْهَلِ الْقَوْمُ مِنْهُ فَضْلَ مَا عَرَفُوا لَكِنْ عَرَفْتَ مِنَ التَّسْلِيمِ مَا جَهِلُوا^(١)

نلاحظ في الأبيات السابقة أن العزاء كان لشخص سيف الدولة وذكر فضل الصبر، دون التطرق لمحاسن المتوفي فجم الخطاب قد شمل الثناء على سيف الدولة ومدى عزمته وصبره والتسليم بالقدر، وهو ما أدركناه في القصيدة التي سبقتها كذلك.

ثم ينتقل للأسلوب الاستفهامي التعجبي والاستنكاري ليرسم لنا صورة سيف الدولة محاطا بخيوله وعبده وجيوشه وقوته كل هذا وكان الأجل أسرع وأقوى ، ويعدد كل من حول سيف الدولة ؛ليظهر هو في المقابل ويذكر سيف الدولة بفقد أعز أحبائه وأنه لربما لو كان بالقرب منه لكان الوقع أخف وأرحم بوقوفه بجانبه ومساندته..:

أَيْنَ اللَّيْثِ الَّتِي حَوْلَيْكَ رَابِضَةً أَيْنَ الصَّنَائِعِ أَيْنَ الْأَهْلِ مَا فَعَلُوا؟

أَيْنَ السَّيْفِ الَّتِي تَحْمِيكَ أَقْطَعَهَا أَيْنَ السَّوَابِقِ أَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

يَا وَيْحَ خَالِكَ بَلْ يَا وَيْحَ كُلِّ فِتَى أَكَلَّ هَذَا تَخَطَّى نَحْوَكِ الْأَجَلِ^(٢)

ومما سبق نجد أن قصائد العزاء في روميات أبي فراس لم تتجاوز القصيدتين، وكانت تشمل المقربين له غير والدته وإن تغيرت القافية فنجدها هنا قافية اللام والتي تعطي مساحة أكبر للشاعر لاختيار مفرداته المناسبة، وتساعده على التأثير النفسي وقد اختار ذات البحر السابق وهو البحر البسيط كما أن كلا المقطوعتين قصيرة في عدد الأبيات لا تتجاوز أحد عشر بيتا..

ومن أبرز ما نجده مشتركا أيضا بين القصيدتين ، أن كليهما كانت إلى سيف الدولة دون ذكر محاسن ومناقب المتوفي ونجد الإيقاع الخفي لإبراز قصته وقضية أسرته وبعده بطريقة لطيفة، وهذا ما يدفعنا للشك أن قصائد العزاء وإن كان ظاهرها الدعوة إلى الصبر والجلد لسيف الدولة، إلا أن الهدف يبقى

(١) الديوان ص ٢٠٥

(٢) السابق ص ٢٠٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

موجودا دوما وهو الإلحاح في فدائه وخلاصه من الأسر، وإن كان لا يتعارض مع صدق مشاعر العزاء الخالصة في ذات الوقت.

ثانياً : علاقته باخوته وأسرته بشكل عام:

ما كتبه في أخوته وأبناء عمومته وغيرها:

إن ما كتبه أبو فراس في خطابه المتجلي للإخوة، وأبناء عمومته وحتى غلمانته، هي من الإخوانيات التي دفعت إلى الأخوة الصادقة، فكانت إخوانياته من أصدق وأرق الإخوانيات فلم ييئسها لمده يريده مكسبا ولا هجاء لادعا بل هو الإخلاص الذي لم نجد له مثيلاً، فالشاعر أسير في بلاد الروم ولكن بقيت الصداقة تجري رغم آلامه وأسرته وإن قلت إخوانياته؛ لكثرة من تخلى عنه في أسره عندما ذكرنا في المبحث الأول الذات الشخصية وما ذكره في حساده من التخلي عنه والسعي بالفتنة والخلاص منه، وقد كانت صدمة نفسية قوية لأبي فراس حتى تقلص أصحابه المخلصون واقتصر في خطابه على أخيه أبي الهيجاء وابن عمه أبي العشائر وكتب إلى أبو حسن الأسمر وبعض غلمانته فقط.

أ- أخوه أبو الهيجاء:

"لم يكن لأبي فراس إخوة أشقاء فكل إخوته لأبيه وهو وحيد أمه ومع ذلك كانت علاقته بهم علاقة ود واحترام وتقدير، بالرغم من غموض أسباب عدم رعايتهم له بعد مقتل أبيه." (١).

ولكن مع ما سبق نجد خطابه لأخيه أبي الهيجاء فيه اتقاد المشاعر وفقد الأهل والأخوة:

أَبَّ أَخِي بَعْدِي ، مَنْ الصَّبْرِ آئِبُ؟ ^(٢)	أَبْقَى أَخِي دَمْعاً ، أَذَاقَ كَرِيٍّ أَخِي؟
وَأَيْنَ لَهْ مَثَلٌ ، وَأَيْنَ	أَخِي لَا يُذِقُنِي اللَّهَ فَقْدَانَ مِثْلِهِ!
فَأَصْبَحَ أَدْنَى مَا يُعَدُّ الْمُنَاسِبُ	تَجَاوَزَتِ الْقُرْبَى الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا ،
وَأَنَّ أَخِي نَاءٍ عَنِ الْمَهْمِ عَازِبُ	أَلَا لَيْتَنِي حُمِّلْتُ هَمِّي
إِذَا قَعَدْتُ عَنِ الدَّمِوعِ السُّوَائِبُ	وَلَسْتُ مَلُومًا إِنْ بِكَيْتِكَ مِنْ دَمِّي

(١) البطل في شعر أبي فراس الحمداني ص ٢٧

(٢) أب: قصد

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ألا ليت شعري هل أبين ليلةً تناقل بي فيها إليك الركائب؟^(١)

لقد كان أخوه أبو الهيجاء، حرب بن سعيد هو المتنفس والذي بث من خلاله همومه وجزعه وما لحقه من أسره، بل وفي لفتة جميلة نجد انصهار الذوات ليصبح الهم الفردي همماً جمعياً لدى شاعرنا أبي فراس حين يحمل هم أخيه فوق همومه.

ويقول مخاطباً أخاه أيضاً:

لقد كنت أشكو البعد منك وبيننا بلاد إذا ما شئت قربها الوخـدُ

فكيف وفيما بيننا ملكٌ قيصرٍ ولا أملٌ يحيي النفوسَ ولا وعدٌ^(٢)

نجد من الخطاب السابق أن علاقة أبي فراس مع أخوته كان يلفها الجفاء والبعد قبل الأسر، ونرى العتاب هنا قد بلغ حتى أنه لا يستغرب الجفاء الآن مع بعد بلاد الروم عنه وأسره وكل الحواجز التي قد تمنع اللقاء وكأننا نراه خطاب من طرف واحد، من أبي فراس لأخيه وبالرغم من إيجاز البيتين السابقين إلا أنها حملت الكثير من استجداء الوصل الأخوي الذي شح خلال أسره.

ب- خطابه إلى أبي العشائر "ابن عم سيف الدولة"

لقد كتب أبو فراس إلى أبي العشائر أمير أنطاكية شاكياً حاله وهو الحسين بن علي بن الحسن ابن عم سيف الدولة ونسيب أبي فراس:

أسرت فلم أذق للنوم طعماً ولا حلال المقام لنا

ح: ا م ا

وسرنا معلمين إليك حتى ضربنا خلف خرشنة الحياما^(٣)

(١) الديوان ص ٣٨-٣٩

(٢) الديوان ص ٧٩

(٣) السابق ص ٢٥٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فيما سبق نجد وصفا لذل الأسر والشكوى، وقد ذكر الدكتور محمد الملا: "أن أكثر شعراء الشكوى تشكيا من ذل الأسر أبو فراس الذي تطور هذا الفن على يديه تطوراً ملموساً، ومزج شكواه بالفخر وبالعتاب وبالاستعطاف."^(١)

ج- خطابه لابني سيف الدولة (أبي المعالي وأبي المكارم):

لم يكتف أبو فراس بقصائده لسيف الدولة واسترحامه وطلب الفداء حتى انتقل ذلك الاسترحام إلى ابنه، إذا ما علمنا أن مكانتهما كبيرة عند أبيهما ونفوذهما الواسع، فأبو المعالي وهو الملقب بسعد الدولة: "كان صاحب حلب وحمص"^(٢).

فيطلب إليهما الفداء بكلمات تقطر أسى وحزن بل ويدفع بهما إلى أبيهما الأمير ليستدر العطف والفداء:

يا سيدي أراكما	لا تذكران أخاكما
أوجدتُما بدلاً به	يبني سماء علاكما
أوجدتُما بدلاً به	يفري نُحورَ عداكما
ما كان بالفعل الجمي	لِ بملثله أولاكما
من ذا يعاب بما لقي	تُ من السورى إلاكما
لا تقعدا بي بعدهما	وسلا الأمير أباكما
وخذا فداي جعلت من	ريب الزمان فداكما ^(٣)

نجد التمازج بين العتاب والفخر ونرى دوره البارز في بناء مجدهما، ولعله يشفع عند والدهما بالفداء في سبيل ذلك، والتوجه لأبناء سيف الدولة فهو خالهما، لذا رأى أن له كامل الحق في طلب الفداء أو أقله

(١) الإخوانيات في الشعر العباسي د.محمد عثمان الملا الطبعة الأولى صفر - ١٤١٢ هـ - ص ٤٢

(٢) الأعلام - للزركلي - ١٦٢/٣

(٣) الديوان ص ٢٧٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

التوسط في ذلك لدى الأمير، وبالرغم أنه الخال لكنه الخال المنكسر الذي علا لديه صوت الذل والهوان في خطابه لهما بقوله: "ياسيدي" رغم أحقيته بالاحترام.. مما يدل على الحيرة التي يعيشها أبو فراس والتخبط الذي لا ينتهي.

د- ما كتبه إلى أبي الحسن محمد بن الأسمر:

لقد كتب أبو الحسن محمد بن الأسمر كتابا يوصيه بالصبر والتجلى فكتب إليه:

نَدَبْتَ لِحَسَنِ الصَّبْرِ قَلْبَ نَجِيبٍ وَنَادَيْتُ بِالتَّسْلِيمِ خَيْرَ مُجِيبٍ
وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرَ قَلْبٍ مُشْتَبِعٍ وَعَوْدٍ عَلَيَّ نَابِ الزَّمَانِ صَلِيبٍ
رَضَيْتُ لِنَفْسِي كَانَ غَيْرَ مَوْفِقٍ وَلَمْ تَرْضَ نَفْسِي: كَانَ غَيْرَ نَجِيبٍ^(١)

نرى حسن التسليم بالقدر "وأن ما حدث له كان عدم التوفيق وهو يفضل عدم التوفيق من اتهامه بعدم النجابة "كرامة الأصل"^(٢).

هـ- ما كتبه إلى غلاميه صافي ومنصور:

رغم أن الذات لدى أبي فراس سمت وعلت من خلال شخصيتها القيادية والفارسية إلا أن تلك الذات تنحني لتخاطب وتكاتب حتى الغلمان، فلم تنس رغم الأسر وصالحهم فشاركهم شاعرنا همومه وآلامه، وبث إليهم حزنه فلم يفرق في خطابه بينهم وبين من سبقهم.

يقول مخاطباً غلاماً منصور:

مُغْرَمٌ مُؤَلَّمٌ جَرِيحٌ أَسِيرٌ إِنَّ قَلْبِي أَا يَطْبِقُ ذَا لَصَبُورٍ
وَكَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ حَدِيدٌ وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُلُوبِ صُخْرُورٌ

(١) الديوان ص ٤٠-٤١

(٢) السابق ص ٥٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

قُلْ لِمَنْ حَلَّ بِالشَّامِ طَلِيْقًا بِأبي قَلْبِكَ الطَّلِيْقَ الأَسِيرُ
أنا أَصْبَحْتُ لا أَطِيْقُ حِرَاكًا كيفَ أَصْبَحْتَ أَنْتَ يا مَنْصُورُ^(١)

ويخاطب غلامه صافي وأيضاً منصور:

هَلْ تُحِسِّانِ مُخْلِصَ الوَدِّ أو صَدِيقًا صَدِيقًا
لِمَنْ فَاقًا فَرَقْتَنِي صَارُوفًا
لا رعى الله تَفْعَلُ بِمَنْ
يا خليلي وَالِدًا مُحْسِنًا وَعَمًّا شَفِيقًا
كُنْتَ مُوَلًّا كَلِمًا اسْتَخُونُ الصَّدِيقُ الصَّدِيقًا
كَمَا هِيَ مَا هَكَفَ
فَإذ كَرَانِي بَتُّ أَبْكِكُمَا
هَإِنْ هَإِنْ

لم يهمل أبو فراس من الوصل حتى غلمانه بل رفعهم لدرجة الصداقة في ظل غياب الأصدقاء، وتحولهم عليه فأصبح يتلمس الصداقة ويتفقدوها حتى في غلمانه وقد لا يطلب منهم أكثر من الذكرى الحسنة وإن كان المثير هو سؤال أبو فراس عن حالهم والاطمئنان عليهم رغم أسره.

وعلى ما سبق من خطابات أبي فراس لأخيه وأبناء عمومته وأصدقائه لا نجد سوى الصديق الجميل والتمسك ببقايا الأصدقاء لعلها تؤنس أسره وتعيد ولو جزءاً يسيراً من اعتزازه بنفسه، لذا نجد خبوة الصور والخيالات الشعرية والاكتفاء بالتعبير المباشر مستخدماً الصديق العاطفي وسيلة كبرى للتعبير عن شكواه وآلامه ووصف حياته الأسيرة.

ثالثاً : علاقته بوالدته:

(١) السابق ص ١٥٢

(٢) الديوان ص ٢٠٠

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لقد شكل شعره في والدته جزءاً كبيراً من شخصيته الأسرية، فعاطفة الحنين للأم هي عاطفة فطرية بطبيعة الإنسان ترتسم معها أحمل وأسمى العلاقات الإنسانية بشكل عام، وعلاقة الشاعر بشكل خاص وهذا ما فرضته ظروفه من خلال نشأته يتيم الأب، فلم يحتضنه إلا والدته هذا من جهة وكونه الابن الوحيد لأمه من جهة أخرى.

وقد اختلف في نسب والدته أمي رومية الأصل أم عربية، وقد جاءت تلك الاختلافات من خلال أبياته السابقة والتي ذكرت خوولته الرومية، وإن كان يعيننا أنه ذو أصل وجذور عربية مهما اختلفت الأقوال وإن

لم نتبين أصلها بشكل دقيق فأكثر ما قد ذكر أن اسمها "سخينة"^(١).

لقد عاش أبو فراس مع والدته في مدينة منبج قبل أسره فقضت حياتها في خدمته ورعايته ولم تتزوج بعد وفاة أبيه فرسمت شخصية بارزة وأسست ذاتا مستقرة، لكن ما لبثت تلك الذات إلا أن تنبض بالأسى والشفقة على فراق والدته فشكا كثيرا عجزه دونها، وضعفه وألمه فطالما تحدث عن لهفتها عليه وإشفاقه عليها في ذات الوقت، وكل ذلك استيقظ في نفس أبي فراس حينما رأى تهاوناً في فدائه وطول بكائه في الأسر فتفجرت ذاته الأسرية لتنتفض بحرقة وألم على الأم المقهورة والمغلوبة .

يقول:

لَوْلَا الْعَجُّوزَ بِمَنْبَجٍ مَا خِفْتُ أَسْبَابَ الْمَيِّتِ
ولكان لي عما سألتُ من الفِداً نفسُ أَيْبِ
لكن أرَدْتُ مُرْدَاهَا وَكَلَوِ الْجَذْبُ إِلَى الدَّيِّ
وأرى مُحَامَاتِي عَلَيَّ هَا أَنْ تُضَامَ مِنَ الحَمِيَّةِ
أَمْسَتْ بِمَنْبَجٍ حَرَّةٌ بِالْحَزَنِ مِنْ بَعْدِي حَرِيَّةٌ^(٢)

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم تحقيق د. سامي الدهان طبعة أولى- دمشق- ١٣٧٠هـ- ١٩٥١م ١/١٥٧

١٥٧/١

(٢) الديوان ص ٣١٧

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ويصور حسرته وكمده من وضع والدته وبعده عنها يقول:

يَا حَسْرَةَ مَا أَكَادُ أَحْمِلُهَا آخِرُهَا مُزْعِجٌ، وَأَوْلَاهَا!

عليلةٌ، بالشَّامِ مفردةٌ باتَ بأيدي العِدي مُعلِّها

تُمْسِكُ أَحْشَاءَهَا عَلَى حُرْقٍ تُطْفئُهَا وَالْهَمُّومُ تُشْعِلُهَا

إذا اطْمَأْنَنْتَ وَأَيْنَ؟ أَوْ هَدَأْتَ عَنَّتْ لَهَا ذُكْرَةٌ تُفْلِقُهَا

تَسْأَلُ عَنَا الرِّكْبَانَ جَاهِدَةً بِأَدْمَعٍ مَا تَكَادُ تُمَهِّلُهَا^(١)

كما أن قصائده في والدته ذات طابع خاص تميز به، فقد خاطب والدته خطابا مباشرا في أكثر من قصيدة بقوله (يا أمتا) وذلك ليطمئنها على حاله يقول:

فِيَا أُمَّتَا لَا تَعْدِمِي الصَّبْرَ إِنَّهُ إِلَى الْخَيْرِ وَالنَّجْحِ الْقَرِيبِ رَسَوُلُ

وَيَا أُمَّتَا لَا تُخْطِئِي الْأَجْرَ إِنَّهُ عَلَى قَدْرِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَزِيلُ^(٢)

ويقول:

يَا أُمَّتَا هَذِهِ مَنَازِلُنَا نَتْرُكُهَا تَارَةً وَنَنْزِلُهَا

يَا أُمَّتَا هَذِهِ مَوَارِدُنَا نُعْلِيهَا تَارَةً وَنُنْهَلُهَا^(٣)

"جعل كلامه يبدأ مرتين بالنداء في كل خطاب لأمه مما سبق في الأبيات لزيادة التأثير وليطمئنها بأنه على الرغم مما هو فيه فهو موجود وقد كان موقفا من وجه كلامه المباشر إليها"^(١)

(١) الديوان ص ٢٤١

(٢) السابق ص ٢٣٣

(٣) السابق ص ٢٤٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أَيَا أُمِّ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غَيْثٌ بَكْرِهِ مِنْكَ مَالِقِي الْأَسِيرِ
أَيَا أُمِّ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غَيْثٌ تَحْيَرًا لَا يَقِيمُ وَلَا يَسِيرُ
أَيَا أُمِّ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غَيْثٌ إِلَى مَنْ بِالْفِدَا يَأْتِي بِشِيرِ
أَيَا أُمِّ الْأَسِيرِ لِمَنْ تُرْبِي وَقَدْ مَتَّ الذَّوَابُّ وَالشُّعُورُ^(٢)

ومن أجمل الرثاء ما ذكرت فيه مناقب ومحاسن المتوفى، فلم ينس أمه بل تذكرها من خلال كل عمل صالح وأمر جميل قد فعلته:

لِيَبْكِكَ كُلَّ يَوْمٍ صُمْتُ فِيهِ مُصَابِرَةً وَقَدْ حَمَى الْهَجِيرُ
لِيَبْكِكَ كُلَّ لَيْلٍ قَمْتُ فِيهِ إِلَيَّ أَنْ يَتَّيِدِيَ الْفَجْرَ الْمُنِيرُ
لِيَبْكِكَ كُلَّ مُضْطَهَّدٍ مَخُوفٍ أَجْرِيته وَقَدْ عَزَّ الْمُجِيرُ
لِيَبْكِكَ كُلَّ مِسْكِينٍ فَقِيرٍ أَعْنَتِيهِ وَمَا فِي الْعَظْمِ زَبِيرُ^(٣)

لقد قرن أبو فراس خطابه في بعض قصائده بذكره سيف الدولة مع والدته، وكأنه يحمل ذنب فراقها لابنها وبعده عنها في أكثر من موضع وإن كان عتابا رقيقا؛ ليحمل سيف الدولة على الفداء، ومن ذلك "ما بلغ لأبي فراس أن أمه ذهبت من منبج لحلب تكلم سيف الدولة في المفاداة فردها خائبة"^(٤)

بَأَيِّ عَذْرِ، رَدَدْتَ وَالْهَمَّةُ عَلَيَّكَ، دُونَ الْوَرَى، مُعَوَّلَهَا
جَاءَتْكَ، تَمْتَأُ رَدَّ وَاحِدَهَا يَنْتَظِرُ النَّاسُ كَيْفَ تُفْفِلُهَا

(١) دراسات في النص الشعري العصر العباسي للدكتور عبده بدوي الناشر - دار قباء للنشر - القاهرة - ص ٢٤٩.

(٢) الديوان ص ١٦٢

(٣) السابق ص ١٦٢-١٦٣

(٤) السابق ص ٢٤١

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

سَمَحَتْ مِنِّي بِمَهْجَةٍ كَرُمَتْ أَنْتَ عَلَيَّ يَا سَيِّهَا مُؤَمَّلَهَا
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَبْذُلِ الْفِدَاءَ لَهَا فَلَمْ أَزَلْ فِي رِضَاكَ أَبْذُلُهَا^(١)

ويقول:

أَقْلَبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ يَمِيلُ مَعَ النِّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ
وَصَرْنَا نَرَى أَنَّ الْمُتَّارِكَ مُحْسَنٌ وَأَنَّ صَدِيقًا لَا يُضِرُّ خَلِيلُ
أَكُلُّ خَلِيلًا هَكَذَا غَيْرَ مَنْصَفٍ وَكُلَّ زَمَانٍ بِالْكَرَامِ بِخَيْلٍ^(٢)

وعليه: مما سبق من علاقات أبي فراس الأسرية نجد أن الشوق الملح هو الباعث الأساسي لأبياته، وأن الفداء هو مطلبه الأساسي وإن كان بين ثناياها، لنجد أيضا الحكمة الصادقة والصدافة الحقة والبر بالأم رغم أسره.

ونرى استهلال أبي فراس في قصائد محدودة بمقدمات غزلية تقليدية، كما نجد انعكاس حال الشاعر من خلالها في أسره ونلاحظ شح الخيال وتعقيد العبارة لتدفق العاطفة كل هذا ولد لنا ذاتا أسرية معقدة ومتأرجحة بين الثناء والعتاب وبين المديح والشكوى .

(١) السابق ص ٢٤٣

(٢) الديوان ص ٢٣٢



الذات القومية:

لقد سطعت الذات القومية عند أبي فراس تبعا لظروف أسرته وإحساسه بنسيان قومه له أو تناسيه، وحتى نفسر تلك الذات ونستوضح خلجاتها ونزعاتها لا بد لنا بداية أن نقف على هذا المصطلح. فجدور القومية لم تكن وليدة العصر الحديث، بل هي جذور امتدت منذ عصور خلت ولا نبالغ إن قلنا بداياتها كانت منذ نشء الخليقة الأول منذ عهد آدم عليه السلام وزوجه، فالأسرة هي اللبنة الأولى لتكوين القومية حتى تتدرج منها للعصبة والعشيرة والقوم، والقرآن الكريم قد صور لنا هذا التدرج قال تعالى:

﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾ وأخاهم تدل على العصبة التي تقوم عليها الصلة في القبيلة.

وقال تعالى ﴿...﴾

﴿...﴾ والقومية في الآية السابقة تقوم على مبدأ

الأصل الواحد وكذلك قوله تعالى ﴿...﴾

﴿...﴾ والأصل في القومية السابقة هي اللغة التي وحدت البناء القومي.

﴿...﴾

وعلى هذا نجد أن القومية مصطلح قديم وشاسع ومتأصل في القرآن الكريم.

أما في أدبنا العربي نجد امتداده منذ العصر الجاهلي نتيجة التعصب القبلي الذي ساد، وكذلك أهمية اللغة العربية والتي تميز بها المجتمع الجاهلي فما سواها أعجمي، وأيام العرب قديما كانت خير شاهد أيام العرب مع الفرس أو مع بعضهم بعضاً.

فبرزت من خلالها الأنا الجمعية كقول أعشى قيس مفتخرًا في وقعة ذي قار والتي دارت رحاها بين العرب والفرس:

وجند كسرى غداة الحنو صَبَّحهم مِنَّا غطاريفُ ترجو الموت وانصرفوا

(١) هود: ٦١

(٢) نوح: ١

(٣) ابراهيم: ٤

القومية في اللغة:

في اللسان: "القوم: الجماعة من الرجال والنساء جميعا وقوم كل رجل شيعته وعشيرته"^(١)
وفي القاموس المحيط: "القوم الجماعة من الرجال والنساء معا أو الرجال خاصة وتدخله النساء على تبعية"^(٢)

القومية عند المفكرين والمنظرين:

لم تعرف القومية نظريا بمعناها الحديث إلا في نهاية القرن الثامن عشر وتطورت في القرن التاسع عشر.^(٣)

ولقد أجمعت التعاريف والنظريات وإن اختلفت في بعض عناصر تكوينها على أن القومية تعني الشعور بالانتماء إلى أمة معينة، لها حضارة متميزة وثقافة معينة تميزها عن غيرها من الأقوام .

فوجد الدكتور شعيب أو عزوز يعرف القومية بأنها: "عقيدة سياسية وصلة اجتماعية متولدة من الاشتراك في الأرض واللغة والثقافة والدين أحيانا والتاريخ والآمال والمصالح المشتركة. والقومية في الواقع لها مدلولان: الأول انتمائي والآخر حركي: ففي الأول يعد كل فرد من أبناء الأمة العربية قوميًا عربيًا بمجرد كونه أحد أبناء هذه الأمة، وأما حركي ومذهبي تحتم على القوم واجبات ومسؤوليات تتحدد بنوع المشكلات التي تواجهها الأمة في مرحلة معينة من تاريخها"^(٤).

أما الدكتور عمر دفاق فرأى أنها: " شعورا مشتركا بين جماعة من البشر بأن ثمة ما يجمعهم ويؤلف بينهم ليكونوا أمة واحدة متميزة عن سائر الأمم " ^(٥).

وقد جعل المؤلف ساطع الحصري القومية تبني على: " وحدة اللغة ووحدة التاريخ لأن الوحدة في هذين الميدانين هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر، والمنازع ووحدة الآلام والآمال ووحدة الثقافة " ^(٦).

(١) اللسان مادة قوم

(٢) القاموس المحيط مادة قوم

(٣) الاتجاه القومي في الشعر المعاصر - عمر دفاق - طبعة عام ١٩٦١ م ص ١٥.

(٤) الاتجاه القومي في الشعر المغربي الحديث والمعاصر د. شعيب أو عزوز طبعة أولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م مطبعة الأمنية ص ١٣.

(٥) الاتجاه القومي في الشعر المعاصر ص ١٧١.

(٦) ما هي القومية: ساطع الحصري - دار العلم للملايين - بيروت - طبعة أولى ١٩٥٩م ص ٢٥١.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس أن القومية ليس لها وجود إلا باللغة: " فإذا كان للقومية وجود حقيقي أو مفهوم محدود، وجب أن نتلمسه في تلك الرابطة الوثقى، التي تؤلف بين أفراد المجتمع، وتوحد أفكارهم وأحاسيسهم وعواطفهم والتي تسمى باللغة أو اللسان"^(١).

ومن جهة أخرى نجد النقيض في الرؤى والتفسير لمفهوم القومية، حيث شكلت القومية بمفهومها الحديث حجر عثرة في نظرهم لوحدة الأمة، وجعلوها زاوية ضيقة الأفق لا تتعدى مصالح شخصية وأفكار سياسية حيث أن القومية الحديثة خلقت من العنصر الديني الذي يشكل الوحدة الأساسية والتمايز القومي والأممي على حد سواء. وفي هذا يذهب الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - : "أن الدعوة إلى القومية العربية تفرق بين المسلمين وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي وتفرق بين العرب أنفسهم"^(٢).

أما الكاتب محمد باشميل يرى القومية: " كلمة صماء ليس فيها أي شيء من خصائص التقدم أو طبائع التأخر إذ أن هذه الطبائع أو تلك الخصائص لا توجد في المذاهب والمبادئ التي هي وحدها يمكن أن تدفع بالقوميات إلى أرقى مراتب القوة والعظمة أو تهوي بها إلى أسفل درجات الضعف كما أن ضعفها ليس له مرجع إلا ضعف واضطراب العقيدة التي تسير بموجبها في الحياة "^(٣).

ومما سبق نجد أن هناك اتجاهين من حيث مفهوم القومية:

الأول: يرى أن القومية مصطلح يبنى على وحدة اللغة والتاريخ والأرض والثقافة.

والثاني: يذهب إلى أن المفهوم السابق مفهوم قاصر إذا ما خلا من العنصر الديني؛ لأنه ينافي مبدأ الأخوة في الإسلام مهما كانت اللغة والأرض طالما يجمعهما دين واحد.

وحتى نضيّق الشق ونردم الهوة، نجد أن مفهوم القومية مفهوم بسيط لمعنى أشمل وأكبر، فالقومية تبدأ باللغة والتاريخ والأرض والنسب فتتسع شيئاً فشيئاً حتى ترتقي لمفهوم الألفية بشمولها الديني فهي جزء من كل وليست كل وهدف بعينه، وهذا ما قد وجدناه في روميات أبي فراس الحمداني فنجد الأبيات قد اتسعت لكلا المفهومين الجزئي وهو القومية إلى الكلي الأممي فلم يهمل أبو فراس الجانب الديني في روميته، مما يدل على الهوية القومية الإسلامية ترنو على أبياته فهو القائل:

(١) اللغة بين القومية والعالمية د. إبراهيم أنيس دار المعارف سنة ١٩٧٠م ص ١٠٢.

(٢) نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع - دار الثقافة الإسلامية - الرياض - للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - ص ١٠-١١.

(٣) القومية في نظر الإسلام - محمد أحمد باشميل - بيروت - ١٩٦٠م طبعة أولى ٣٧٩ هـ. ص ١١.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أَمَّا مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ عِلْجٌ يُعْرِفُنِي الْحَلَالَ مِنْ الْحَرَامِ^(١)

وعلى ضوء ما سبق نجد أن القومية اتخذت عدة مقومات بارزة وهي ما ستكون المداخل الرئيسية لمعرفة الذات الجمعية القومية عند أبي فراس الحمداني وهي:

أ. اللغة .

ب. التاريخ والموروث العربي.

ج. الوصف الشكلي والمظهر الخارجي .

(أ) اللغة:

اللغة من أهم الأدوات الاجتماعية التي تربط الفرد مع غيره من أبناء قومه وممن لم يرههم قبلاً. فاللغة بها يرتقي الفكر، ويلتقي التراث والشعور والأخلاق كما يسرع من عملية الاندماج الاجتماعي، فأقوى رباط يوثق بين العرب ويجمع شتاتهم هو اللغة أو الوحدة.

الشُّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ أَبَدًا وَعَنْوَانُ الْأَدَبِ^(٢)

وهو اعتراف واضح بأهمية اللغة العربية وآدابها كتاريخ وموروث وحضارة أيضا.

وقد تغنى أبو فراس بقدرته على الفصاحة والبيان:

صُبُورٌ وَلَوْ لَمْ تَبْقَ مِنِّي بَقِيَّةٌ قَوْلٌ وَلَوْ أَنَّ السُّيُوفَ جَوَابُ^(٣)

وأيضاً:

جَنَانِي مَا عَلِمْتُ وَلِي لِسَانٌ يُقَدِّدُ الدَّرَعَ وَالْإِنْسَانَ عَضْبُ^(٤)

فقصد (باللسان) القدرة على الرد البليغ والفصيح.

يرى أبو فراس أن القومية تبدأ باللغة العربية، وكل من ينتسب إليها هو عربي يقول في وصف ابنته:

(١) الديوان ص ٢٧٦.

(٢) الديوان ص ١٢٢.

(٣) السابق ص ٢٤.

(٤) السابق ص ٣١.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وأديّةٍ اختَرْتَهَا عَرَبِيَّةً تُعزى إلى الجَدِّ الكَرِيمِ وتُنتمى^(١)

لقد علم أبو فراس أن اللغة هي القوة العظمى في تأسيس وبناء هوية خاصة لقومه ووطنه، ومعيار لتكوين الشخصية الفردية فمن كانت له الفصاحة والبلاغة كان له شأنه في بلاط الخلفاء. حتى في مديح أبي فراس لسيف الدولة وخطاباته، حاول أن يحدد ويرسم مكانة سيف الدولة على أساس قومي عربي يقول:

أَسِيفَ الهُدَى وَقَرِيحَ العَرَبِ عَلامَ الحَفَاءِ وفيمَ الغَضَبِ

وإنَّكَ لِلجَبَلِ المُشْمِخِ رَّ بَلِّ لِقَوْمِكَ بَلِّ للعَرَبِ^(٢)

ولهذا نجد أن التمايز العربي ظهر من خلال الصراع الرومي والذي أبرز السيادة العربية والتغني بها.

(ب) التاريخ والموروث العربي:

يعتبر التاريخ بمثابة الذاكرة الجمعية القومية الكبرى، فالصراعات والمعارك وحتى السلم الذي تعاصره هو تاريخ بل والعادات المترسخة في النفوس والتي لم تدون في الكتب والوثائق.

إن وحدة التاريخ تشكل رابطاً قوياً بين أفراد الأمة، وتولد تقاربا في العواطف والنزعات مما يجعل الروابط المعنوية أقوى وأكبر. كما أن "وحدة المشاعر والآمال والآلام والثقافة إنما هي نتاج وحدة اللغة والتاريخ"^(٣). وكلما كانت الأحداث كبيرة وملیئة بالتحديات والأجماد العظيمة كانت أقرب للذكرى والتأثير. " وكل يقظة قومية حقيقية لا يمكن أن تنطلق من الصفر ولقد امتدت دوحه القومية العربية بجذورها بعيداً في الماضي التليد وكان لها من نتيجة رسالتها السامية وحضاراتها الأصيلة كيان راسخ متميز "^(٤).

وعليه لم تخل قصائد أبي فراس من الجانب التاريخي واستدعاء الأجماد والمحافل العظيمة؛ للتأكيد على القومية العربية المتأصلة في النفوس، وهذا ما تم ذكره سابقا في المبحث الأول تحت عنوان "الذات الأكاديمية".

(١) السابق ص ٢٧٧.

(٢) الديوان ص ٢٨.

(٣) ما هي القومية، ص ٢٥١.

(٤) السابق ص ٢٥١.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وقد أورد فيه استدعاء لبعض الوقائع والغارات، التي شككت مفترق طرق في العصر الإسلامي مثل موقعة اليرموك وموقعة ذي قار في ما قبل الإسلام:

والمُسْلِمُونَ بِشَاطِئِ الِيرْمُوكِ مَا أُحْرِجُوا عَطْفُوا عَلَى هَامَانَ

كذلك إشارته لموقعة ذي قار وانتصار العرب على العجم:

أَبَقْتُ لِبَكْرٍ مَفْخَرًا وَسَمًّا لَهَا مِنْ دُونِ قَوْمِهِمَا يَزِيدُ وَهَانِي^(٢)

ولم يتوقف عند هذا الحد بل استمر باستدعاء رموز تاريخية قديمة للاستدلال بها على سوء البصيرة والعمل ومنها جيلة بن الأيهم:

وَلَلْعَارِ خَلَّى رَبُّ غَسَانَ مُلْكُهُ وَفَارَقَ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ مُصِيبِ^(٣)

ومنها ما كان من باب الخلق والفضل مثل أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما:

أَمَّا لِكِ فِي ذَاتِ النِّطَاقِينَ أَسْوَةٌ بِمَكَّةَ وَالْحَرْبِ الْعَوَانَ تَجُولُ^(٤)

لقد استشهد أبو فراس بكثير من الرموز والوقائع التاريخية؛ ليعيد لنفسه وقومه العزة والكبرياء والأجساد التليدة وليستحث همم قومه تارة وإجلاء حزن أمه تارة أخرى، ولا يكون ذلك إلا بالوقوف عند التاريخ الذي يوحد ويجمع قومه بنقطة واحدة.

ثم نراه يستدعي الأنا الجمعية القومية؛ ليرز قوميتهم هي الأخرى ويأمل فك أسره وجلاء همه معها:

بَنِي عَمَّنَا مَا يَصْنَعُ السَّيْفُ فِي الْوَعَى إِذَا فُلَ مِنْهُ مَضْرِبٌ وَذُبَابُ

بَنِي عَمَّنَا لَا تُنْكَرُوا الْحَقَّ إِنَّنَا شِدَادٌ عَلَى غَيْرِ الْهَوَانَ صَلَابُ

بَنِي عَمَّنَا نَحْنُ السَّوَاعِدُ وَالطُّبَى وَيُوشِكُ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ ضِرَابُ^(٥)

وترتفع صوت القومية عند الفخر يقول:

(١) الديوان ص ٣٠٥.

(٢) الديوان ص ٣٠٦.

(٣) السابق ص ٤٠.

(٤) السابق ص ٣٣.

(٥) السابق ص ٢٦.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
تَهُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلَمِهَا الْمَهْرُ
أَعَزُّبِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التَّرَابِ وَلَا فَخْرُ^(١)

فالذات الجمعية قد تبلورت كذلك حول مفهوم الإباء والشموخ والاعتلاء على باقي الأقسام، بتمييزها الحربي ونفوذها السياسي يقول:

نَعَافُ قَطُوفَهُ وَنَمَلُّ فِيهِ وَبِمَنْعَنَا الْإِبَاءَ مِنَ الزِّيَالِ
مَخَافَةَ أَنْ يُقَالَ بِكُلِّ أَرْضٍ بَنُو حَمْدَانَ كَفَّوْا عَنَّا قِتَالِ^(٢)

لم يتوقف أبو فراس عند استدعاء الرموز التاريخية، بل تبلورت الذات القومية لديه حتى جعل من نفسه رمزا قوميا حاضرا من خلال التأكيد على الفراغ الذي تركه وسط قومه، فلم يعد من يسد مكانته يقول:

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ^(٣)

وأيضاً:

فَإِنْ عُدْتُ يَوْمًا عَادَ لِلْحَرْبِ وَالْعُلَا وَبَذَلَ التَّدْيَ وَالْجُودِ أَكْرَمُ عَائِدُ
مَنْعَتِ حِمِّي قَوْمِي وَسُدَّتْ وَقَلَدْتُ أَهْلِي غَرَّ هَذِي الْقَلَائِدُ^(٤)

ما زال أبو فراس معززا للذات القومية رغم الأسر والبعد، من خلال ما مضى من سيرته القومية السابقة، فقد حمى قومه وساد عشيرته بل أن أفعاله بلغت عنان السماء عندما يقول:

وَأَنَا الَّذِي مَلَأَ الْبَسِيطَةَ كُلَّهَا نَارِي وَطَنَبَ فِي السَّمَاءِ دُخَانِي^(٥)

(١) السابق ص ١٦١.

(٢) الديوان ص ٢٠٩.

(٣) السابق ص ١٦١.

(٤) السابق ص ٨٩.

(٥) السابق ص ٣٤.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

توجه أبو فراس إلى خطاب قومه بل وخصص عشائر بعينها قد توجت مواقفه مسبقا يقول:

سَتَذْكُرُ أَيَّامِي نُمَيْرٌ وَعَامِرٌ وَكَعْبٌ عَلَى عِلَاتِمَا وَكِلَابٌ^(١)

ويقول:

أَلَا هَلْ مُنْكَرٌ يَا بَنِي نِزَارٍ مَقَامِي يَوْمَ ذَلِكَ أَوْ مَقَالِي
أَلَمْ أُثْبِتْ لَهَا وَالخَيْلُ فَوْضَى بِحَيْثُ تُخَفُّ أَحْلَامَ الرِّجَالِ
تَرَكْتَ ذَوَابِلَ الْمُرَّانِ فِيهَا مَخْضَبَةً مَحْطَمَةَ الْأَعَالِي^(٢)

فنمير وعامر وكعب وكيلاب وبنو نزار قد شهدوا بسيادة أبي فراس وقدرته القيادية، التي برزت بينهم من خلال ما حققه من معارك وأيام دامية بينهم إما بالمعارك والحروب مع الروم أو صراعات داخلية قومية حينئذٍ.

كما تتسع الذات القومية لتشمل البدو والحضر على حد سواء، حين يخاطب محبوبته التي جعلها معادلا موضوعيا ليناشد من خلالها الوصال مع سيف الدولة:

فَلَا تُنْكِرِينِي يَا ابْنَةَ الْعَمِّ إِنَّهُ لَيَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَهُ الْبَدُوَ وَالْحَضْرُ
وَلَا تُنْكِرِينِي إِنَّنِي غَيْرُ مُنْكَرٍ إِذَا زَلَّتْ الْأَقْدَامُ وَاسْتَنْزَلَ النَّصْرُ^(٣)

إن الذات القومية عند أبي فراس قد شملت حتى العادات والتقاليد الموروثة ولم تكتف بالجانب القيادي الحربي:

وَحْيٌ رَدَدَتْ الْخَيْلَ حَتَّى مَلَكَتْهُ هَزِيمًا وَرَدَّتْنِي الْبِرَاقِعَ وَالْحُمْرُ^(٤)

يضاف إلى ما سبق النسب والذي لعب دورا كبيرا لتحديد الهوية العربية الحمدانية، فقد شدد أبو فراس على الحفاظ على القومية العربية من خلال قدرته على التواصل مع الأقرباء والأصحاب ومن يجمعهم به صلات قرابة وقد ذكر في غير رومياته:

(١) السابق ص ٢٥.

(٢) الديوان ص ٢١٠.

(٣) السابق ص ١٥٩.

(٤) السابق ص ١٥٩.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أَنْبُذُ لَأَعْدَائِنَا وَهُوَ عَنِ الْإِخْوَةِ مَمْنُوعٌ

أَوْ نَصِلُ الْأَبْعَدُ مِنْ قَوْمِنَا وَالنَّسَبُ الْأَقْرَبُ مَقْطُوعٌ^(١)

لطالما حض أبو فراس على الترابط والوصل، فالسيادة الكاملة والقوة العظمى لديه تبدأ من التلاحم الداخلي يقول

وَإِنْ خُرَّاسَانَ إِن أَنْكَرْتِ عَلَيَّ فَقَدْ عَرَفْتَهَا حَلَبٌ

وَمَنْ أَيْنَ يُنْكَرِنِي الْأَبْعَدُونَ أَمِنْ نَقْصِ جَدِّ أَمْ نَقْصِ أَبٍ^(٢)

(ج) الوصف الشكلي والمظهر الخارجي :

مما شكل تمايزا قوميا في شعر أبي فراس وروميته على وجه الخصوص، هي الأوصاف الدقيقة والتي لم يهملها أبو فراس عند وصفه للروم يقول:

أَتَزَعُمُ يَا ضَخَمَ اللِّغَادِيِّدِ وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْحَرْبِ لِأَنَعْرِفُ الْحَرْبَا

أَنْنَا^(٣)

فاللغاديد: لحمة في الحلق كناية عن ضخامة الرقبة^(٤).

فقد اتصف الروم بضخامة الجسم عامة ومنها الرقبة كذلك، وهذا التفصيل الصغير كان لدى أبي فراس تمايزا قوميا للعجمي على العربي بنظره بقوله :

وَجَدْتُ أَبَاكَ الْعِلْجَ لَمَّا خَبَّرْتُهُ أَفَلَكُمْ خَيْرًا وَأَكْثَرَكُمْ عُجْبَا^(٥)

والعلاج في القاموس المحيط هو "الرجل من كفار العجم"^(٦).

(١) السابق ص ١٥٨.

(٢) الديوان ص ١٢٩.

(٣) السابق ص ١٤٢.

(٤) السابق ص ٤٢.

(٥) السابق ص ٤٣.

(٦) القاموس المحيط مادة (علاج)

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

وفي المعجم الوسيط من "استعلاج" أي غلظ واشتد بدنه" (١).

ويقول:

وَلَكِنْ أَنْفَتُ الْمَوْتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ بِأَيْدِي النَّصَارَى الْعُلْفِ مَيْتَةً أَكْمَدِ
(٢)

ويقول:

لَهُمْ خَلَقُ الْحَمِيرِ فَلَسْتُ تَلْقَى فَتَى مِنْهُمْ يَسِيرُ بِأَبْلًا حِزَامِ (٣)

إن عناصر القومية لدى أبي فراس تشكلت ونضجت كثيراً، خصوصاً بعد أسره فلم يهمل أبو فراس المقومات التي تشكل الذات الجمعية، من لغة وتاريخ وتمايز خلقي وهي ما قامت القومية عليها. فالقومية والفكر القومي بالأخص لديه كان واضحاً وجلياً في أبياته، والذي عززه ماضيه الحربي والقيادي، مما جعل أبا فراس يقتنص هذه الميزة لنفسه؛ ليزيد بها رصيده العاطفي عند سيف الدولة لعله يفك أسره.

(١) المعجم الوسيط. مادة (علاج)

(٢) الديوان ص ٨٣.

(٣) الديوان ص ٢٧٦.

الفصل الأول

الذات

المبحث الرابع

الذات الأممية

الذات الأممية :

لقد أشرت في المبحث السابق إلى أن المفهوم الأممي ليس نقيض الفكر القومي، بل يسير معه جنباً إلى جنب، وهو مفهوم واسع يشمل القوميات بأسرها في بوتقة الدين كأساس لها، فيجعلها وطن واحد متلاحم إنسانياً، ومشارك ضمن مصالح وأهداف واحدة ذات طابع فكري واجتماعي موحد.

إن مفهوم الأمة لم يعد يقتصر على العرب دون غيرهم، بل المسلمين في شتى بقاع الأرض، ولنشمل النظرة إلى المفهوم الأممي لا بد لنا من تتبع هذا المصطلح بين بعض كتب اللغة والمؤلفات القديمة والحديثة ..

التعريف بالأممية :

الأمة في اللغة :

الأمة من (الإمة) بكسر الهمزة وهي الحالة والشرعة والعين ^(١) وهي الطريقة والدين ويقال فلان لا أمة له أي لا دين له ولا نحلة وتدل كذلك على الجماعة ^(٢).

الأمة في القرآن الكريم:

ورد لفظ الأمة في القرآن الكريم مرات عديدة. وقد اختلفت دلالاتها من موضع لآخر وإن كنا اقتصرنا على المصطلح الذي يقصد به الدين والشريعة.

قال تعالى: ﴿

﴿

وقوله تعالى: ﴿

﴿

﴿

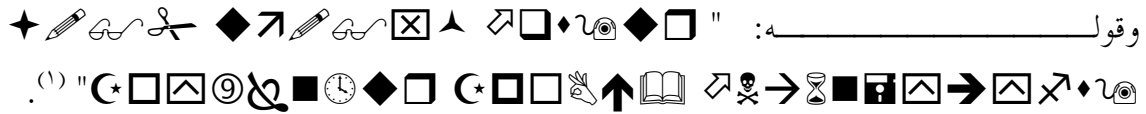
(١) القاموس المحيط مادة (إمة).

(٢) لسان العرب مادة (أمة)

(٣) الأنبياء : ٩٢.

(٤) الزخرف : ٢٣.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وقوله: "  " (١).

إن الآيات السابقة أجمعت على أن الأمة تعني الدين والشريعة، وعليه فإن مصطلح أمة لم تكن حديثة عهد ولا دخيلة بل قديمة ومتأصلة منذ القدم، وإن اختلفت دلالاتها أحياناً.

الأمة في بعض المؤلفات قديماً:

لقد ذكرت المؤلفات قديماً كلمة أمة وتعددت مدلولاتها كذلك ولم تتبلور على ما هي الآن، وقد أوردنا بعض المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر وإن ركزنا قدر الإمكان على الدلالة الحالية وقرّبها منها:

ففي كتاب السياسة المدنية للفارابي قد ذكر لنا الأمة بمفهوم قريب لما هو عليه حالياً: " والأمة تتميز عن الأمة بشيئين طبيعيين بالخلق الطبيعية والشيم الطبيعية، وبشيء ثالث وضعي وله مدخل ما في الأشياء الطبيعية وهو اللسان أعني اللغة التي بها تكون العبارة" (٢).

وأيضاً في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة يقول: " وآخرون رأوا إن الارتباط هو بتشابه الخلق والشيم الطبيعية والاشترار في اللغة واللسان" (٣).

ونجد بذلك أن الفارابي شدد على الصفات الخلقية والشيم لتمييز أمة عن أمة، ورأى أن اللغة هي الوسيلة الأساسية لذلك. وهو تعبير واعٍ بالرغم من قدمه.

أما ابن خلدون في مقدمته فيرى أن الأمة لا تتسع ولا يقوى شأنها حتى تتصف بالوحشية.

يقول في فصل " إذا كانت الأمة وحشية كان ملكها أوسع" "لقد رتهم على محاربة الأمم سواهم ولأنهم يتنزلون من الأهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهؤلاء مثل العرب وزناته" (٤).

كما جعل ابن خلدون الأمة قسمان: قسم غالب وقسم مغلوب يتبع الغالب.

يقول في فصل " (أن المغلوب مولع أبداً بالاعتداء بالغالب). حتى أنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا الشبه والاعتداء حظ كبير" (١).

(١) النحل: ٩٣.

(٢) السياسة المدنية للفارابي بيروت - لبنان - ١٩٩٨م. مطبعة دار المشرق ص ٧٠.

(٣) آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي بيروت - لبنان ١٩٨٦م مطبعة دار المشرق ص ١٥٥.

(٤) مقدمة ابن خلدون الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر المجلد الأول - مكتبة لبنان - بيروت

١٩٩٢م ص ٢٦٣.

مفهوم الأمة حديثاً :

كثير من المؤلفات قد تناولت مصطلح الأمة سواء أكانت دراسات دينية، أم اجتماعية، أم سياسية وقد أوردت عدة تعريفات للأمة كان أبرزها:

"الأمة هي ذلك الكيان الجماعي الذي يتركز في تماسكه إلى عقيدة إيمانية شاملة، مصدرها رباني ومجالها كافة أوجه الحياة الدنيا في منظور أخروي." (٢).

كما قد يشتمل مفهوم الأمة على المعنى الديني والتاريخي، وهو ما ذهب إليه الدكتور ناصيف نصار: "بأن هنالك علاقة جدلية عميقة وغامضة بين المعنى الديني والمعنى الاجتماعي التاريخي للأمة في التكوين النفسي الثقافي، الذي تحمله المجتمعات العربية من تاريخها الطويل القديم والحديث." (٣)

وتعرف الأمة " بأنها جماعة كبيرة من الناس تنتمي إلى أصل عرقي واحد، يوجد بين أفرادها لغة مشتركة أو تاريخ مشترك ومصالح كبرى، فضلاً عن الوجود الجغرافي والتاريخي لقرون طويلة في أرض بعينها " (٤).

وعلى ضوء ما سبق نجد أن مفهوم الأمة لم يكن حديث عهد والقرآن الكريم خير شاهد على هذا، كما أن مفهوم الآية في اللغة والمؤلفات القديمة والحديثة لم ينفصلا كثيراً، فقد تركز المفهوم الأُمِّي حول الدين والتاريخ واللغة.

ومن خلال روميات أبي فراس لا نجد اللفظ الصريح للأمة، ولكننا نجد إشارات ومعاني تتجه إليه على نحو غير مباشر وذلك عند إيراد الدلالات الإسلامية والعقدية، وقد تمازج كذلك المفهوم العقدي والاجتماعي ليصور لنا الفكر الأُمِّي.

(١) السابق ص ٢٦٧.

(٢) الأمة القطب نحو تأصيل منهجي لمفهوم الأمة منى عبدالمنعم أبو الفضل - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ص ٢٤.

(٣) مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ دراسة في مدلول الأمة في التراث العربي الإسلامي د. ناصيف نصار الطبعة الخامسة - دار الطليعة - بيروت - ص ١٣.

(٤) الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله د. عبدالله الشوكي طبعة ونشر وزارة الأوقاف بالمملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ. ص ٢٣-٢٤.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

كما نلاحظ قلة الأبيات التي أوردها في مفهوم الأمة وفكرها حيث غلب على الأبيات الجانب الذاتي الفردي، وإن برز الجانب القومي والأُمِّي على استحياء؛ وذلك أن أغلب الأبيات كانت لغاية الخلاص من الأسر واسترحام سيف الدولة لحاله.

فلم نجد كلمة أمة في روميته إلا في موضع واحد صريح وبقية دلالات ومفردات تندرج ضمنها حين يقول:

لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ أُمَّةٌ عُرِفَتْ إِلَّا وَفَضْلُ الْأَمِيرِ يَشْمَلُهَا
فَمَنْ أَحَقُّ الْوَرَى بِرَأْفَتِهِ فَأَيْنَ عَنَّا وَأَيْنَ مَعْدِلُهَا^(١)

فكانت الدلالة الأولى لكلمة أمة هي الأمم المجاورة للدولة الحمدانية، فلم يبق أمة إلا ونالها فضل الأمير وإن شحت عن أمته الأقرب، والدلالة الثانية: وهي الأقرب فقصد بالأمة أمة الروم لأن سيف الدولة قد فادى بعض أسرى الروم وهنا ساد فضله عليهم دون المسلمين العرب ومن بينهم أبو فراس الحمداني.

فيما عدا البيت السابق نجد أن الأبيات لم تكن صريحة في ذكر لفظ الأمة، وإنما تمازجت الأبيات والمفردات لتكون لنا مفهوماً أُمِّياً واضحاً.

فبالرغم من قلة الأبيات في المفهوم الأُمِّي عند أبي فراس، إلا أن الشاعر استطاع رسم أبعاد عديدة مشتملة مفهوم الأمة، ارتمت في تلك الأبعاد كل الجوانب الشرعية أو الاجتماعية أو الحضارية حتى في ذاته ولنوضح بشيء من التفصيل قد حددنا عدة أبعاد رئيسية دارت حولها بعض أبياته:

أ. البعد الشرعي.

ب. البعد الاجتماعي.

ج. البعد الحضاري والثقافي.

أولاً : البعد الشرعي :

إن البعد الشرعي هو ما يحفظ للأمة كرامتها وعزتها من خلال تطبيق العقيدة والشريعة؛ "لأن الأمة بمفهومها لا يمكن فصلها عن العقيدة والشريعة، فهي مبعث الأمة وهي ما يحفظ الأمة من النزاعات، من

(١) الديوان ص ٢٤٤.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

خلال تحكيم العدل والمساواة وتطبيق الشرع إلا من خلال اقتران الإيمان بالعمل والباطن بالظاهر والعقيدة بالشريعة"^(١).

أ - الدعوة للجهاد :

"إن عقيدة التوحيد هي المرتكز الأساسي الذي يجتمع عليه العرب والعجم"^(٢).

وعليه فإن الجهاد قد يكون مطلباً أساسياً في مجال وقف الزحف غير الإسلامي بشتى أنواعه، سواء كان زحف صليبي، أو حتى نزاعات طائفية شعوبية وقد ذكر الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه الشعر العباسي الرؤية والفن: "والحق إن سياسة الدولتين العربية والبيزنطية لم تكن بمعزل عن الفكرة الدينية، بل كانت الفكرة الدينية في أغلب الأحوال هي الموجه للسياسة ومن أجل ذلك لم يكن الصراع الحربي بينهما، إلا واجهة عنيفة لهذا الصراع الديني"^(٣).

ومن خلال كلام الدكتور عز الدين نجد أن المحرك الأول والباحث هنا هو المفهوم الديني، فكان الموت هو استشهاداً في نصره الحق وتوطيد الإسلام من ذلك يقول أبو فراس:

وَلَكِنْ سَأَلَقَاهَا فَمَا مَنِيَّةٌ هِيَ الظَّنُّ أَوْ بُنْيَانٌ عِزٌّ مُوَطَّدٍ^(٤)

ويتكرر المعنى السابق أيضاً :

إِذَا قُضِيَ الحِمَامَ عَلَيَّ يَوْمًا فَفِي نَصْرِ الهُدَى بِيَدِ الضَّلَالِ^(٥)

ويقول:

قَدْ عَذَّبَ المَوْتَ بِأَفْوَاهِنَا وَالمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ الذَّلِيلِ

إِنَّا إِلَى اللَّهِ لَمَّا نَابْنَا وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرِ السَّبِيلِ^(٦)

ومن أبرز ما جاء في رومياته معبرا ومفصلا لمعنى الجهاد:

(١) الأمة القطب ص ٤٢.

(٢) الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة ص ٢٨٨.

(٣) في الشعر العباسي الرؤية والفن ص ١٥٦.

(٤) الديوان ص ٨٦.

(٥) السابق ص ٢١٠.

(٦) السابق ص ٢٤٦.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

سَيْفَ الْهَدَى مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ يُرْتَجَى يَوْمَ يُذِلُّ الْكُفْرَ لِلْإِيمَانِ
هَذَا الْجِيوشِ تَجِيشُ نَحْوِ بِلَادِكُمْ مَحْفُوفَةً بِالْكَفْرِ وَالصُّلْبَانِ
الْبُغْيِ أَكْثَرَ مَا تَقِلُّ خِيُولُهُمْ وَالْبُغْيِ شَرُّ مُصَاحِبِ الْإِنْسَانِ
لَيْسُوا يَنْوَنُ فَلَا تَنْوَا فِي أَمْرِكُمْ لَا يَنْهَضُ الْوَاوِي لِعَيْرِ الْوَاوِي
غَضَبًا لَدِينِ اللَّهِ أَنْ لَا تَغْضَبُوا لَمْ يَشْتَهْرِ فِي نَصْرِهِ سَيِّفَانِ
حَتَّى كَانَ الْوَحْيَ فِيكُمْ مُنْزَلٌ وَلَكُمْ تُخَصُّ فَضَائِلُ الْقُرْآنِ
قَدْ أَغْضَبَكُمْ فَأَغْضَبُوا وَتَأَهَّبُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَةَ ثَائِرِ غَضَبَانِ^(١)

نجد أن الحشد في الدلالات الدينية أبرز كثيرا الجانب الأُمِّي في ذات أبي فراس، فيخاطب سيف الدولة بقوله [سيف الهدى] وهنا انتقال كامل من المفهوم الضيق للإمامة والانطلاق بها إلى رحب واسع حيث سيده على المسلمين أجمع من خلال سيف الهدى، فالهدى من الهداية والدين القويم، ثم نجد تلك المتضادات من الكفر والإيمان والكفر والهدى وكان الشاعر في موازنة دينية بحتة بين الدين الإسلامي ورفعته وبين وضعية المسيحية، فالدين هو العزة والكرامة والنصر، بل وكان سيف الدولة وجيشه من قدسية مهمتهم في محاربة الروم والصد للزحف الصليبي، يرى الشاعر أن القرآن بكل ما فيه وتجلياته السامية متمثلاً في هذا الجيش والقائد الكريم، في مقابل جيش العدو والذي كان رمزا للذل والهوان وكان الغي هو الوصمة التي وصمها أبو فراس بهم، فأراد أن ينزل من شأنهم وفي ذات الوقت يرفع من شأن سيف الدولة وجيشه في لحظة جميلة للدعوة والحض على الجهاد المقدس في سبيل إعلاء كلمة الحق.

فالهدى والوحي والقرآن إنما دلالات من خلالها نجد توحيد الأمة الإسلامية بكافة أطرافها، فالخطاب هنا لكل مسلم عربي أو أعجمي كان.

ويقول:

صَبْرًا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْتَحَ حُ هَذَا فَتَحًا يَسِيرًا
مَنْ كَانَ مِثْلِي لَمْ يَيْتَ إِلَّا أَسِيرًا أَوْ أَمِيرًا^(٢)

إن الفتح هو واجب إسلامي يسعى المسلم لتحقيقه لينال الأجر، وقد اتخذ أبو فراس أسلوب إثارة الحمية والغيرة للدفاع عن بلاد المسلمين، كما يطمع أن يشمل النصر فتح حرسنه بل وليثير الحماسة، رأى

(١) الديوان ص ٣٠٥.

(٢) السابق ص ١٥٦.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

التقليل من شأن الروم وإظهارهم بمظهر الضعف حين يقول فتحا يسيرا؛ ليبين في المقابل مدى قوة الجيش الإسلامي وسطوته بالحق.

وفي الربط بين مفهوم الجهاد والموت، نجد أن الموت كان حاضرا في كثير من أبيات الشاعر بعدة دلالات ومفاهيم إلا أن المفهوم والذي يرتبط بالجهاد واستعلاء معنى الموت في مقابل العيش بالذل والهوان؛ ليتسامى الهدف ويعظم في أعين المسلمين فالموت حقيقة حتمية عند أبي فراس، ولكن أن يكون الموت ذا رسالة ونصر وحماية للمحارم ودفاع عن الدين، فحتمًا ستكون عزة ومصير بائس للروم:

قَدْ عَذَّبَ الْمَوْتُ بِأَفْوَاهِنَا وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ الذَّلِيلِ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ لِمَا نَابَنَا وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرِ السَّبِيلِ^(١)

إن الجهاد في سبيل الله هو السبيل الخالص للجنة، والطريق إلى ملذاتها لذا استعذب الشاعر الموت وكأنه قطعة من ملذات تأمل وصورها، ليتحول الألم والخوف من الموت.

ب- الحث على الفضائل والعدل:

لا شك أن النهوض بالأمة يبدأ من إصلاح الداخل في جميع شؤون الحياة، والحض على النزاهة وتطبيق الشرع، فجدد الحس الديني مرتبًا كثيرًا بالأخلاق، والدين المعاملة والأخلاق.

ومن هنا نجد أن مدارك الشاعر الأمية اتسعت لهذه المفاهيم الدينية، وإن كان يستجدي الشاعر ويتأمل أحيانًا لها.

يقول:

أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقِ التَّرَابِ وَلَا فَخْرُ^(٢)

لقد أعطى الإسلام الكرامة للمسلم فبالعزة والرفعة وكانت الأمة الإسلامية خير أمة قال تعالى:

"أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا" وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقِ التَّرَابِ وَلَا فَخْرُ^(٣)

(١) الديوان ص ٢٤٦.

(٢) السابق ص ١٦١.

(٣) آل عمران: ١١٠.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وقال تعالى: "﴿لَا أَنَا مِنَ كُلِّ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾" (١).
﴿لَا أَنَا مِنَ كُلِّ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (١).

ومن منطلق الآيات السابقة الكريمة كانت الأمة الإسلامية ذات رفعة وعزة وسيادة؛ لما اكتسبته من خصائص ميزتها عما سواها من الأمم.

يقول أيضا:

ولَا أَنَا مِنَ كُلِّ الْمُطَاعِمِ طَاعِمٌ وَلَا أَنَا مِنَ كُلِّ الْمُشَارِبِ شَارِبٌ
ولَا أَنَا رَاضٍ إِنْ كَثُرْنَ مَكَاسِبِي إِذَا لَمْ تَكُنْ بِالْعِزِّ تِلْكَ الْمَكَاسِبُ (٢)

"إن النزعة العقلية هنا قد وضحت وذلك بتقديم العقل على القلب والرضا بالأكل واللقمة الحلال بدلا عن الحرام، فالنزعة العقلية في الإسلام واضحة بجلاء فلقد رفع الإسلام من شأن العقل حتى بدا واضحا من خصائص الإسلام الأولى أنه دين يقوم على العقل ويبني الإيمان على التفكير الصائب والنظر العميق" (٣).

وقد قال رسول الله صلوات الله عليه: "كرم الرجل دينه ومرءته عقله وحسبه خلقه" (٤). فالمرءة غلبة العقل على الشهوة، ومن هنا تجلت مرءة أبي فراس في بذل المال وتكسبه من خلال الشرع والعقل، مما يعطي للمرء العزة والشرف، فاستنهاض الأمة لا يكون إلا بتطبيق الشرع وبيان مفهوم الحلال والحرام والحدود التي شرعها الله سبحانه وتعالى.

يقول:

وَأَنْصِفُ فَتَاكَ فَإِنْصَافُهُ مِنْ الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ الْمُمْتَسَبُ
(٥)

إن العدل والإنصاف من أبرز الصفات الأهمية والتي دعا إليها الشاعر، فلا خير في أمة لا يسودها العقل فتستفحل الضغائن وتسود السرائر، مما يؤدي إلى التفكك وقلة الأمن فالإنصاف الذي يريده الشاعر هو

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) الديوان ص ٣٨.

(٣) (مكانة العقل في فلسفة الجاحظ). أطروحة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة للطالب عبدالمجيد الوزني عام ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ جامعة الجزائر، ص ٢٣.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل - أبو عبدالله أحمد الشيباني مصر مؤسسة قرطبة ٢/٣٦٥٠.

(٥) الديوان ص ٣٠.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

حق العدل والمساواة والتعجل بفدائه، مقابل البذل بالروح عن سيف الدولة ومملكه وعدم تأخره،
فبالعدل ينتفي الظلم وهو ما رآه شاعرنا من خلال ما قاساه في أسره.

ج- استحضر الله سبحانه وتعالى في كل أمره:

استحضر الله سبحانه وتعالى هو أكبر رادع للظلم والجور والفساد، واستحضره يعطينا القدرة بالتسليم
لكل أمره وأن كل ما يسري على ابن آدم هو مقدر مما يهون في سبيل الصعاب، وتخضع وتذل العقبات
ويصبح للحياة طعم مختلف كما للموت معنى آخر.

يقول الشاعر:

وَمَنْ لَمْ يَوْقِ اللَّهَ فَهُوَ مَمَزَّقٌ وَمَنْ لَمْ يُعِزَّ اللَّهَ فَهُوَ ذَلِيلٌ^(١)

إن مخافة الله سبحانه وتعالى هي الدافع الأكبر للبعد عن الشهوات والمعاصي كما ذكرنا سابقا، كما أن
الله هو المدبر والمصرف والذي قدر كل شيء وعليه فمن يحفظه الله لا يضره شيء، ومن لم يعزه الله فهو
ذليل مهما بلغ من مراتب، فالعزة والذلة هنا تقوم على التسليم بالقدر أولا وأخيرا، ومن لم يقدر له
النجاح والعزة فلن ينالها أبدا، وهنا معنى عقدي كبير أدرجه الشاعر. ويؤكد المعنى السابق:

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرَّزَايَا مِنْ وَجْهِ الْفَوَائِدِ^(٢)

ويقول:

وَلِلْعَارِ خَلَى رَبُّ غَسَّانَ مُلْكُهُ وَفَارَقَ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ مُصِيبِ^(٣)

نجد هنا نتيجة عكسية لمن خالف أحكام الله وشرعه واعتدى على الغير فإن العار والهوان قد لحق به.
وعليه فإن البعد الشرعي هو من يكفل للأمة حقوقها وآمالها ليسود الأمن فالأمة القوية هي التي
استمدت قوتها من شعبها وأفرادها، من خلال تطبيق الشريعة العقلية والروحية والشعورية على السواء.

ثانياً : البعد الاجتماعي :

(١) الديوان ص ٢٣٤.

(٢) السابق ص ٨٨.

(٣) السابق ص ٤٠.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لقد سعى الإسلام لاستيعاب الأسرة والقبيلة وتوسعاتها لتشمل الأمة التي يفترض أن تنمو أيضا، فمبدأ الأخوة هو مبدأ إسلامي لا يستند بيولوجيا، بل كل فرد مسلم وهي قرابة نسبية على أسس إنسانية شمولية، بدل حصرها في بوتقة ضيقة.

أ - الحز على التآلف والنصرة

يقول أبو فراس:

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَدَّ قَدِيمٌ نَعْدُهُ وَلَا نَسَبٌ بَيْنَ الرَّجَالِ قُرَابُ
فَأَحْوَطُ لِلْإِسْلَامِ أَنْ لَا يُضَيِّعَنِي وَلي عَنكَ فِيهِ حَوَاطَةٌ وَمَنَابُ^(١)

هنا تأكيد لمقاييس القرابة المعنوية فبالإسلام تنصهر أعضاء الأمة وأفرادها؛ ليصبحوا تشكيلا متحدا فالذات هنا تطلب الإنصهار داخل الأمة بحكم الإسلام الذي وحدها.

وقوله:

فَلَا وَأَبِي مَا سَاعِدَانِ كَسَاعِدِ وَلَا وَأَبِي مَا سَيِّدَانِ كَسَيِّدِ^(٢)

إن من أصول الدين الذي يوحد الأمة هو الاجتماع والائتلاف بين المسلمين، وتحريم الفرقة والاختلاف، فلا بد من الوقوف صفا واحدا مع حكام المسلمين في مجابهة أعداء الأمة، فيرى الشاعر أن الاتحاد قوة، عندما حض سيف الدولة على فداءه ليقوى أمره وحكمه .. فاهتمام الحاكم بشؤون قومه ورعاية مصالحهم تنقلنا إلى مستوى أعلى هو مستوى الأمة، فتحقيق كل أمر فردي يؤثر تباعا على المستوى القومي ومن ثم الأممي.

وقوله:

فَلَا كَانَ كَلْبُ الرُّومِ أَرْأَفَ مِنْكُمْ وَأَرْغَبَ فِي كَسْبِ الثَّنَاءِ الْمَخْلَدِ
وَلَا بَلَغَ الْأَعْدَاءُ أَنْ يَتَنَاهَضُوا وَتَقَعْدَ عَنْ هَذَا الْعَلَاءِ الْمُشَيِّدِ^(٣)

(١) الديوان ص ٢٦.

(٢) السابق ص ٨٥.

(٣) السابق ص ٨٤.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

إن استعلاء الهمم وشحذها كان طريقا اتخذه أبو فراس للخلاص من الأسر، فجعل فداءه أمرا مخلدا مشيدا يكسب العزة والعلاء لأنه يرى أن نصرة المسلم لأخيه المسلم هي أبرز مقومات عزة الأمة وعلاها.

ب- المرأة في الفكر الأمي :

المرأة هي صانعة الرجال ومربية الأجيال ودورها بارز في الإسلام وكان لها دوما مكانتها وعزتها المحفوظة "فالمرأة بلا شك نصف المجتمع تؤدي رسالة خطيرة"^(١).

فكانت أهميتها تبدأ من خلال تنشأة الأسرة، ورأينا الأم عند أبي فراس والذي حفظ لها مكانتها وناجها حتى في بعده.

لَوْلَا الْعُجُوزُ بِمَنْبَجٍ مَا خِفْتُ أَسْبَابَ الْمَـنِيَّةِ^(٢)

فالشاعر يقدر أمه ويعزها يعدلها مكانة رفيعة لديه.

ثم نجد المرأة الحبيبة والقريبة والجميلة، وموقفه منهن فالعفة هنا لا تقتصر على النساء فقط بل وحتى الرجال تعف فهنا قوة إرادة في ضبط النفس واحترامها حين يقول:

وَلَا تَمْلِكُ الْحَسَنَاءَ قَلْبِي كُلَّهُ وَإِنْ شَمَلَتْهَا رِقَّةٌ وَشَبَابُ^(٣)

ويقول:

حَفِظْتُ وَضَّيْعَتِ الْمَوَدَّةِ وَأَحْسَنَ مِنْ

لقد حرص الشاعر على حفظ العهد والمودة وحتى لو أخلت به ذلك من باب الوفاء وهذا من شيم الكرام.

(١) الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة ص ٤٤.

(٢) الديوان ص ٣١٧.

(٣) السابق ص ٢٤.

(٤) السابق ص ١٥٧.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لقد بلغت مكانة المرأة مبلغا كبيرا، فأصبحت تشارك الأبطال انتصاراتهم بل وتبارك لهم وتعيدهم من كل سوء، وهذا يدل على إشراك المرأة حتى في الأمور القيادية والقدرة على دمجها وعدم عزلها بل وكانت مصدر فخر لكل فارس حين تشيد النسوة بإقدامهن والذود عن أعراضهن.

يقول:

فَقَائِلَةٌ تُقُولُ أَبَا فِرَاسٍ أَعِيدُ عَلَاكَ مِنْ عَيْنِ الْكَمَالِ
وَقَائِلَةٌ تُقُولُ جُزَيْتَ خَيْرًا لَقَدْ حَامَيْتَ عَنْ حَرَمِ

إن المرأة بمفهومها الجمعي الأعمى هو صون كرامتها وحفظها حتى وإن كن سبيات فالمرأة العدو كما ذهب إليه عبدالرحمن الخميس في رسالته المعنونة "البطل في شعر أبي فراس الحمداني" يراها في مكنن قوة حتى وإن كن سبيات "لكنهم أحيانا يجمون نساء أعداهم ويصونهن من أن تنتهك حرماهن" (٢).

يقول:

وَحَيَّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ حَتَّى مَلَكَتُهُ هَزِيمًا وَرَدَّتِنِي الْبِرَاقِعُ وَالْخُمْرُ
وَصَاحِبَةَ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقَيْتُهَا فَلَمْ يَلْقَهَا جَافِي اللَّقَاءِ وَلَا وَعْرُ (٣)

إن الإستقبال الحسن وحسن المعاملة هو دليل تكريم للمرأة أيما كانت وكان الشاعر قدر مكانتهن وإن كن عدوات.

ثالثا: البعد الحضاري والثقافي :

إن الحضارات هي نتاج وخلصات جهود بشرية، وتجارب إنسانية نتج عنها تراث ثقافي تاريخي أو حاضر مجيد كما يرتبط دوما بالعنصر الروحي والديني.

فكل أمة تعزز بحضارتها وثقافتها المتعددة، ومنها الحفاظ على العلم والفكر والأدب والتاريخ الحربي كذلك له من الأهمية بما كان إذا ما كان في سبيل إعلاء كلمة الله وضم الأمم على كلمة سواء.

(١) السابق ص ٢١٠.

(٢) انظر ص ٣٣٣.

(٣) الديوان ص ١٥٩ - ١٦٠.

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

ولقد أفردنا في البعد الحضاري والثقافي مبحثاً أو جزءاً منه عندما تحدثنا عن الذات الأكاديمية لدى الشاعر، وكذلك تاريخه الحربي وتاريخ أجداده والذي كان شاهداً على مدى تمسك الأمم بتاريخها وحضارتها^(١) فقد تتبعنا الثقافة الحمدانية وحبهم للعلم والأدب وسجالاتهم الحربية، من خلال رصد أبيات أبي فراس الحمداني لها في روميّاته. " فقد سجل بنو حمدان صفحة خالدة في تاريخهم وتاريخ قومهم عند تصديهم لغزو الروم"^(٢).

فنجد ازدهار الترجمة في العصر العباسي بشكل لافت ، كما أن الصراع الإسلامي الصليبي لم يكن ذا طابع ديني فقط بل صراع حضارات في حفظ الهوية والقدرة على البقاء والتأصل.

"ولقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن الفضل الذي أحرزه سيف الدولة ابن حمدان بنشر العلوم والآداب العربية هو عنوان مجسد لا يقل عن أعماله الحربية"^(٣).

مما سبق نجد أن الأمة بمفهومها المتعدد قد برزت في ذات أبي فراس، تلك الذات التي نشدت الكمال بدءاً من شخصيته الفردية وحتى الأسرية والقومية ليصل بها إلى الإنسانية والأممية جامعا كل مقوماتها في شخصه، فالعقيدة والشريعة والحضارة هي معنى الأمة التي لا تنفصل عن بعضها البعض.

" فالشريعة الملزمة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هي الأساس في وحدة الأمة الفكرية والنفسية والعلمية "^(٤).

(١) انظر المبحث الأول – الذات الشخصية.

(٢) أبو فراس الحمداني حياته وشعره ص ٢١.

(٣) الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني ص ٤٥.

(٤) الأمة الوسط ص ٦٥.

الفصل الثاني

الآخر

المبحث الأول

المكان-الزمان-الإنسان

الآخر :

المكان :

يكتسب المكان في الشعر أهمية بالغة ، حيث يشكل المسرح الذي تدور فيه الأحداث ، أو حتى المكان المتخيل في ذهن الشاعر ، فالمكان له خصائصه وأبعاده المتميزة ، وهو نقطة الوصول إلى الواقع في كثير من الأحيان . فالمكان يتم تصويره من وجهة نظر معينة وزاوية خاصة لذا وجب علينا التعريف به بشكل مبسط .

التعريف بالمكان :

المكان في اللغة :

١- القاموس المحيط تحت مادة "ك" ، و ، ن "المكان : الموضع كالمكانة وأمكنة وأماكن "م ك ن" يقول المكان :الموضع ^(١).

٢- لسان العرب : مادة "ك" و "ن" المكان الموضع ^(٢).

فنجد إجماع على تفسير المكان بالموضع ولم تكن له دلالات مفصلة هنا.

المكان في المفهوم الحديث الفلسفي والشعري :-

فالمكان في الشعر ليس كما نعيشه ، أو مكانا معتادا بل يتألف من عدة عناصر وعلاقات بين المكان والنفسية والذهنية لتخلق لنا مكاناً متصوراً جديداً .

" فالمكان الذي ينجذب نحوه الخيال ، لا يمكن أن يبقى مكانا لامبالياً ذا أبعاد هندسية وحسب ، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط ، بل بكل ما في الخيال من تحيز " ^(٣)

ويرى الدكتور أبو القاسم رشوان بأن المكان هو : "المنطلق الشعري يقصه ويصفه من ناحيته أخرى فيمعن في تجزيء مكوناته وبيان أوصافه وأشكاله وأطواره ، ماضيه وحاضره ، فنال المكان الذي انطلق منه خياله قدراً كبيراً من اهتمام الشاعر" ^(٤) .

(١) القاموس المحيط مادة م ك ن

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة "ك و ن"

(٣) جماليات المكان- غاستون بلاشر- ترجمة غالب هلسا- الطبعة الثانية-١٤٠٤ هـ -١٩٨٤م- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر-بيروت- لبنان- ص ٣١.

(٤) استدعاء الرمز المكاني في الشعر العربي القديم- أبو القاسم رشوان- الطبعة الأولى ١٩٩٥م- جامعة القاهرة- مكتبة الآداب ص ٢١.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

"وهو المكان النفسي والمكان المثالي فالمكان النفسي الذي ندركه بجواسنا مكان نسبي لا ينفصل عن الجسم المتمكن، على حين أن المكان المثالي الذي ندركه بعقولنا مكان رياضي مجرد ومطلق، وهو وحده متجانس ومتصل"^(١).

والمكان قد يتخذ له تعريفاً عندما يرتبط بالدلالات الأدبية والشعرية، بل المكان الشعري: "هو التنقيب عن عمق العلاقات التي ينشئها المكان بينه وبين مختلف المعاني والعادات القولية والفعلية والأخلاق والسلوك، ثم تفتح العديد من العلاقات الأخرى"^(٢).

أما المكان في روميات أبي فراس الحمداني كانت له دلالاته الخاصة، والتي ميزها المحيط الذي يعيشه الشاعر من السجن والأسر، فانحصر المكان في أبيات غير كثيرة نتيجة لحصر المكان وقصره، فالمكان المتخيل في ذهن الشاعر قد تعدى أسره في أوقات عديدة؛ ليرتسم المكان بدلالات الألم والحسرة والفناء والفقد والغدر، فالمكان في جنبات الآخر اتخذ صفات عديدة منها صفات أخلاقية أو دينية أو حتى فلسفية وجغرافية، فاتخذ المكان عدة توجهات تبعاً لنفسية الشاعر الأسيرة.

أ. المكان والطلل .

ب. المكان توظيفياً .

أولاً : المكان والطلل :-

كان المكان رمزاً حاضراً أسبغ عليه الشاعر صبغة نفسية بحتة واستشراقات إنسانية، فالمكان كان دوماً مفجراً للطاقت المكبوتة إذا ما استدعاها، لتفجر لنا الكثير من العلاقات التاريخية والاجتماعية والوجدانية: "وللشعراء في هذا عدة أساليب فمنهم من يسجل المكان باعتباره ظرفاً لحدث شهده، ومنهم من يستحضره تاريخاً ليفاخر به أو يعبر به غيره أو للتحسر على الماضي، أو دعوة للسلم ونبذ الحرب"^(٣).

فالمأمل لروميات أبي فراس عندما يبحث عن الطلل فلا يجد غير قصيدتين قد وقف على الطلل وأبكاه، فتأملها وتأمل وجوده تارة أخرى، وقد يتلاشى التعجب حين ندرك أن نفسية أبي فراس الوجدانية والذهنية كانت أكبر عائق من الوقوف على الطلل، أو حتى الاستطراد في وصفها سردياً وبلاغياً،

(١) المعجم الفلسفي - الدكتور جميل صليبا - الجزء الثاني - دار الكتاب اللبناني- ١٩٨٢ م ص ٤١٣
(٢) فلسفة المكان في الشعر العربي - قراءة موضوعاتية جمالية - د. حبيب مونسى منشورات اتحاد الكتاب العرب العرب - دمشق ٢٠٠١ م ص ٨.

(٣) استدعاء الرمز المكاني في الشعر العربي القديم ص ٣٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فحصر المكان على محيطه في أغلب الأحيان ولم يترك له جسورا مكانية رحبة ليعبر بها إلى الماضي عليه يتناسى الحاضر برهة سوى قصيدة واحدة أو اثنتين على أكثر تقدير :

القصيدة الأولى :-

أَتَعَزُّ أَنْتَ عَلَى رُسُومِ مَعَانٍ فَأَقِيمِ لِلْعَبْرَاتِ سَوْقَ هَوَانٍ^(١)

(١)

إن ابتداء الشاعر بالفعل التعجبي (أتعز) له دلالات متضادة ويشكل علامة على وجود طرفين هو الأنسا والآخر ، حين يسند الشاعر للآخر هذا الاستفهام ، فحين أن عزت على هذا المكان الدموع ولم يعرف حقيقتها غيره ومكانتها ، فقد عرفها الشاعر في قلبه ووجدانه ، فكأنه في مواجهة لإثبات عطاء هذا المكان حقه وإن كان غائبا عنه .

فالوقوف المباشر على الديار والأحباب ينبيء بصدق العاطفة الجياشة ، فنجد الشاعر يستحضر المكان بكل تجلياته واقعا معاشا ، يراه رغم بعده وانفصاله عنه ، ليقيم عبراته عليه باكيا ، نجد الفاء ربطت بين أتعز - أقيم "والفاء الرابطة هنا تفيد التعقيب والترتيب ، وتؤكد على التخطيط التوجيهي لبنية القصيدة ، وعليه يكون الكلام الذي يعقب هذه الجملة هو مشهد إنمائي للجملة الأولى."^(٢)

لنجد الثنائية الضدية من أتعز/ هوان أو ..الشاعر / الآخر ، فربط بالفاء جملة فأقيم للعبرات بجملة أتعز أنت فغاية الإقامة هنا تحريك النفس لموائمة العزة ومسواقتها بالهوان ، ففيه تسفيه للآخر وإحضار للأنسا ولو كان بكاءً وهواناً .

فَرُضٌ عَلَيَّ لِكُلِّ دَارٍ وَقْفَةٌ تَقْضِي حُقُوقَ الدَّارِ والأَجْفَانِ

لَوْ لَا تَذَكَّرُ مِنْ هَوَيْتِ بِحَاجِرٍ لَمْ أَبْكِ فِيهِ مَوَاقِدَ النَّبْرَانِ^(٣)

(٣)

ثم يواصل الشاعر تشكيل المكان حين يطالعنا بالعنصر فرض ، وهي مسندة إلى (وقفه) ففرض هنا مظهر أخلاقي في الإلتزام بالوعد والعهد الذي قطعه الشاعر في السياق وهي إشارة للتقليل من الآخر كذلك

(١) الديوان ص ٣٠٢

(٢) الطلل في النص العربي - ص ١٢٢

(٣) الديوان ص ٣٠٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وسطحيته ، في حين عزت دموعه ، وقدمها الشاعر في وقفة منه على تلك الديار فالعبرات والوقوف هما فعلاّن قصرّ في أدائهما الآخر من وجهة نظر الشاعر .

كما قد خلّج الحياة بكل ما لها على هذه الديار ، وأنه ملزم بما بالوقوف والسؤال عن حالها وحال أهلها في محاولة لاستنطاق الطلل العاجز بصمتة الكئيب ، وفي محاولة لشخصنة المكان الغائب : "فالتشخيص هو ملح الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية و الانفعالية و الوجدانية ، هذه الحياة قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية تمب لها عواطف آدمية و خلجات انسانية . " (١)

فجعل الشاعر ارتباطه بالمكان ارتباطاً شخصياً ناطقاً ، اقتضى السؤال عن الحال وعن أهل تلك الديار التي رمز لهم بالأجفان . وهذا الربط السياقي له دلالاته حين ربط الشطر الأول بالثاني في فرض - تقضي ، ولها دلالة أخلاقية عند الوفاء في محاولة لتعميق وتأصيل المعطى (فرض) ليتحول بعجز المكان الطبيعي إلى حضور حي .

ثم نجد في البيت الذي يليه استفتاحاً بلولاً الامتناعية وهو حرف امتناع لوجود، فلولا تذكره لمن يهواه لما أسقط العبرات ولما بكى المكان فالمكان في البيت السابق:

[لولا تذكر من هويت بحاجر لم أبك فيه مواعد النيران]

حاجر - مواعد النيران هنا رمز وليس المكان لذاته ، وإنما كان المكان هنا مجالا لاسقاطات الشاعر النفسية وفقدته لساكنيه فحاجر هو منزل في البادية ومواعد النيران هي جزء منه .

فعلاقة المكان في (مواعد النيران) هي علاقة جزئية للمكان السابق (حاجر) ، فالحاجة العاطفية هنا ولدت تفاصيل المكان والاهتمام به وبجزئياته ، عندما ذكر مواعد النيران ولم يكن اختيار مواعد النيران هنا من قبيل الصدفة ، أو إتمام جزء فقط بل كان لهذا المكان دلالة اجتماعية قيمة وكبيرة فطالما اجتمع الأحبة حول تلك المواعد يتبادلون السهر والسمر والأحاديث .

ثم نرى نقلة جميلة لاستدلالات المكان في قوله :

وَلَقَدْ أَرَاهُ قُبَيْلَ طَارِقَةِ النَّوَى مَأْوَى الْحِسَانِ وَمَنْزِلَ الضَّيْفَانِ
وَمَكَانَ كُلِّ مَهْنَدٍ وَمَجَرٍّ كـ لِمُتَّقَفٍ وَمَجَالٍ كُلِّ حِصَانٍ (٢)

(١) فلسفة المكان في الشعر العربي ص ٥٦

(٢) الديوان ص ٣٠٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لقد رأينا الانفصال والاتصال بين الشاعر والمكان في الأبيات السابقة وكانت قاصرة على متخيل الشاعر ، حتى يتصل بالمكان بعد ذلك ، فكان لهذا الانفصال و الاتصال عامل تجاذب وتنافر في بناء الطلل ، وهى حركة استطاعت الذات من خلالها الإلمام بالتفاصيل ، وكان الاتصال .مبدأه من الفعل (أراه) بل وقد حدد زمن هذا الفعل بـ (قبل) البعد و الأسر، فكان للمكان الذي يراه دلالات جمالية فهو مأوى للحسان .

ومن هنا نجد تأصيل المكان على عدة مستويات : مستوى عاطفي وجداني عندما ربط المرأة بالمكان أكانت أما أختا أو حبيبة ، ونجد في مفردة (مأوى) اختلاف كبير عما يليه في (منزل) ، وقصد منزل الضيفان فالمكان الأول له حرمة ونزاهته لا يمس ولا يعتدى عندما اختار مفردة (مأوى) لارتباط المكان بالمرأة .

فالمرأة العربية لها خصوصيتها التي لا يتعدى عليها سواء بنظرة أو فعل أو تعدي للمكان ، فحرمة المرأة بذلك أسقطت على المكان ، على عكس منزل الضيفان والذي يرتاده القاصي و الداني ، وهذه لفتة جميلة من الشاعر في تخصيص المكان ودلالاته الروحية .

ثم يذكر المكان بوصفه مجالاً حربياً ، استدعى مفردات حربية كمهند و مثقف وحصان ، وأيضا كان للمكان وصفاً مخصصاً في كل إسناد لآلة الحرب ، وكأن العلاقة بين المكان وآلة الحرب هي علاقة الأثر ، فنسب المهند للمكان و المثقف للحجر و الحصان للمجال .

فكان المكان امتداد جزئي للأداة الحربية ومناسبة لها مما يدل على ثقافة الأثر لدى الشاعر .

نَشَرَ الزَّمانَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ يَسِرَ حُلُّ الْفَنَاءِ وَكُلِّ شَيْءٍ فَا ن^(١)

إن اتصال الشاعر بالمكان على مستويين : مستوي الماضي الذي رآه سابقاً من الأبيات السابقة ، ومستوى حاضر وهو ما كان عليه بعد فراقه وأسره .

فكما ربط المكان سابقاً بالزمن وخصوصاً قبل أسره ، عاد ليرسم المكان مرتبطاً مرة أخرى بسياق زمني آخر بكلمة (بعد) إن الظرف الزمني هنا أصبح على المكان صبغة حية ، جعلنا نعيش المكان على مستويين زمنيين مختلف : فالأول رأينا الحياة ناطقة بين جنباته ، أما البيت السابق نجد أن رحيل أبي فراس عن الديار أثر سلباً عليها فكل شيء قد فني وانتهى ، ولم يبق غير آثار دراسة وكأن المكان ميتاً في نظره .

(١) الديوان ص ٣٠٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فالمكان هنا لا توجد به حركة ، بل صمت رهيب وكئيب ، فالمكان ميت بفعل الفناء ، الذي اختاره الشاعر للمكان ، وعليه فقد زالت الحركة والحياة التي طلعت عليها قبل أسره ولعل للشاعر غاية في رسم الطلل على هذا النحو المتوحش الكئيب ؛ فالشاعر أراد المكان هنا معادلاً رمزياً لحاله الذي يعيشه ، فأسقط كل حلجات نفسه ووحدته و وحشته وألبسها المكان ، ومن جهة أخرى ليوصل رسالة إلى سيف الدولة يشعره بأن كل دار و وادي ومعقل اختفت الحياة فيها برحيله عنها ، علّ سيف الدولة يتعجل الفداء لتسترجع تلك الأماكن رونقها وحياتها من جديد .

وَلَقَدْ وَقَفْتُ فَسَرِّي مَا سَاءَنِي فِيهِ وَأَضْحَكَنِي الَّذِي أَبْكَانِي^(١)

لقد كان فعل الوقوف هنا فعل نفسي أكثر منه حقيقي ، ثم ها هو يستبكيه من خلال البيت السابق ، فكنا على تضادات للمكان وأثره في نفسية الشاعر فبرغم وحشة المكان وقفرها وصموتها وسكونها ، إلا أنه وجد من شاركه فقد فراقه وحنينه ، في حين تخلف عنه الأهل والأحباب .

فيعود إلى تشخيص المكان مرة أخرى ليجعله إنساناً حزيناً على فراقه وعلاماته من الفناء والصمت والهدوء، حتى إننا لنجد أن الصوت الحركي قد خبأ في البيت السابق والذي يليه عما سواهما وكان السكون قد عم المكان وخيم في جنباته.

وَرَأَيْتُ فِي عَرَصَاتِهِ مَجْمُوعَةً أَسَدَ الشَّرَى وَرَبَائِبَ الْغُزْلَانِ^(٢)

إن الأفعال التي يستخدمها الشاعر جميعها أفعال تخدم الاتصال بالمكان من خلال : أراه - وقفت - رأيت .

إن الشاعر ليؤكد هنا حتمية فناء هذه الديار وخلوها من قاطنيها ، حيث ربط المكان بالأسود والغزلان ، وإن من طبيعة هذه الحيوانات أن لا تعيش بمكان مأهول بل تتخذ البراري والوديان غير المأهولة وهذا يؤكد على خلو المكان وهجره .

يَا وَاَقْفَانِ مَعِيَ عَلَى الدَّارِ اطْلُبَا غَيْرِي لَهَا إِنْ كُنْتُمَا تَقْفَانِ

مَنْعَ الْوُقُوفِ عَلَى الْمَنَازِلِ طَارِقُ أَمَرَ الدَّمُوعَ بِمَقْلَبِي وَنَهَانِي^(٣)

(١) الديوان ص ٣٠٢

(٢) السابق ص ٣٠٢

(٣) السابق ص ٣٠٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

إن الموقف أحوج ما يكون لاستدعاء الرجال، فقد استصرخت تلك الأماكن لفقد أبي فراس فصرخ يستنجد لتلك الديار غيره، فقد حلت الديار من أصحابها ومحى رسمها ولم يبق أمل في فداءه وعودته لها، ثم يبين السبب بأن عدم الفداء من سيف الدولة؛ هو ما جعله يستصرخ و يستنجد الحياة لتلك الديار والمنازل.

إن الوقوف على الديار كان فعلاً مضاداً بين أبي فراس والآخر، فالوقوف على الديار كان أمراً متاحاً لغيره، في حين منعه عنه، وكأنه يخاطب سيف الدولة خطاباً خفياً ليتضح الفرق بين أن يقف المرء بالمكان حراً طليقاً، ومن أن يمنع منه فلا يجد سوى الذكريات المؤرقة على حاله وحالها.

وعلى ما سبق نجد أن البنية للطلل كانت بنية منهجية اتخذها الشاعر حيث عقد مقارنة وموازنة للمكان (الطلل) قبل أسره وبعده.

وقد عاش الشاعر تجربة الماضي الجميل، ثم بمنظار الحال والواقع امتلأ الطلل بالكثير من التضادات التي تعكس اضطراب العاطفة لدى الشاعر ويبحث الشاعر عن هويته الشخصية بين تلك الأماكن مع أرقام الآخر المتمثل في سيف الدولة بالهدم، وإضفاء كثير من حركات الإحياء والإماتة للمكان، والديار التي يصفها الشاعر.

القصيدة الثانية:

قِفْ فِي رُسُومِ الْمَسْتَجَابِ وَحَيِّ أَكْنَافِ الْمَصَلِّي
فَاجُوسِقِ الْمَيْمُونِ فَالسُّوْ قِيَا بِهَا فَالنَّهْرِ أَعْلَى^(١)

نجد في المقدمة الطللية السابقة تقديماً جميلاً، على عكس القصيدة السابقة، فالوصف هنا كما يتضح جاء من سريرة صافية نقية هادئة، واتضح ذلك في الهدوء المتسم بالبيتين السابقين.

إن الوقوف هنا يختلف كثيراً، فالفعل (قف) بصيغة الأمر يدل على الانبهار بجمال الديار وقراها، فأثار الفعل الدهشة والتعجب لهذه الديار التي طالما سحرته بجمالها.

فبدأ يحيي الطلل تحية احترام، واقفاً شامخاً أمامها وأمام جمالها، يستعرضها محلاً تلو الآخر، وكأنه لا يريد أن يترك محلاً أثار في نفسه زمن الصبا وربيعانه.

(١) الديوان ص ٢٣٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فالمكان هنا هي الأكناف بجميع ديارها ووديانها، وهي "الجوسق"^(١).

وقد ربط الجوسق كدلالة مكانية باليمن والخيرات، وجعل السقيا^(٢)

وهنا ربط بين الدلالات المكانية وترتيبها في ذهن الشاعر، فجعل الجوسق أدناها والنهر أعلى وبينهما السقيا. فجعل الأمكنة هنا مترتبة ترتيباً متتالياً من الانخفاض إلى مستوى الارتفاع، وقد ربط بينهما بقاء الدالة على الترتيب وكأن الشاعر يرسم لنا جغرافية تلك الأمكنة رسماً جميلاً.

تِلْكَ الْمَنَازِلُ وَالْمَلَا
عَبُّ لَا أَرَاهَا اللَّهُ مَحْجَلًا
أَوْطَنْتُهَا زَمَنَ الصَّبَا
وَجَعَلْتُ مِنْبَجَ لِي مَحْجَلًا
حَيْثُ التَّفْتُ رَأَيْتُ مَا
ءَ سَابِحًا وَسَكَنْتُ ظِلًّا^(٣)

إن للمكان هنا قدسيته في قلب الشاعر وروحه ، فكانت المنازل قريبة منه وذلك باستخدام اسم الإشارة (تلك) وكأنها قريبة لا بعيدة في مستوى نظره ، فأضفى عليها خصوصية فقدم الدعاء لها والحفظ من الزوال حيث كانت معقل صباه .

ثم يذكر منبج على وجه خاص وتكمن تلك الخصوصية بأنها مجلسه وموطنه ومسقط رأسه ، ولا ننسى أنها موطن والدته ومسكنها فكانت لها قيمة كبيرة دون الأخرى .

ثم شرع في وصف (منبج)^(٤) وكان أبرز سماتها هي ماءها السابح الجاري على جنباتها .

فمنبج هي: المحل — الماء — الظل ، فهذه الأبعاد الوصفية تشكل مثالية المكان حقيقة ومتخيلاً في ذهن الشاعر:

فالعرض الدقيق لهذه الديار وجمالها متصل بكثرة الحنين والشوق إليها :

(١) وهي قرية كبيرة سميت كذلك ببغداد وقيل بالقيروان، وأيضاً ناحية الري. والأخيرة أقرب .

معجم البلدان – الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي- دار صادر بيروت ١٨٤/٢

(٢) وهي قرية على باب منبج ذات بساتين كثيرة ومياه جارئة، وهي وقف على ولد أبي عبادة البحتري. فقد ربطها بجمال

بجمال النهر وعلوه وكان النهر أعلى من القرية. شرح الديوان ص ٢٢٨

(٣) السابق ص ٢٣٩

(٤) منبج: "بلد قديم كبير واسع ، بينه وبين الفرات ثلاث فراسخ وإلى حلب عشرة فراسخ ، شربهم من قنى تسيح تسيح على وجه الأرض، ومن آبار كثيرة في دورهم عذبة صحيحة ."

مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لمؤلفه صفي الدين البغدادي – مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي

تحقيق علي البجادي- دار الجبل – بيروت : ١٣١٦/١

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

تَرَر دَارَ وَاذِي عَيْنٍ قَا
صَرَ مَنْزِلًا رَحْبًا مُطَالًا
وَتَحُلَّ بِالْجِسْرِ الْجِنَا
ن وَتَسْكُنُ الْحَصْنَ الْمَعْلَى
تَجَلُّو عَرَائِسُهُ لَنَا
هَزَجَ الذَّبَابِ إِذَا تَجَلَّى
وَإِذَا نَزَلْنَا بِالسَّوَا
جِيرِ اجْتِنِينَا الْعَيْشَ سَهْلًا
وَالْمَاءَ يَفْصَلُ بَيْنَ زَهْ
كَبْسَاطٍ وَشِيٍّ جَرَّدَتْ
أَيْدِي الْقَيَّونِ عَلَيْهِ نَصْلًا^(١)

إن الأبيات السابقة كان وصفا لطبيعة تلك الأماكن ، والتي جعل لها عدة صفات (رحبة — معلى — سهلا — الماء — البساط — الوشي) لقد أكسب الشاعر صفات جمالية ليضيف الحياة والحركة للمكان .

إن الطلل هنا كان سلسلة من الصفات الحية والحركية التي نبضت بها ، وكان المكان عبارة عن أجزاء " قابلة للانقسام إلى كتلة مختلفة من الأجزاء.. مما يسمح بوجود علاقة تربط بين الأجزاء المقسمة فإذا قمنا بتحديد العناصر التي يتألف منها المكان لوجدناه ينقسم إلى علاقات ."^(٢)

وتحدد هذه العلاقات بالنسبة لمكان بالوطن — والجمال — والزمن فالوطن لأن منبج محله ، والجمال الطبيعي الذي يكتنفه ، والزمن الذي حدده بأيام الصبا ، كل هذا شكل علاقات داخل النص .

ثانياً : المكان (توظيفاً)

يتخذ التوظيف المكاني عدة رموز في الشعر العربي القديم والحديث ، أكان غزلاً أم هجاءً أم وصفاً أم غير ذلك ، وإن اتخذ صفات أخرى ، فاقتحم المكان الهموم والبعد والحزن و الألم ليوائم الاتجاه الوجداني الذاتي. " فقد حمل الشعراء الأماكن همومهم الذاتية ، فيما يمكن تسميته مكاناً أو أمكنة ومواقع ذاتية ، وقف الشاعر عليها باكياً ليلاه متحسراً على شبابه وأماكن لهوه ."^(٣) ، "فالمكان

(١) الديوان ص ٢٣٩

(٢) مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة د. محمد توفيق دراسة في ميتافيزيقا براولسي - الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية. طبعة عام ٢٠٠٣ ص ٤٨

(٣) استدعاء الرمز المكاني في الشعر القديم ص ٣٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

مقرون بالفعل الإنساني، وثانياً ما يعكس خلجات ومشاعر لانفعالات ذاتية تجاه الآخر ، ورصد المكان مقترنا بموضوع النص ، بالفعل البشري والخلق الفني والحسي للصورة الشعرية^(١).

أ - المكان : الفخر بالذات

لقد شكل الفخر أهمية كبرى في روميات أبي فراس ، وذلك أنها الملجأ الوحيد لاسترداد بقايا عزته وكبريائه في الأسر ، فكان المكان شاهداً راسماً ، لبطولاته ، وجولاته ، ومواقفه الحربية :

وَمَنْ ذَا يُلْفُ الْجَيْشَ مِنْ جَنَابَتِهِ وَمَنْ ذَا يَقُودُ الشُّمَّ أَوْ يَصْدِمُ الْقَلْبَا
وَوَيْلِكَ مَنْ أَرْدَى أَحَاكَ بَمَرَعَشٍ وَجَلَّلَ ضَرْباً وَجْهَ وَالِدِكَ الْعَضْبَا
وَوَيْلِكَ مَنْ حَلَّى ابْنَ أَخْتِكَ مَوْثِقَاً وَخَلَكَ بِاللَّقَانِ تَبْتَدِرُ الشَّعْبَا^(٢)

كان رد أبي فراس على الدمستق وهو في أسره رداً لاذعاً جريئاً ، استدعى كل قوته لمجابهة شعرية محتدمة وليزيل الفهم الخاطيء الذي اعتقده الروم ، بجهل العرب بالحرب وقصرهم على العلم فقط ، ليستدعي كل الشواهد المكانية بذهنه حينها ؛ ليؤكد ويبرهن على أن العربي فارس أصيل منذ القدم ، قد شهدت له الأرض بأماكنها وجناباتها .

إن الإستفهام الذي تقدم هو إستفهام حمل سخرية كبيرة وهجاء لاذعاً ومقنع تحت طياته، وكأنه يجعل الآخر مستعداً نفسياً لما تحمله دلالات الاستفهام من معنى، فجعل الفعل (يلف) تباعاً للاستفهام، وهذا الفعل له خاصية حركية قوية وكأن المكان هنا يتحرك مع حركة الوصف، فاستدعى الجنبات كمكان يمثل فيه ساحة المعركة متهيأ متأهباً للحرب، ثم استدعى في البيت الثاني (مرعش) ليوضح بشكل أكبر ومن خلال التاريخ المشرف للعرب والذي شهد عليه الروم قبل العرب، و"مرعش": هي مدينة بالشغور بين بلاد الشام والروم"^(٣). مما كانت مؤرخة بالتأكيد لشجاعة العربي.

لقد ربط الشاعر المكان بدلالات الهجاء والسخرية، والتي شكلت دلالات نفسية تباعاً لذلك، فالجنبات تعدل هنا السيادة والقوة، و"مرعش"، يقودنا إلى آثار المعارك والسيوف والتي علّمت في وجوه الأعداء فكانت شهادة حية على الشجاعة والقوة.

(١) مقالة المكان وجدانية الليل والنهار – عمر العسري في ديوان (مساء في يدي) – والموقع الإلكتروني بنى حر

حر للثقافة والفكر و الأدب www.diwanAlarab.com يناير ٢٠٠٨

(٢) الديوان ص ٤٢

(٣) مختصر معجم البلدان للحموي ١٢٥٩/٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ثم ربط "اللقان" ^(١) بالفرار والهرب ، فكل مكان هنا كان ذا علاقات تشخيصية ونفسية ، فربط الأماكن بأقرباء للعدو المخاطب من أب وأبن أخت و أخ ، وربطهما بأفعال الذل والهوان حتى تكون دلالات المكان لها وقع أكبر في نفس المستق.

ويقول:

إِنْ زُرْتُ حَرْشَنَةَ أَسِيرًا فَلَکُمْ أَحْطَتْ بِهَا مَغِيرًا
وَلَقَدْ رَأَيْتَ النَّارَ تَنْتَبَهُ هَبُّ الْمَنَازِلِ وَالْقُصُورِ ^(٢)

لقد ذكر أبو فراس هذه الأبيات في حرشنة أسيرا، قبل حمله للقسطنطينية وقد ذكر "حرشنة" ^(٣)، ففعل الزيارة المرتبط بالمكان يدل على شدة الاستهتار بالحدث هنا ، فالشاعر لا يرى المكان إلا بعين الزائر لا المقيم بها ، فينظر الشاعر للمكان بعين الانصراف وكأن ما يسرده بعدها ما هي إلا لحظات خاطفة، ينقلها البصر لتستقر في أعماق الآخر المضطربة من ثقة الشاعر واعتداده.

وهي وقفة قصيرة للمكان، ولكن وقفة دامية نتيجة ارتباط المكان بالحدث حين ربطها بالدمار والنار والخراب:

نَمَّدْ بِيُوتَنَا فِي كُلِّ فِجٍ بِهِ بَيْنَ الْأَرَاقِمِ وَالصَّلَالِ
نَعَافُ قَطُوفَهُ وَنَمَلُّ مِنْهُ وَيَمْنَعُنَا الْإِبَاءُ مِنَ الزِّيَالِ
مَخَافَةَ أَنْ يَقَالَ بِكُلِّ أَرْضٍ بَنُو حَمْدَانَ كَفَّوْاعِنَ قِتَالِ ^(٤)

إن التعليل السابق في الأبيات يجعل الشاعر مغروراً رغم تواضعه، فشدة التواضع والمبالغة غرور ، فالمكان دلالة على الفخر والتحرر والاستيلاء في: (بيوتنا - كل فيج - الأرقام - الصلال) نجد أن المكان جاء بصيغة جمعية؛ ليدل على سعة النفوذ والهيمنة التي وصلت إليها الدولة الحمدانية في عهدها من خلال المعارك و الفتوحات .

وَقَائِلَةٌ تَقُولُ جُزِيَتْ خَيْرًا لَقَدْ حَامَيْتَ عَنْ حَرَمِ الْمَعَالِي

(١) وهو بلد بالروم وراء حرشنة. مختصر معجم البلدان - ٤ / ١٢٠٦

(٢) الديوان ص ١٥٥

(٣) وهي بلد قريب من بلاد الروم . مختصر معجم البلدان - ١ / ٤٦٠

(٤) الديوان ص ٢٠٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ومَهْرِي لَا يَمْسُ الْأَرْضَ زَهْوًا كَأَنْ تُرَابَهَا قُطِبُ النَّبَالِ^(١)

حامى الشاعر عن الأجداد والمعالي لأن لها حرمة فيجب ألا تصاب بالذل فمهرة في حالة نشاط وزهو لا يمس الأرض كأنها تحته بما رؤوس النبال .

إن العلاقات في المكان علاقات متشابكة ، فالارتفاع والعلو لمنزلة المكان كان نتيجة لانخفاضها يوما تحت أقدامه وهو ممتط فرسه .

وَأَسْرَتْ فِي مَجْرِي خَيْوَلِي غَازِيًا وَحُبِسْتُ فِيمَا أَشْعَلَتْ نِيرَانِي^(٢)

إن أفعال الحصر في (أسرت - حبست) هي أفعال تعلقت كثيراً بنفسية الشاعر ، فهذا المكان جمع التناقضات فالفعل يتنافى مع مكان الحدث ، مما جعل الشاعر يسترجع بحرقه المكان في ذهنه رغم دلالة الفعل المناقض ، فقد أسر وهو يجارب الروم في مجرى خيوله غازياً ، كما حبس في ذات المكان الذي حدث فيه الاشتعال والدمار الذي لحق بالعدو (فالمكان - الحدث) لم يشفع لأبي فراس أسره ولكن أقله كان شاهداً على بسالته وشجاعته وعدم توليه وهربه .

ب - الفخر الممزوج بالتحسر على الماضي :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّنَا بِمَنَازِلٍ تَحَكَّمْ فِي أَسَادِهِنَّ كِلَابُ

تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْسَ لِلنَّفْعِ مَوْضِعٌ لِدِيٍّ وَلَا لِلْمَعْتَفِيِّنَ جَنَابُ

وَلَا شُدَّ لِي سَرْجٌ عَلَى ظَهْرِ سَابِحٍ وَلَا ضُرِبْتُ لِي بِالْعَرَاءِ قِيَابُ

وَلَا بَرَقْتُ لِي فِي اللَّقَاءِ قَوَاطِيعُ وَلَا لَمَعْتُ لِي فِي الْحُرُوبِ جِرَابُ^(٣)

إن استقبال الوحدة والغربة كان شديد الوقع على الشاعر نظراً لمكانته السابقة بين قومه وأهله ، فكان التحسر هو الدلالة الرئيسية التي قامت عليها دلالاته المكانية ، وأدوات النفي والتي تكرر استخدامها كثيراً في النص دلت على شدة التحسر والغبن على ما فاته .

فقد وصف الشاعر المنازل بمنازل الاستبداد عندما أسند المنازل للفعل (تحكّم) وخلق المكان من كل المحافل والحروب ، فارتبط المكان بالذل والسيطرة على الشاعر .

(١) الديوان ص ٢١٠

(٢) السابق ص ٣٠٣

(٣) السابق ص ٢٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وإن كان في ثنايا الوصف ما يؤكد على فخره بما مضى من سيادته وقيمته في قومه ، و الذي استدعى التحسر على ما فاته ، والذي أدى إليه " الانقطاع المفاجيء والحاسم عن الحياة المدنية والدخول سريعا في حياة ذات نظام صارم . " (١)

ج - المكان (الألم) :

لقد حمل الأسر كثيرا من الألم للشاعر حتى كان المكان امتداداً للألم فلا يجد الشاعر بدا من جعل المكان رمزا لآلامه التي سرت وعملت هواجسها من خلال أبياته .

فلا بالشَّامِ لَذِّ بِنِي شُرْبُ ولا في الأَسْرِ رِقَّ عَلَيَّ قَلْبُ (٢)

نجد أن دخول (لا) هنا قد أصبغت على المكان صبغة سلبية ، فالشام و الأسر قد توازنا في نفس الشاعر نتيجة لتوازن الحدث المترتب عن المكان .

فالشام الموطن و ملاذ الشاعر ولكنها لم تعطه الراحة والسلام ، فكان في مكابدة وحروب وصراعات أملتها عليه شخصيته القيادية والحربية ، كما افتقده في الأسر، كلاهما جمع الجهد والتعب ، فقد ساوى الشاعر المكان الأول بالآخر ليبرهن أن الصبر قد عدم ، وأن الألم لم يعد يطاق وبين هذا وذاك انتفى من يراعيه و يقدره أكان في بلد الأحباب و الأهل أم بلد العدو .

يَعِزُّ عَلَيَّ الأَجْبَةَ بالشَّامِ حَبِيبُ بَاتَ مَمْنَعِ المَنَامِ (٣)

هذا رد على الدمستق في مناظرة دينية بينهما ، وكان الشاعر يبين في مطلع قصيدته حاله التي بات عليها باستدعاء ألمه وسهره في الأسر .

د - المكان : طلباً للنجدة

لم يكن لأبي فراس هم سوى أسره وطلب الخلاص منه ، وحين تمادى سيف الدولة كثيرا في تهميشه وعدم الامتثال لمطالبه استصرخ أبو فراس شعره ؛ علّه معينا وخلصا له من أسره وقد حمل الأبيات الكثير من المواضيع وأسماء الأماكن بل و التعليقات المقدمة والمرتبطة بها ارتباطا وثيقاً .

(١) رؤية المكان في روايات (يوسف السباعي) دراسة فنية - رسالة ماجستير - رضا السيد العشماوي - جامعه

جامعه المنصورة- كلية الآداب- ٢٠١٠ م ص ١٧٣

(٢) الديوان ص ٣١

(٣) السابق ص ٢٧٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَلَكِنْ أَنْفَتُ الْمَوْتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ بِأَيْدِي النَّصَارَى الْغُلْفِ مَيْتَةَ أَكْمَدٍ^(١)

لقد بدأ البيت بقوله (لكن) ليستدرك الشاعر بها أسباب كرهه للمكان والخلاص منه بأسرع وقت ، فيلجأ الشاعر لتحميل المكان إيجاءات دينية بحتة ، فربط المكان أولاً بالفعل (أنفت) فمن عادة المسلم الأنفة والترفع عن كل موضع ديني وقول وضيع ، وها هو يشير إلى وضاعة المكان .

ثم من إسناد الدار لصفة الغربة وهنا قصد بالغربة غربة الدين لأنه بلد نصراني ، ولأنفة الموت بدار أهلها أنجاس في كلمته الدالة (الغُلف) وذلك كناية عن عدم الطهارة .

وبذلك كان للمكان هنا دلالات انتقاصية وضعية ، أجبرت الشاعر على طلب الفداء والخلاص منه .

لَوْلَا الْعُجُوزُ بِمَنْبِجٍ مَا خِفْتُ أَسْبَابَ الْمَيِّتِ^(٢)

" منبج " هنا المكان ارتبط بدلالة الأهل و الأحباب ، وهو موطن أمه وحببية قلبه والتي باتت مكلوثة الفؤاد لأسره ، ولولا تلك الأم وحسرتها عليه وحاجتها له لما هاب الموت ، وكان الخوف قد تلاشى في لقاءه ، ولكن يبقى المكان أسرا له داعيا له لاحتوائه تلك الأم الحنون الضعيفة الحال.

فارتباط الأم بالمكان جعل للمكان قيمة كبيرة في فكره وشعره، وقيمة كبرى لتشوقه للعودة للأم، فقد امتزج المعنى العاطفي بالمكان: مكاني الأم والوطن هما الحظن الدافئ لأبي فراس والذي يعلق آماله عليهما وللعودة إلى أحضانهما.

هـ- المكان : البعد والفراق:

لقد حالت البحور والقصور والسجون الرومية دون لقاء الشاعر بأحبابه وأهله وأقرانه، وحالت الدروب والوديان فكانت شظايا عالقة في قلب أبي فراس نتيجة البعد والفراق، لقد حمل الشاعر المكان في رومياته الكثير من اللوم والعتب في بعده عن موطنه وأهله وقومه وقد ظهر ذلك في عدة مواطن أبرزها.

فَلَمَّا حَالَتِ الْأَعْدَاءُ دُونِي وَأَصْبَحَ بَيْنَنَا بَحْرٌ وَدَرَبٌ^(٣)

(١) الديوان ص ٨٣

(٢) السابق ص ٣١٧

(٣) السابق ص ٣٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لقد جاء المكان هنا حاملا دلالات جغرافية تحكمها المسافات والأبعاد ، تلك المسافات والتي حالت دون

لقاء سيف الدولة ، فجعل المكان مرتبطا بدلالته الجغرافية عبر كلمة (بيننا) حيث مثل المكان حاجزا قهريا للشاعر فأثار اليأس والإحباط في نفسه.

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَيْتَ وَبَيْنَنَا خَلِيحَانِ وَالدَّرْبِ الْأَشْمُ وَالْأَلْسُ^(١)

هنا تكرر لنفس دلالات المكان السابقة فصيغت بصيغة جغرافية بحتة، "فالدرب" قصد به مضيق ماين طرطوس وبلاد الروم كذلك^(٢). أما آلس فهو نهر في بلاد الروم أيضا .

إن اطلاع أبي فراس على تلك الأمكنة يدل على ثقافته الجغرافية الحربية ، والتي أحبها من خلال معاركه ومرابطاته بجانب الثغور الرومية ، مما يضيف كذلك للثقافة الشخصية الذاتية ، وذلك من خلال الوصف الدقيق حتى للمضايق والخلجان و الأتهار ، وقد يكون مكوث أبي فراس في بلاد الروم قد أكسبه تلك المعرفة أيضا ، فالمكان هنا هو الحاجز المانع دون اللقاء .

لَقَدْ كُنْتُ أَشْكَو الْبُعْدَ مِنْكَ وَبَيْنَنَا وَلَا أَمَلٌ يُحْيِي النَّفْسَ وَلَا وَعْدٌ^(٣)

إن الدلالات المكانية الجغرافية تتمثل في البعد والفرق واليأس ، و مقارنة المكان الوطن بالمكان العدو هنا مماثلة من الشاعر تدل على اليأس في الوصل والقرب ، فمن خلال السياق يتوضح لنا الشكوى ، فالمكان هنا قد بريء من اللوم وكان اللوم وحده يقع على سيف الدولة في البعد وعدم الوصال، بدليل المكان الوطن و الغربة التي أحسها الشاعر في معاملة سيف الدولة تجاهه.

و- المكان و الغزل :

(١) الديوان ص ١٧٦

(٢) معجم البلدان المجلد الثاني ص ٤٤٧

(٣) الديوان ص ٧٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

إن المرأة تبعث دوماً على مشاعر الدفء والطمأنينة والامتلاء والمحبة ، وهي صفات إنسانية ترتبط بالمكان أحيانا أكثر من كونه مجرد أصم .

بَدَوْتُ وَأَهْلِي حَاضِرُونَ لِأَنْتِي أَرَى دَاراً لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا قَفْرٌ^(١)

لقد استهل الشاعر البيت السابق بوصف المكان ، فالمكان هنا حاضراً بطبيعته دون إبراز اسمه ، وهذا يدلنا

على أن المكان قد يستقي الكثير والكثير من الصفات الانسانية و الطبيعية على حد سواء .

لقد جعل المكان حاضرا في قوله (بدوت) ، وهذا يرمز للبيئة المكانية الصحراوية والتي تتطلب عيش البداوة والبعد عن المدينة ورفاهيتها ، وقوله (حاضرون) دلت على المدينة .

إن استدعاء المكان هنا بأوصافه المتعلقة به يدل على الطابع الخاص والأثر المطبوع في ذهن الشاعر ، ومن خلال التضاد بين المكانين جعلنا في موازنة عما تخلى عنه الشاعر وما اختاره ، ثم في الشطر الثاني (أرى دارا) هذا الدار جعلها مكانا بوصفها مقاما لمعشوقته فكل مكان تحل به هي دار ووطن أكان حاضرا أو بدوا.

ومن هنا يظهر أن المكان ارتبط بـ البداوة والحبيبة فتلك الدلالات هي التي شكلت معنى للمكان و الوطن، فالمرأة هي الوطن والوطن هو المرأة على ما كان في أغلب وصف الشعراء وتغزلهم في المكان والوطن .

هُـوَ فِي الرُّومِ مُقِيمٌ وَلِـهِ فِي الشَّامِ قَلْبٌ^(٢)

(الروم – الشام) المكان ارتبط بالعاطفة كذلك ، فهو انشقاق جسدي مكاني حين ربط الروم بالإقامة والشام بالقلب .

فالروم دلالاتها دلالات باهتة ، اعتمدت على حضور الجسد الفارغ ، أمام الشام الذي اعتمد على القلب والوجدان مما أعطى الحياة و الحركة للشام وقصر ذلك عن الروم .

(١) الديوان ص ١٥٨

(٢) السابق ص ٣٠

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

أخيراً : ومما سبق نجد أن المكان هو الانتماء للشاعر بكل دلالاته و أوصافه وعلاقاته سواء
أكانت أم ، بعد ، فخر أو امرأة ، فإنها تجمع هوية الفرد و تؤدي إلى ثوابت ثقافية وهوية وطنية مغتربة
أم حاضرة .

" فقد كان الوصف للمكان وصفاً بدلالة الانتماء لا بوصفه رقعة جغرافية محضة و وصفه
بمكونات أنتجت العمومية الفردية والجمعية للفرد على حد سواء " (١)

(١) المكان الهوية وهوية المكان – مقالة الكترونية – لصحيفة المدينة – العدد : ٨٩ - ١٧٥

الزمان :

مفهوم الزمن :

الزمن في اللغة تعددت مصادره و إن كانت تتفق على ذات المعنى ، فالزمن في القاموس المحيط : هو اسم لقليل الوقت وكثيره والزمن أزمان و أزمنة و أزمن^(١).

وفي لسان العرب : الزمن و الزمان اسم لقليل الوقت وكثيره ويجمع على أزمان و أزمنة .^(٢)

والزمن في الفلسفة : الوقت كثيره وقليله ، وهو المدة الواقعة بين حادثتين أولاهما سابقة و ثانيتهما لاحقة.^(٣)

وهو "تقولب كل وجود في قالب من الزمان هو بؤرة الوعي الإنساني في كل مستوياته من الحس المشترك إلى التفكير العلمي و الفلسفي "^(٤)

الزمن في الأدب العربي:

الفن الشعري فن زماني بالدرجة الأولى ، لا يكاد يخلو الشعر العربي من الزمان ودلالاته.

(فامتلاك الزمن هو البقاء ، وهو أمل البشرية عبر التاريخ)^(٥)

و " إحساس الشاعر بالزمن له أثر بالغ في تحديد بناء القصيدة"^(٦)

وينقسم الزمن من خلال الروميّات إلى :

أولاً : الزمن المتحول :-

إن فلسفة الزمن تأخذنا لثلاثة أركان هي الماضي و الحاضر و المستقبل ، فتحاول الذات الانصهار بهذا الكل، والتعامل معه بروح شاعرية و شعرية .

(١) القاموس المحيط مادة زمن

(٢) لسان العرب مادة زمن

(٣) المعجم الفلسفي ٦٣٦/١

(٤) الزمان في الفلسفة و العلم د. يمّني طريف الخولي الهيئة المصرية ١٩٩٩ م ص ١٧

(٥) الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي د . حسني يوسف - دار الاتحاد العربي بيروت - ص ١٧

(٦) الزمن في الشعر الجاهلي الدكتور عبد العزيز شحاته- ١٩٩٥ م - ص ٢٧٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ومتى ما يدرك الإنسان تلك التحولات الثلاثية الأبعاد ، تظهر لنا الاستجابة اليقينية والقناعة والواقفة ، وإن كان هنالك تردد وخوف وقلق على استحياء .

وستحدث هنا عن الاستجابة المباشرة لتلك التحولات الزمنية في أربعة أبعاد .

١- الشباب ٢- المشيب ٣- الموت ٤- العجز

١- الشباب :

يربط الشاعر عادة بين الشباب و الزمن ، هذا الربط الذي استدعانا لدراسة الشباب كإحدى تحولات الزمن وتجلياته ، فالزمن يعد مسؤولاً عن الشباب كظاهرة إنسانية فطرية ، فاتخذ الشباب هيئة خاصة له من خلال الزمن و الربط به ، فكان هنالك اقتران بينهما متمازج حتى أن الشباب يعد زمناً يقول :

مَتَى تُخْلِفُ الْأَيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فَتَى طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ رَحْبَ الْمُقْلَدِ
مَتَى تَلْدُ الْأَيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فَتَى شَدِيدًا عَلَى الْبَأْسَاءِ غَيْرَ مَلْهَدِ^(١)

إن الاستفهام الإنكارى هنا يولد لنا ارتباطاً متشكلاً مع الزمن ، فقد جعل الأيام كفيلة بأمر الإنجاب و الولادة والخلافة ، فتأتي بفتى شاب صغير السن ، ولكن في ذات الوقت ينفي علاقة الزمن بخصائص الشباب ، فقد يولد المرء ويشب وتسرى فيه نبض الشباب ، ولكن ليس بالضرورة أن يكون سوي البنية سليم الجسد .

فالشاعر أمام حتمية الكثرة والعدد وربطها بالزمن ولكن ليس بمقدور هذا الزمن العاجز أن يأتي بشاب اكتملت فيه صفات جسدية بارزة اشتملت الطول وقوة البنية .

يقول أيضاً :

تَلَكِ الْمَنَازِلُ وَالْمَمَالُ عِيبُ لَا أَرَاهَا اللَّهُ مَحْضَالاً
أَوْطَنْتَهَا زَمَنَ الصَّبَا وَجَعَلْتُ مَنبِجَ لِي مَجَالاً^(٢)

(١) الديوان ص ٨٤

(٢) السابق ص ٢٣٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

إن الزمن في البيت السابق كان زمنا ماضيا ؛ لربطها بالفعل أوطنتها (أوطن) فعل ماضي ، فصبح المكان هنا بصبغة زمانية أسقطها الشاعر ، فالأس هنا في إعادة الشباب الحاضر جعل الشباب متخيلا حاضرا في ذهن الشاعر وحقيقه ماضية .

٢- المشيب :

لم يهتم أبو فراس كثيرا بدلالات الشباب ، ولربما بدأ يؤرخ حياته في رومياته من تاريخ أسرته وهو لم يتجاوز الثلاثين ، وقد يكون هنا تناقض في أبياته أتى ذلك التناقض بين الزمن الحقيقي والمتخيل في ذهن الشاعر . يقول :

وَهَا أَنَا قَدْ حَلَى الزَّمَانَ مَفَارِقِي وَتَوَجَّيْتُ بِالشَّيْبِ تَاجًا مَرصَعًا^(١)

إن البيت هو أشد الأبيات وضوحا في تعمق الزمن وأثره الظاهر على الشاعر ، ولما يمتلكه الزمان من قوة طاغية في التأثير على الإنسان ، فالزمان هنا ارتبط بدلالة الشيب إذ هو تجسيد لفعل الزمن .

ويقول :

وَهَبَّتْ شَبَابِي، وَالشَّبَابُ مِضْنَةٌ لِأَبْلَجٍ مِنْ أبنَاءِ عَمِّي ، أَرُوعًا!^(٢)

لم يصرح هنا بفعل الزمن واكتفى الشاعر باستدعاء الشباب . لقد دلّ بالشباب على معنى مناقض من خلال الفعل (وهبت) فيما أن الشاعر قد وهب الأمير سيف الدولة شبابه وصباه فنتيجة حتمية لا يبقى سوى الشيب .

ويقول :

رَأَيْتَ فِي الضَّرِّ أَوْجُهًا كَرُمْتَ فَارَقَ فِيكَ الْجَمَالَ أَجْمَلَهَا

قَدْ أَتَرَ الدَّهْرُ فِي مَحَاسِنِهَا تَعْرِفُهَا تَارَةً وَتَجْهَلُهَا^(٣)

لقد خص الشاعر هذه الأبيات في وصف والدته، وما لحقها من الدهر الذي أزرى بها وبالشاعر أبي فراس فالزمن هنا (الدهر) ارتبط بدلالة أخرى غير زمانية كما ظهر للوهلة الأولى بل جعل الدهر هو

(١) الديوان ص ١٨٤

(٢) السابق ص ١٨٣

(٣) السابق ص ٢٤٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

كل ما يمر على الإنسان من هم وضيق وحزن، فكان الدهر متصفا بصفات انسانية خالصة غير ما أضافه معنى الزمن إليها .

وقوله :

وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ قَلْبٍ مُّشْعِبٍ وَعُودٍ عَلَّى نَابِ الزَّمَانِ صَالِبٍ^(١)

"فالشيب هو العلاقة الظاهرة لهذا التغير في حياة الإنسان ، ولفظه يستخدم للدلالة على جميع المراحل التي تعقب توالي الشباب"^(٢)

كما أن الشاعر سبق وأن وصف الزمان بصفات انسانية، ونجده يصبغها بصبغة حيوانية وهي الافتراس عندما أسند الناب للزمان وذلك لما يترتب على الزمن من حدث وأثر .

فالشاعر لم يتبق منه غير قلب وأما الجسد فقد فتك به الزمن "فالشيب تحول زميني أكثر عنفاً وقسوة ونفيا للإنسان"^(٣)

٣- الموت :

لطالما ألقى الموت بظلاله بالشحوب والصفرة بل بالوداع والنهاية ، لم يرغب الشاعر الموت في ديار الروم ومنازلهم، وتمنى بأن تتوقف عجلة الزمن أو ترجع إلى الوراء في محاولة لعدم خوض تجربة الموت على أرض الآخر / العدو .

ويقول :

وَقَوْرٌ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنْوِشُنِي وَلِلْمَوْتِ حَوَالِي جِيئَةٌ وَذَهَابٌ^(٤)

إن الزمن المتسارع هنا يلقي بضلال القلق والخوف على الشاعر من الموت في أرض العدو .

(١) الديوان ص ٤٠

(٢) قضية الزمن في الشعر العربي - الشباب والشيب - د.فاطمة محجوب دار المعارف ص ٨

(٣) الزمن في الشعر الجاهلي ص ١٠٨

(٤) الديوان ص ٢٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فبالرغم أن الشاعر متيقن للمصير الذي يؤول إليه عاجلا أو آجلا إلا أنه يظهر قلقه من الموت ، ولربما كان المكان له دور بارز في إظهار القلق وسببه حين يقول (حولي) والدالة على ظرف مكاني، وهو بذلك لا يرفض الموت كزمن آجل أو عاجل في حياته ، بل يرفض مكان الزمن عند الوقوع .

وقوله :

وهل يتجافى عني الموت ساعةً إذا ما تجافى عني الأسر والضُرُّ؟^(١)

إن الزمن يرتبط دوما بالموت وهو الأجل المكتوب فلا يستقدم المرء ساعة ولا يؤخرها . وهنا نجد أن الشاعر يتأمل دفع الموت ، وذلك بدفع الزمن للماضي وهنا تأخذه حقيقة حتمية حيث يعلم : "أن الزمان هو فاعلية وحياة النفس " ^(٢)

ويقول :

وإن مُتَّ فالإنسان لا بُدَّ ميِّتُ وإن طالَّت الأيامُ، وأنفسَحَ العمرُ^(٣)

لقد ربط الشاعر الموت بالأيام ووضح خطر الزمن الذي يقذف الإنسان نحو موته ، ثم إن الشاعر يستمد الشمولية من الموت للجميع ، فهنا صفتان للموت هما الشمولية والحتمية .

وقوله:

وأبطأ عني، والمنايا سريعةً وللموتِ ظفرٌ قد أطلَّ ونابُ^(٤)

إن الزمن تمثل في البيت بصيغته السرعة والاعجال في حضور الموت ، فالموت ارتبط بالزمان من خلال وصف سرعته وقدمه للإنسان . ولهذا نرى أن الموت مشكلة كبرى في حياة أبي فراس ولعله لا يزال في الإنسانية جمعاء وإن كانت الخاصة الدينية التي يعيشها قد أسعفته في أوقات كثيرة ؛ بالتقبل والاطمئنان النفسي فالإسلام جعل للموت خاصية حتمية في قلوب البشر .

(١) الديوان ص ١٦٠

(٢) الزمن في الفلسفة والعلم ص ٨٠

(٣) الديوان ص ١٦١

(٤) السابق ص ٢٦

٤ - العجز :

إن الزمن الذي يتسم بالتغيير يولد لنا تجديداً وتغيراً على المستوى الجسدي أو النفسي ، كما سبق في دلالات الشباب والمشيب والموت ، ولكن قد يقابله زمن جامد ساكن ، حتى وإن استمر في تقدمه إلا أنه ثابت فلا يحدث أي تغيير ، بل يجعل هذا الثبات الإنسان عاجزاً ضعيفاً حوله ، كما يشخص عذابها في مختلف السياقات ماضية وحاضرة أو حتى مستقبلية .

بقوله :

تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْسَ لِلنَّفْعِ مَوْضِعٌ لَدَيَّ ، وَلَا لِلْمَعْتَفِينَ جَنَابُ

وَلَا شُدِّي سَرَجٌ عَلَى ظَهْرِ سَابِحٍ وَلَا ضُرْبَتِي بِالْعَرَاءِ قِيَابُ^(١)

إن العذاب التي تعيشه شخصية أبي فراس هو عذاب الجمود رغم مرور الوقت ، فالزمن المستدعى هنا هو الليالي ، فالشاعر لديه إحساس بحركة الزمن في (تمر الليالي) من خلال الفعل تمر ، ولكن هذا المرور البطيء المثقل قد ولد العجز لدى الشاعر حتى أنه رأى الزمن جامداً ، فقد أورد صيغة النفي في القصيدة والتي اقترنت بعدة أفعال (ليس للنفع - لاشد لي - لا ضربت) تدل كل هذه الأفعال على العجز الحقيقي الذي ولده الزمن في نفس أبي فراس .

ويقول :

صَبُورٌ عَلَى طَيِّ الزَّمَانِ وَنَشْرِهِ وَإِنْ ظَهَرْتُ لِلدَّهْرِ فِي نَدُوبِ^(٢)

إن الزمن يشكل أحيان كثيرة اضهاداً نفسياً وحتى جسدياً ، فلا تكون للشاعر حيلة سوى الصبر والاستسلام أمام سطوة الزمن الثابت ، فالزمن متحرك نظراً لما أسنده إليه الشاعر من صفات دالة على الحركة (طي - نشر) ثم استدعى الدهر وهو أحد أقوى أشكال الزمن ، وهو ما كان أثره أقوى في ترك الندوب ولعلها ندوب نفسية أكثر منها جسدية ، وإن كنا نجد الفخر النفسي بين طياتها .

ثم يقول الشاعر :

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَرَّتْ بِفِرَاقِنَا يَدُ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ مَنْ هُوَ حَارِثُ^(٣)

(١) الديوان ص ٢٥

(٢) السابق ص ٥٦

(٣) السابق ص ٦٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لقد حمل الدهر هنا السبب في البعد والفراق ، كما حمل تلك الدلالة التغيرات التي تركتها في ذات الشاعر على مر الدهر، فنجد بداية للوعي بالزمن ،الذي أصبح بين حقيقة البعد، وحقيقة الفناء والتغير والضعف.

فالسنوات التي قضاها الشاعر بعيدا عن أهله ووطنه ،حملته الكثير من الفروقات النفسية والجسدية .
ويكمن الإدراك بالزمن وأثره من خلال كلمة (يد) ذلك التصوير الذي يعطي الدلالة الزمانية فعلا انساني فيقف أمامها عاجزاً.

وقوله :

نَضَوْتُ^(١) عَلَى الْأَيَّامِ ثَوْبَ جَلَادَتِي وَلَكِنِّي لَمْ أَنْضُ ثَوْبَ التَّجَلُّدِ^(٢)

اقتران الزمن دوما بالضعف والوهن معنى قديم ،استشفه الإنسان من التغيرات البيولوجية والفسولوجية التي تلازم جسده ، ليقف عاجزا أمامها إلا أن العجز هنا يختلف قليلا لدى الشاعر لقد بادر الشاعر بخلع قوته وجلده على الأيام في دلالة واضحة للاستسلام ،كذلك الوعي لما سيحدثه لاحقا ،وذلك في الفعل الذي أسنده للزمن (نضوت) ،فحرف الجر الذي ربط بين الفعل والزمن يدل أشد الاستدلال على تلك المبادرة العجزية من الشاعر في مقابل الاحتفاظ بصره ،الذي هو طوق النجاة في مجابهة تغيرات الزمن القاسية .

وعليه نجد أن :

" قضية الزمن تنحصر في الشباب والمشيب ، والكبر سرعان مايولي إذ هو ثوب معار سرعان مايبرى منه المرء " ^(٣) .

كما نجد أن الموت " قضية تتصل بالدرجة الأولى ببقاء الإنسان من جهة وبفنائته وتلاشيه من جهة أخرى ،وهو على هذا قضية زمنية خالصة " ^(٤)

ويعتبر العجز أمام هذا كله وأمام قله الحيلة إنما هو مظهر من مظاهر الاستدراك الباطني لماهيّة الزمن وقدراته في التغيير والتغير .

(١) نضوت : خلعت

(٢) الديوان ص ٨٣

(٣) قضية الزمن في الشعر العربي الشباب والشيب ص ٨

(٤) الزمن في الشعر الجاهلي ص ١١٩

ثانيا : الزمن والطبيعة :

لقد أدرك الشعراء منذ القدم بأهمية الطبيعة كباعث لخلجات النفس وهمومها ،فوصفوا مظاهرها وصوروا جزئياتها ،فوصفوا الجبال والسهول والوديان والأمطار ،ووصفوا الليل والنهار وجعلوا الاعتماد فيه على انفعالاتهم الحسية والتي ضمنوها أبياتهم .

فقد استدرك الشاعر كل المتغيرات الطبيعية التي حدثت من خلال دائرة الزمن ، والتي أثرت تباعا على ذاته والآخرين .

" فالشاعر العربي القديم كان شاعر طبيعة يتأمل فيها بيث من خلالها آلامه وينسى عندها أحزانه، ويجبها ويفتن بها ، ويصورها كما يصور نفسه ،فتثير الأطلال شجونه وتملك عليه الناقاة والبعير والفرس فؤاده وتستهو به الصحراء بجيوائها وآبارها ونجومها وبرقها ومطرها".^(١)

ونجد الطبيعة عند أبي فراس طبيعة محدودة ،فرضها سجنه وعزله عن الآخرين من إنسان وحيوان وطبيعة ،فكانت الصورة الطبيعية في شعره شحيحة،سوى أبيات نثرها هنا أو هناك أو مقطوعات قصيرة .

واتخذ الزمن دلالاته وتغيراته في الطبيعة الذاتية والآخر لدى الشاعر على عدة أسس وتغيرات أبرزها :

أ. الليل

ب. العيد

ج. وصف الديار

أ- الليل

الليل في الشعر هو محور الحركة والحياة ، وصورة متألفة من الصور في حياة الشاعر ، فالليل يعد تميزا من قبل الشاعر نفسه من خلال رسم تحولاته وتجلياته وحتى طول وقصره ، فالليل هو الهم وهو المرض

(١) الليل في الشعر الجاهلي _ د إبراهيم محمد قاسم - مطبعة الإسلام الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ص ١١

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وهو الأحباب وهو القلق والترقب ، نجد ذلك كله متمثلاً في تصورات الشاعر لليل من عدة جوانب نفسية كان أبرزها .

أولاً: الليل (الهم):

لقد كثرت الهموم والأحزان على أبي فراس، وألقت بثقلها على نفسه، وكان لليل هنا مزية خاصة ،هو من يجمع على النفس همومها والآمها فيطول معه ليله ولا ينتهي .

تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْسَ لِلنَّفْعِ مَوْضِعٌ لَدَىٰ وَلَا لِلْمَعْتَفِينَ جَنَابٌ^(١)

إن حركة الليل الزمانية المعاقبة على الشاعر هي من أدخلت الهم إلى قلبه ، فلم يعد يستطيع الاندماج في حياته السابقة ، وكأن الليالي واستمرارها في الدوران ،هي من شكلت العزل الحقيقي دون العودة للحياة السابقة التي أرادها .

ويقول :

أَمَّا لَيْلَةٌ تَمْضِي وَلَا بَعْضٌ لَيْلَةٍ أَسْرَبَهَا هَذَا الْفُؤَادَ الْمَفْجَعًا^(٢)

إن النظرة الشمولية المنبثقة من كون الليل كله هم ونصب وحزن حين اتخذ أسلوب التبويض في قولة : (ولا بعض ليلة)، فنجد أن هم الشاعر قد غلب عليه يأسه من أن يتحول الزمن يجزعه الليالي إلى سعادة وهناء.

ثانياً: الليل (المرض) :

(ارتباط الليل بالمرض أنتج تجربة شعرية لها قيمتها)^(٣)

يَأَلِيلُ مَا أَغْفَلَ عَمَّايَ بِي جَبَائِي فِيكَ وَأَجْبَابِي

(١) الديوان ص ٢٥

(٢) السابق ص ١٨٤

(٣) ظاهرة القلق في شعر يوسف عبد الطيف - محمد بشير إصدار نادي المنطقة الشرقية الأدبي ص ١٠٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

يَا لَيْلُ نَامِ النَّاسُ عَنْ مُوجِعٍ نَاءٍ عَلَيَّ مَضُجَعِهِ نَائِي^(١)

من الواضح أن الشاعر يعاني وحيداً في ليله، قد افترسته الآلام والأوجاع. فتجربة الألم هنا قد اتصلت بدلالة الزمن (الليل) فهنا استخدام الشاعر لحرف النداء (يا) في خطابه ليل يعطي صفة ملازمة للشاعر وكأن الليل دوماً ملازماً له في أسره، وهو وحيد فلم يكن من بد توجيه الخطاب لليل باعتباره الملازم هنا.

ثالثاً: الليل (الأحباب)

ارتبط الليل عند الشاعر بذكر الأحباب وبكائهم والتحسر على بعدهم أحياناً، فيطرق الليل بابه مذكراً له بمن رحلوا وابتعدوا، وحينما هجع وأراد السكينة، يجد أن الأحباب حاضرين مع قدومه:

أَيُّتُ كَأَنِّي لِلصَّبَابَةِ صَاحِبٌ و لِلنَّوْمِ مَذْبَانُ الْخَلِيطُ، مَجَانِبُ

وَمَا أَدْعِي أَنَّ الْخُطُوبَ تُخَيِّفُنِي لَقَدْ خَبَّرْتَنِي بِالْفِرَاقِ النَّوْاعِبُ^(٢)

إن الزمان الذي عاشه الشاعر ماضياً قد ألقى بضلاله حاضراً من خلال تجليات الليل، لارتباط الأثر الليلي في استنفار الذكريات، ليعود من خلالها بين حين وآخر يرتبط بمن يحب وبلوعة من يحب لقد تساوى الأثر في كونه وحيداً يقاسي الهم في أسره أو يقاسيه بعيداً عن محبوبته، إذ أن كلاهما يتشاركان في التحسر والبعد والفراق عمن يحب.

فدلالة الليل زمنياً كانت بمفرده المبيت الدالة على الزمن، الذي جانب فيه الشاعر الراحة والنوم في بعد أحبابه.

ويقول:

بِتَّ أَبْكِيكُمْ وَإِنَّ عَجِيْباً أَنْ يَبِيَّتَ الْأَسِيرُ يَبْكِي الطَّلِيْقَا^(٣)

(١) الديوان ص ٥٧

(٢) الديوان ص ٣٥.

(٣) السابق ص ٢٠٠.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لقد حبس أبو فراس الليل كثيرا في سبيل أحبابه ، ووقف على ذكراهم ، فهنا لا بيت إلا وقد سالت عبراته على فراق أحبته ، وقد استخدم ذات الدلالة على الليل وهي فعل (المبيت) .

ويقول :

إذا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ الْهَوَى وأذُللت دَمْعاً مَنْ خَلَائِقِهِ الْكِبْرُ
تَكَادَ تُضِيءُ النَّارَ بَيْنَ جَوَانِحِي إذا هِيَ أَذَكَّتْهَا الصَّبَابَةُ وَالْفِكْرُ^(١)

إن الليل و المرأة متلازمان كثيرا في أدبنا العربي فطالما كان اللقاء بين الشاعر ومعشوقته ليلا، وطالما عنت له ذكراها ليلا .

فالزمن بدلالاته الليلية يدل على شدة الارتباط بالعنصر الأنثوي وإن كانت العلاقة هنا طردية فكلمما زادت عليه سكنات الليل الطويل زادت عليه ذكريات الفراق والبعد عن المحبوبة.

يقول :

وَكُنْتُ الْحَيِيبَ وَكُنْتُ الْقَرِيبَ ليالي أَدْعُوكَ مَنْ عَنُ كَتَبُ^(٢)

يخاطب أبو فراس سيف الدولة في أسره وقد حال البعد بينهما ، ولكنه يضع جسرا زمنيا للاقتراب من أميره من خلال الليل ، فقد جعل الليل الجسر الذي يقربه من سيف الدولة من خلال الترقب والدعاء بوصله وقربه .

فرى جمال التصوير الزمني في غاية الاقتراب من المحبوب ، " فتناولت ذاتيتهم في تصويرهم واهتمامهم بالإحاطة بجوانب الصورة المختلفة " ^(٣)

رابعاً: الليل (الوصف)

غالبا ما تتجلى الرومانسية في وصف الليل بحكم الهدوء وثبوت الحركة أو بطئها ، وقد اتخذها الشعراء ملاذا آمنا لأنظارهم ، ييثون إليها لواعجهم " وقد كان في شعرهم كثيرا من نجوم السماء وكواكبها

(١) السابق ص ١٥٧ .

(٢) الديوان ص ٣٠ .

(٣) الليل في الشعر الجاهلي ص ٣٣٤ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

التي وقفوا عندها في شعرهم إما بالوصف أو بذكر حاجتهم إليها أو لتأمل خلقها ، إلى جانب وصفهم الليل وظلمته معبرين بذلك عن نفسياتهم وأحوالهم . " (١)

يقول أبو فراس الحمداني :

وأسرُّ أفاًسيه ، وليلٌ نُجومه أرى كلَّ شيءٍ غيرهنَّ يزولُ
تطولُ بي الساعات ، وهي قصيرةٌ وفي كلِّ دهرٍ لا يسُرك طولُ^(٢)

إن الصورة المؤلمة المرافقة دوماً للشاعر في أسره هي عدم الاستجابة السريعة لخلاصه ، وهي صورة حقيقية من معاناة الشاعر النفسية ، فقد تناول وحدة الليل بإحدى جزئياتها ، وهي النجوم فالليل والنجوم ارتبطت بطول عظيم.

فالأحاديث عن الليل " دوماً ما ترتبط بصورة النجوم ، وهي ثابتة لا تتحرك واقفة لا تتغير " (٣)

ويقول :

إنَّ طَـالَ لَيْلِي فِي ذُرَا كَ فَكَّادٍ نَعَمْتُ بِهِ قَصِيْرًا^(٤)

إن مسألة الطول والقصر لليل هنا هي مسألة نفسية ، ترتبط بحالة الشاعر " فإذا طال ليل ألمي فيك فقد طالما قصر حينما كنت أتمتع بالملذات " (٥) ويعتبر هذا الإدراك شاملاً للإنسان ، فتارة يراه قصيراً وتارة وتارة يجده طويلاً . " فقد أصبح الليل عموماً قاسياً طويلاً صعباً وبوسعنا إدراك هذه الحقيقة " (٦) فالطول والقصر هي صفة قد برزت منذ العصر الجاهلي .

فنجد أن الليل الذي يرصده الشاعر ، يتواطأ دوماً مع الخيبة والألم ، فقد تكررت مفردة الليل ، لتعطي الزمن حمولة نفسية اجتماعية لتغلف الليل بالزمن .

ب) - العيد :

(١) السابق ص ٢٢٥ .

(٢) السابق ص ٢٣٢ .

(٣) الطبعة في الشعر الجاهلي دنوري حمود القيسي - الشركة المتحدة للتوزيع الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ .
١٩٧٠ ص ٦٥ .

(٤) الديوان ص ١٥٥ .

(٥) السابق ص ١٥٥ .

(٦) الزمن في الشعر الجاهلي ص ٢١٣ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لقد بث أبو فراس الحمداني في أسره مشاعر الأسى والحرقه ، فارتبط أسره بكل ألم يخالج النفس فهو دوما ما يصف تلك الغربة الروحية والمادية (الجسد) التي يعيشها منفيا عن وطنه وأرضه وأحبابه ، ولعل عجلة الزمن كانت تتحرك وتجري ، فيتجدد الجرح ويكبر معه أمل الشاعر في تحريره من أسره ، ولكن عندما يمضي الزمن ويبقي الشاعر على حاله ، فهذا ما جعل الشاعر ينسج خيوط أبياته التي وشحت بالألم في حلول العيد ، ولطالما ارتبط العيد لدى العرب والمسلمين بالرباط الروحي السديني الذي يبهج النفس ، وتحقق معه أسباب السعادة الروحية والتي يبتها في قلب عباده ، ولكن الشاعر لم يذق طعم السعادة فمر العيد عليه وهو في أسره وسجنه لا يشعر بدولاب الزمن ، إلا بعد وصوله ليدل على اليأس المطلق .

إن الأسر في بلاد الروم شكّل غربة دينية لا نزاع فيها ، حيث أسر في بلاد النصراري فقد فقدت البيئة حوله الروابط الدينية مما شكل ألما لا يبرح قلبه فضلا عن أسره وكرهه يقول :

يَا عَيْدُ مَا عُدْتَ بِمَحْبُوبٍ عَلَى مَعْنَى الْقَلْبِ مَكْرُوبٍ
يَا عَيْدُ قَدْ عُدْتَ عَلَيَّ نَاطِرٍ عَنْ كُلِّ حَسَنِ فِيكَ مَحْجُوبٍ
يَا وَحْشَةَ الدَّارِ الَّتِي رُبُّهَا أَصْبَحَ فِي أَثْوَابِ مَرَبُوبٍ
قَدْ طَلَعَ الْعَيْدُ عَلَيَّ أَهْلِيهِ بَوَجْهِهِ لَا حُسْنَ وَلَا طِيْبٍ
مَالِي وَلِلدَّهْرِ وَأَحْدَاثِهِ لَقَدْ رَمَانِي بِالْأَعَاجِيبِ^(١)

إن ابتداء الشاعر بالنداء يدل على الارتباط القوي بينه وبين العيد كدلالة زمنية دينية في نفسه ، فقد أحس بالوحشة والوحدة تكتنف جنبات سجنه ، في حين حضور العيد ، فيرى أبو فراس أن انتظار العيد وهو مكروب القلب أصبح لا يجديه نفعا ، وأن كل الحسن والجمال أصبح محجوبا عن ناظره ، فلا يرى الحسن ولا معناه في طلعه ، فربط العيد بالإعادة يدل على أن الزمن كان مُدركا في وعي الشاعر ، الذهني والشعوري والروحي .

فارتباط الزمن هنا بالجمود والثبوت وعدم التغيير كان واضحا في أبياته ، فالشاعر رغم مرور الزمن لم يتبدل حاله أو يتحسن ، بل ظل حاله دون تحسن بل حال أسوأ ، فقد تبدل ثوب العز بثوب الصغر والهوان .

(١) الديوان ص ٣٤ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ثم يعود الشاعر ليحكى ألم عودة العيد بوجه لا حسن فيه ولا جمال ، قد عاش معزولا عن كل فارق زميني ، فالزمن يدور ولكنه يتوقف كلما أراد الشاعر الخلاص ، ثم يرمي الشاعر الزمن بأنه المذنب في ذلك ، فالزمن يدور عكس ما يريد الشاعر ، فيدور للألم والغربة ويتوقف عن الجمال والحريسة التي ينشدها ، لقد جعل الشاعر العيد ذا أبعاد دينية زمنية ، فجعل العيد معلم زميني أسقط فيه معنى الأسر وكربته .

(ج) - وصف الديار :

لا نجد لدى الشاعر في وصف الديار غير قصيدة واحدة استفاض في وصف طبيعتها الجمالية ، بما لها من إسقاطات نفسية ومكانية ، وقد تم ذكرها في دراستنا للمكان ، فتم تفصيل الطبيعة بها بتحديد أسماء الأماكن ومواقعها .

وفي دراسة النص زمنيا لا نكاد نجد إضافة ، إلا ربط الوصف زمانيا حين يقول :

أَوْطَنْتَهُمَا زَمَانَ الصَّوْبَا وَجَعَلْتُ مَنبِجَ لِي مَجَالاً^(١)

حيث ربط الوصف بالزمن الماضي ، لما له من دلالة جمالية سابقة في ذهن الشاعر ، وقد اعتمد على وصف جزئيات المكان وصفا شاملا أبرزها :

حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتُ مَا ءَسَابِحًا وَسَكَنْتُ ظِلًّا^(٢)

لقد قصد الشاعر في وصف الديار الماء بأكثر من موضع ليدل على أهمية الماء في حياة العربي والبدوي خاصة .

" فقد قدسوا مواطن الماء القديمة واعتقدوا فيها أسراراً غامضة " (٣)

ويقول :

والماءُ يَفْصِلُ بَيْنَ زَهْنِ الرُّوضِ فِي الشَّطِّينِ فَصَالاً^(١)

(١) الديوان ص ٢٣٩ .

(٢) السابق ص ٢٣٩ .

(٣) الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ٤٥ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

نجد أن الشاعر ربط الزمان في الماضي التاريخي للشاعر وللطبيعة التي عاصرتة بالجمال والحسن والبهاء .
كما أن: الوصف الزمني والطبيعي قد اشتركا في مخيلة الشاعر في عدة مواضع ووقفات حياتية ، الليل بتجلياته وهمومه والعيد وروحانيته ، والمنازل وجمالها وبهاءها .

ثالثاً : الزمن والحيوان :

لقد فرضت الطبيعة البدوية والحضرية على حد سواء ، احتكاك الشعراء بالحيوان ، فاشتملت الروميات على الكثير من صور الغارات وخوارق البطولات وفنون القتال ، ليضيف كل ذلك لسجله البطولي لتجسيد دور الفارس في شعره ، فقد فرض الزمن أن ينشأ أبو فراس فارساً شجاعاً " كان فارس الميدان العربي ومن القواد القلائل الذين اختارهم سيف الدولة ووثق بهم ، ودرهم على الفروسية وملحقاًها " (٢)

فتعلم أبو فراس الكثير من أصول الفروسية ، وانطبع ذلك في شعره فنجد صورة الخيل التي ارتبطت في ذهن الشاعر بزمن الحرية والحرب .

فاستدعى أبو فراس الخيل وهو في قمة الحاجة لاستدعاء الزمن الماضي ، زمن الفروسية والقيادة والمجد ، من خلال استحضار الخيل في عدة أبيات ، فالخيل من أولى معدات الحرب ، وأشدّها وقت الحاجة ، وعلى خبرتها بالحرب وقوتها تكون درجة القتال ، فانبرى في وضعها ورسم صوراً فنية حربية اندمج خلالها مع الصور حتى وكأننا لا نفرق بين الفارس وفرسه .

فالعربي الاصيل لا بد له أن يستأثر بخير لما تؤديه من خدمات يعجز عن أدائها سواها ، لذلك كان يعتني بها ويهتم بها اهتمام لا مثيل له لما فيها من خصال الشرف والمنفعة فكما قيل " ظهرها عز وبطنها كنز "

وذلك لم يغيب عن ذهن شاعرنا ، فلم يتغن في أبياته الحربية إلا وذكرها ، فجعلها نموذجاً مثالياً للخيل حتى أنه يتقصى ألوانها وأوصافها ، فهي رمز الشجاعة والفروسية والبطولات ، يقول :

عتادي لدفع الهمّ نفسٌ أيبيةٌ وَقَلْبٌ عَلَى مَا شِئْتُ مِنْهُ مُصَاحِبٌ

(١) الديوان ص ٢٣٩ .

(٢) أبو فراس الحمداني ص ١٨ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَجُرْدٌ كَأَمْثَالِ السَّعَالِي سَلَاهِبٌ وَخُوصٌ كَأَمْثَالِ الْقَيْسِيِّ نَجَائِبٌ^(١)

وصف أبو فراس خيله هنا بعدة صفات تتمازج لتظهر لنا صفة الخيل الأصيلة التي لا تقهر فهي جرد أي (قصيرة الشعر)^(٢).

ونجدها طويلة ذلك الطول الذي قاربت به صفة (الغول) ، وهو حيوان وهمي يشكل الرهبة للعدو .

وأسبغ عليها صفة أخرى وهي (سلاهب) ومعناها : " الطويل المقاص ، الطويل القوائم " ^(٣)

كما أنها غائرة العينين بقوله (خوص) : " وذلك لما لحقها من الجهد في الغارة أو الموقعة ، والمقصود بذلك إظهار قوة الفارس وبعد غارته وطولها ، ولم يقصد ذكر الحقيقة لأنهم ذكروا أن هذه الخيل غدت إلى الغارة شاخصة العيون، وعادت غائرة هزيلة ضعيفة . " ^(٤)

كل ذلك اجتمع في وصف خيله حال الحرب ، ليظهر مدى شجاعته التي لا تنافس فأرهقت خيله بسبب طول غارته وجهده في الحرب.

ويقول :

ولطالما قُذتُ الجيادَ إلى الوغَى قَبُّ البُطُونِ طَوِيلَةَ الأَرْسَانِ^(٥)

هنا أسبغ عليها صفات جديدة أخرى تدل على كرمها وعزها : " وقد وضعت العرب لعتاق الخيل أسماء تدل على عتقها وكرمها في أوصاف مخصوصة ، فمن ذلك الأقب : المنطوي الكشح الضامر " ^(٦) .

وقوله طويلة الأرسان وهذا يدل على مدى قدرته في تحديد الأصائل من الخيل ، من خلال تمرسه ومرافقته للخيل . فالرسن في عالم الخيل مصطلح مرادف لمعنى القبيلة فتنسب الخيل إلى أرسانها كأصول لها ، وقد قصد الشاعر في ذلك بأن خيله عميقة النسبة والسلالة مما يكسبها الشهرة التي تلازمها وتلازم سلالتها من بعدها .

(١) الديوان ص ٣٥ .

(٢) نفسه.

(٣) الفروسية في الشعر الجاهلي نوري القيسي منشورات مكتبة النهضة - بغداد ص ١٥١ .

(٤) وصف الخيل في الشعر الجاهلي د. كامل سلامة الدقس دار الكتب الثقافية الكويت الطبعة سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ص ٩٦ .

(٥) الديوان ص ٣٠٣ .

(٦) الفروسية في الشعر الجاهلي ص ١٥١ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ويقول :

فَطَارَدْتُ حَتَّى أَبْهَرَ الْجَرِيَّ أَشْقَرِي
وَضَارَبْتُ حَتَّى أَوْهَنَ الضَّرْبُ سَاعِدِي (١)

لقد وصف أبو فراس خيله بالأشقر ، وهو اللون المحبب عند البدو ويقصد به " حمرة ضاربة إلى صفرة تشبه الذهب ، فيقال فرس ذهبي وتكون أطرافه شقراء وكذا الذنب والعرف " (٢) .

وقوله :

وَمَهْرِي لَا يَمْسُ الْأَرْضَ زَهُوًّا
كَأَنَّ تُرَابَهَا قُطْبُ النَّبَالِ
كَأَنَّ الْخَيْلَ تَعْرِفُ مَنْ عَلَيْهَا
فَفِي بَعْضٍ عَلَيَّ بَعْضٌ تُعَالِي (٣)

لقد انتهى أبو فراس من الصفات الجسدية لخيله ، وبدأ هنا بإصباغ ذلك الخيل صفات إنسانية وهذا يدل على مدى الارتباط الوثيق بين الشاعر وفرسه ، فهو أنيس وحدته فجعله ذا كبرياء وتعالى ، فمن شدة زهوه لا يمس الأرض وذلك ما أكسبه بُعد حافره .

كما جعل خيله تتعالى على غيرها من الخيول وحق لها فهي تعالي لأن عليها فارساً ابن فارس ، فقد جعل أبا فراس خيله تشهد على مدى فروسيته ، حتى أصبحت تلك الخيل تفاخر به على غيرها من الخيول .

وعلى هذا نجد أن الخيل يشكل الجزء الأكبر من فروسية الفارس في كره وفره وركوبه وسباقه ، وهو ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية في أن الفروسية تظهر في ثلاثة أشياء منها " ركوب الخيل والمسابقة عليها " . (٤)

فللخيل منزلة كبيرة في نفس أبي فراس الحمداني تفوق كل شيء ، فالجواد رفيق الحرب السلم وشاهد على انتصاراته وانكساراته ، فقد استطاع تحديد الأصائل من الخيل من خلال معرفته بطباعها ، فهو ملازم لها في الحل والترحال والسلم والحرب ، فكانت مدعاة للفخر في نظر الشاعر بزمن الحرية أو الأسر على حد سواء .

ونجد كذلك دخول الحيوان في بضع أبيات طللية تمثلت في صورة الظبي :

(١) الديوان ص ٨٨ .

(٢) وصف الخيل في الشعر الجاهلي ص ١٣٨ .

(٣) الديوان ص ٢١٠ .

(٤) الفروسية لابن قيم الجوزية - المدينة المنورة - دار التراث ١٩٩٠ م ص ٦٩ - ٧٠ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

" فكان الشعراء يذكرون هذه الحيوانات التي أوطنت بديارهم شعر الوقوف على الأطلال " (١).

والوقوف على الطلل عند أبي فراس يجعلنا أمام بيتين أو ثلاثة فقط شملت الحيوان في روميته .

وفيه يقول :

كَأني أَنادي دُونَ مَيْثَاءَ ظَبِيَّةٍ على شرفِ ظمياءَ جللها الذعُرُ

تَجَفَّلُ حيناً ، ثم ترنو كأنَّها تُنادي طَلاً بالوادِ أعجزهُ الحُضْرُ (٢)

وإن أكثر الشعراء من وصف الطباء، إلا أننا نجدها عند أبي فراس مقصورة محصورة الوصف ولربما السبب هو اتخاذ أبي فراس الطيبة كرمز أكثر منه واقعا ، فالطيبة هنا اتصفت بالذعر والقلق اللذين أعاقها في البحث عن صغيرها ولقائه . فقد رمز أبو فراس لسيف الدولة بالطيبة التي ترددت كثيرا في لقاء وليدها ، كصورة فنية جميلة شكلت واقع العلاقة التي بينه وبين سيف الدولة ، كالتي بين الطيبة ووليدها.

فالطيبة هنا هي مزيج من عالم الشاعر الداخلي والخارجي ، وبهذا نجد انعكاسات لانفعالات الشاعر المختلفة على الطيبة .

ويقول :

وَرَأَيْتُ في عرصاتِه مجموعَةً أُسْدُ الشَّرَى وَرَبَائِبَ العُزْلانِ (٣)

لقد جعل الزمان والمكان تلك الديار خالية من أهلها ، في تشكيل ثنائي لتغير الإنسان ومحيطه ، فالزمن تكفل بترك تلك الأماكن غير مأهولة ، فجعلت الأسود ترتع بين جنباتها فأسد الشرى وهي من بلاد "لخم" (٤) .

والعزلان من الحيوانات الوحشية التي لا تستأنس مع الإنسان ، مما يدل على خلو الديار .

كما نجدنا أما مقطوعة متميزة في مناجاة الحيوان وهي مقطوعة الحمامة يقول فيها :

أقولُ وَقَدُ نَاحَتُ بِقُربِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي

مَعَاذَ الهَوَى مَا ذُقتَ طَارِقَةَ النَّوَى ولا خَطَرْتُ مِنْكَ الهُمُومُ بِبِالِ

(١) الوقوف على الأطلال - الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث - عزة حسن دمشق - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ص ٥٦ .

ص ٥٦ .

(٢) الديوان ص ١٥٩ .

(٣) الديوان ص ٣٠٢ .

(٤) في الشعر الجاهلي ص ١٧٧ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أَتَحْمَلُ مَحْزُونََ الْفَوَادِ قَوَادِمُ عَلَى غُصْنِ نَائِي الْمَسَافَةِ عَالِ
أَيَا جَارَتَا مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا تَعَالِي أَقَاسِمُكَ الْهُمُومَ تَعَالِي
تَعَالِي تَرَيُّ رُوحًا لَدِي ضَعِيفَةً تَرَدَّدُ فِي جِسْمٍ يُعَذِّبُ بِعَالِ
أَيْضَ حُكِّ مَأْسُورٍ وَتَبْكِي طَلِيقَةً وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ وَيَنْدُبُ سَالِ
لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكَ بِالذَّمِّ مُقْلَةً وَلَكِنَّ دَمْعِي فِي الْحَوَادِثِ غَالِ^(١)

" لقد كانت الرحلة البعيدة التي يقوم الحمام بها بعيدا عن رفاقه مثيرة لأحاسيس الشعراء وعواطفهم عندما يعتبرون عن أهلهم ، ورفاقهم وأحبائهم وأوطانهم ، فاقترن ذكر الحمام عندهم بالآلام والتباريح والبكاء ، خاصة عندما يكون منفردا " ^(٢).

فالشاعر في أسره معزولا عن كل تفاصيل الكون والطبيعة ، ويفتقد إلى ابتهاج النظر إلى ما أوجد المولى وبث في كونه من أعظم التفاصيل إلى أدقها .

فتتوقف الحمامة بالقرب منه ليتأملها وتصبح ذا شأن ومعنى ، في ظل إقصائه عن المحيط الخارجي فيناجيتها ويث تأملاته ، حتى وضعها في كفة لمقارنة حالها بحاله - يجمعهما الحزن والبعد الذي ألقى بهما لمسافات من وطن إلى آخر ، في غربة ومنفى إلا أن كفة الحمامة قد رجحت في نظره فهي طليقة وهو مقيد فهي موازنة جلية بين حالها وحاله بخطاب مباشر وحوار دافئ بينهما ، فقد استنطق أبو فراس الحمامة وكأنها تبث هي الأخرى أحزانها ، إلا أنه الحزن الذي ارتبط بالحرية فيستنكر عليها فهي حرة طليقة تسكن الأعالي، وهو مقيد منزوي بأرض محصورة ، ثم لا يلبث أن يشرك الدهر في نوحهما ، ليشاركهما الحال .

إن وقوف الحمامة بقربه أثار الشجن في معاني الوصل والقرب عندما دعاها : (أيا جارتا) ، ليكون للمناجاة بعد مكاني قريب من الشاعر فلا يحجل أن ييوح لها بكل همومه ، ثم ينهي أبياته مرة أخرى باستفهام استنكاري لحال الحمامة الطليقة ، وبعزة أبي فراس التي تمنعه دوما من البكاء وبذلك نجد أنها :

(١) الديوان ص ٢٣٨ .

(٢) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول د . أنور عليان دار العلوم للنشر ١٤٠٣ هـ - ٩٨٣٠ م ص ١٩٢ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

"المشاركة وجدانية رومانسية رائعة الرمز ، بعيدة مدى الإحساس بالتجانس بين الإنسان والحيوان والأشياء"^(١) .

مما سبق نستنتج :

أن الزمان كان عنصرا فاعلا بجميع تجلياته في النفس البشرية أو الحيوانية أو الطبيعة ، مازجة إياها لتخرج لنا تركيبة متناسقة للوجود البشري ضمن محيطه .

وقد لعب الرمز دورا رئيسيا في دلالات الزمن ، كما كانت الرومانسية هي اللمسة الدافئة التي احتضنتها جميعا، فالزمن بتحولاته جمع، الليل بأنواعه ، والطبيعة بأشكالها ، هي رمز الوجود الإنساني.

(١) أبو فراس الحمداني ص ١٤٠ .

الإنسان :

الحديث عن الإنسان يأخذ أبعاداً مختلفة ، ومفاهيم وتصورات كثيرة يلزمنا أن نكشف من خلاله عن سمات انسانية نفسية ، اجتماعية ، أخلاقية وثقافية .

وقد اهتمنا مسبقاً بالأشعار التي ألمت بالإنسان الاجتماعي ، سواء كانت بالقبائل أو الأفراد وموقفها من الأمم المجاورة لها .

وبرزت لنا جميع المستويات مترتبة عليها سواء : أثقافية ، أم نفسية أم حربية ، أم أخلاقية ، ولأننا لا نريد التكرار في ما فصلنا فيه مسبقاً لم يتبق إلا علاقة الإنسان في الروميّات بالعدو والمرأة وهو ما سيكون موضوع الدراسة الإنسانية في حضور الآخر .

أولاً : العلاقة مع العدو:-

أ- العلاقة مع العدو (إيجابيا) :

كثير من الأشعار الرومية ساعدت على استجلاء العدو من خلال استمرار الحروب والأسر والنفي ، فجعل أبا فراس يسعى دائماً لإدراك أوتارها ومواقفها النفسية.

يقول:

وَإِنَّ رَجَالاً مَا ابْنِكُمْ كَابْنِ أُخْتِهِمْ حَرِيُونَ أَنْ يُقْضَى لَهُمْ وَيُهَابُوا
فَعَنْ أَيِّ عُنْدٍ إِنْ دُعُوا وَدُعِيْتُمْ أَبَيْتُمْ بَنِي أَعْمَامِنَا وَأَجَابُوا^(١)

" إن من أبرز استراتيجيات الشاعر الحربية هي تغيير صورة العدو وإظهار نوايا التصالح والاسترخاء في انتظار استحابة إيجابية من الطرف الآخر " ^(٢)

ف نجد أن علاقة الطرف الآخر كما صورها أبو فراس اتسمت باللين والتصالح النسبي ، وإن مثل هذا الاستغلال كان فكرة استراتيجية حربية من الشاعر لكسب العطف من قومه لأنهم الأولى والأحق بتكفل مصالحه وأمنه واستقراره .

(١) الديوان ص ٢٦ .

(٢) صورة العدو من ويكيبيديا - الموسوعة الحرة تحت العنوان الإلكتروني www.wikipedia.com ص ٧

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فالنظرة هنا نظرة إيجابية نسبية للآخر في نظر أبي فراس ، ومما يدلنا أيضا على اتصاف الروم (العدو) بصفات النجدة قوله :

وَأَوْسَعُ أَيَّامًا حَلَلْتُ كَرَامَةً كَأَنِّي مِّنْ أَهْلِي نُقِلْتُ إِلَى أَهْلِي^(١)

لقد تكرر المعنى هنا أيضا ، فرغم احتدام الصراع بين العرب والروم مازالت الروم تقدر وتحترم هذا الفارس الشجاع .

ب- التعالي على العدو :

إن فخر الشاعر بقوته وفروسيته كانت مدعاة للتعالي على الآخر (العدو) وإنشادها دوما في أشعاره .

يقول :

تـمـلـنـي " الـدـمـسـتـق " إذ رآني فأبصـر صـيغـة اللـيـث ، الـهـمـام

أنتـكـرنـي كـأنـك لـسـت تـدري بـأنـي ذلـك البـطـل ، المـحـامي^(٢)

لقد قويت صورة أبي فراس الحربية من خلال ما سبق ، وإن كان الانصراف غالبا إلى ذكر المناقب يؤثر سلبا على نفسية العدو ويحط منها، فالثقة والقوة هي متطلبات الفارس الأصيل .

ويقول :

البـغـيُّ أكـثـر مـا تـقـلُّ خـيـولـهـم والبـغـيُّ شـرُّ مـصـاحـبِ الإنـسـان^(٣)

" إن الإسلام دوما يؤصل الخير في النفس الإنسانية يأخذ بيد الفطرة فيطبع كل فضيلة بطابع الجنة ، ويسم كل رذيلة بطابع النار فيرشد النفس البشرية إلى غاياتها العليا " .^(٤)

لقد جعلنا الشاعر أمام مترادفات الخير والشر ، في محاولة لإظهار صورته الخيرة مقابل ما يحمله العدو من شرور .

(١) الديوان ص ٢٣٧ .

(٢) السابق ص ٢٧٥ .

(٣) السابق ص ٣٠٤ .

(٤) الإنسان في الأدب الإسلامي - د. محمد عادل الهاشمي - مكتبة الطالب الجامعي ص ٤٨٣ .

ج- انتفاء الغدر تجاه العدو :

لقد رعى الإسلام وأصل عقائد المسلم بصفات الخير والصلاح ، حتى مع العدو لتمنحه الكرامة والعزة يقول :

ولا أَصْبِحُ الحَيِّ الخَلُوفَ بَغَارَةَ وَلَا الحَيْشَ مَآلَمَ تَأْتَهُ قِبَلِي النُّذْرُ^(١)

ينفي الشاعر صفة الغدر عن ذاته حتى لو كان ذلك مع عدوه اللدود ، في تصوير ذا بعد عقدي راقبي .

د- الشوق لمحاربة العدو:

إن الشوق في محاربة العدو عند أبي فراس ، يتمثل كثيرا في المواجهة بين الخير والشر .

وَقَدْ حَطَّمَ الخَطِيَّ واحْتَرَمَ العِدَى وفضلَ حَادِّ المَشْرِفِي المُنْهَدِّ^(٢)

وقوله :

مَرِيرٌ عَلَيَّ الأَعْدَاءِ لَكِنَّ جَارَهُ إِلَى حَصْبِ الأَكْنَافِ عَذْبُ المَوَارِدِ^(٣)

إن الحماسة في مواجهة العدو تدل على ارتفاع الثقة و بروز صوت الأنا في مقابل الآخر ، واثبات الذات على حسابه النفسي والحربي .

فنجد أن العدو كانت له مساحة واسعة في حياة أبي فراس الحربية وبعد الأسر أيضا ، فاتسمت بعدة صفات ودلالات كلها تنتقص من العدو وترفع من قدر الفارس الوثائق .

ثانياً : العلاقة بالمرأة :

أ- المرأة المحبوبة :

علاقة أبي فراس بالمرأة هي علاقة حب عذري شفاف مطبوع بالكثير من الرزانة والرصانة يقول :

(١) الديوان ص ١٥٩ .

(٢) السابق ص ٨٣ .

(٣) السابق ص ٨٩ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وأَجْرِي فلا أُعْطِي الهَوَى فُضْلَ مَقْوَدِي وَأَهْفُؤْ وَلَا يَخْفَى عَلَيَّ صَوَابٌ^(١)

لربما "الشاعر لا يريد للناس أن يعلموا أسرار رجولته العارمة بالحنان والتحنان، والتي تتراءى لكل ناظر صلبة قاسية"^(٢).

وقوله :

عَلَيَّ لِرَبْعِ "العامرية" وَقْفَةٌ تُمِلُّ عَلَيَّ الشَّوْقَ وَالِدَمْعَ كَاتِبٌ^(٣)

هذا البيت يجعلنا مرة أخرى أمام صورة المرأة المحبوبة والعشيقة، تلك المرأة العامرية كما أحب أن يسميها لقرب محبوبته ومكانتها منه .

أيضاً يقول في صورة أخرى تبرز المرأة في مثار العتب واللوم ورميها بالتعنت والكبر يقول :

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شَيْمُتَكَ الصَّيْرُ أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرٌ؟^(٤)

لم يتعرض الشاعر كثيراً للمرأة المحبوبة إلا عرضاً أو رمزاً في أحيان كثيرة .

ب- المرأة العدو:

"إن علاقته بنساء عدوه فيها شيء من التعارض والتضارب فهو أحياناً يسبي منهن الكثير"^(٥).

وَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّبِيَّ يُجْنُ لِبُ نَحُونَا حَوْاً، وَحُورَا

نَخْتَارُ مِنْهُ الْعَادَةَ أَلْ حَسَنَاءَ، وَالظُّبِيَّ الْغَيْرِ رَا^(٦)

ولقد جعلنا الشاعر هنا في حيرة عندما اختلف الموقف والصورة للمرأة أثناء الحرب والمعركة .

وَحِيٌّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ حَتَّى مَلَكَتُهُ هَزِيمًا وَرَدْتَنِي الْبِرَاقِعُ وَالْحُمُرُ

(١) الديوان ص ٢٤

(٢) أبو فراس الحمداني - شاعر الوجدانية والفروسية - ص ٧٠

(٣) الديوان ص ٣٥

(٤) السابق ص ٥٧

(٥) البطل في شعر أبي فراس الحمداني ص ٣٣٢

(٦) الديوان ص ١٥٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَسَاحِبَةَ الْأَذْيَالِ نَحْوِي، لَقَيْتُهَا
فَلَمْ يَلْقَهَا جَافِي اللَّقَاءِ، وَلَا وَعْرُ
وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ
وَرَحْتُ، وَلَمْ يَكْشِفْ لِأَثْوَاهَا سِتْرُ^(١)

هذه الأبيات تجسد الموقف العربي الأصيل، وتعطي صورة للفارس الشجاع الشهم الذي يقدر على الأعداء، ويصل إلى نسائهم ولكن يهب ما سلبه من أعدائه لمن ويذهب دون أن يهتك أستاره.

ج- المرأة التاريخ

لقد استجلينا سابقاً جميع الصور الشخصية والتاريخية والشخصيات البارزة في مواقف متعددة، وإن كانت الخصوصية هنا للمرأة في التاريخ، لقد أراد أبو فراس تسكين أوجاع أمه المكلومة على فراقه، ويحثها على الصبر في مواقع عديدة متجلياً صوراً نسائية كانت لها مواقف دلت على الصبر ورباطة الجأش.

كما نلاحظ استدعاء المرأة التاريخ وارتباطها بخطاب الأم، يدل على ذكاء الشاعر في خلق جو مماثل قريب للأم، من خلال المرأة .

يقول :

وقد علمت أمي بأن منيتي
بجد سنانٍ أو بجد قضيبي
كما علمت؛ من قبل أن يغرق ابنها
بمهلكة في الماء، أم شبيب^(٢)
وقوله :

أمالك في " ذات النطاقين " أسوة
بمكة " والحرب العوان تجول^(٣)؟

د- المرأة والفخر:

قد جعل الشاعر المرأة في مدار فخره شاهدة على نصره، واقفة على معاليه ومجده في صورة فخرية جديدة، جعل المرأة مشاركاً فيها :

(١) الديوان ص ١٥٩ - ١٦٠

(٢) السابق ص ٤٠

(٣) السابق ص ٢٣٣

وَعَدْتُ أَجْرَ رُمَحِي عَن مَّقَامِ تَحَدَّثُ عَنْهُ رَبَّاتُ الْحِجَالِ
فَقَائِلَةٌ تَقُولُ : أبا فَرَّاسِ أَعْيَذُ عُيُوكَ مِنْ عَيْنِ الْكَمَالِ
وَقَائِلَةٌ تَقُولُ : جَزِيَّتَ خَيْرًا لَقَدْ حَامَيْتَ عَنْ حَرَمِ الْمَعَالِي
وَمُهْرِي لَا يَمَسُّ الْأَرْضَ، زَهْوًا كَأَنَّ ثُرَابَهَا قُطْبُ النَّبَالِ^(١)

وعليه نجد أن الإنسان في علاقته مع أبي فراس كان مرتكزاً على محيط الحرب والأسر والعشق، فمن خلالها تبلورت تلك الذات وشكلت تجارب حياته جريئة وخطيرة .

الفصل الثاني

الآخر

المبحث الثاني

صور الأسر

صور الأسر :

إن الحديث عن الأسر أو السجن أمر متشعب يشتمل على حياة السجين، ووجوده ضمن العام وركونه إلى الخاص، وهي صفحات إنسانية تتطلع إلى غد أفضل وإنسان مستقر موضوعياً وذاتياً .

فتجربة الأسر عند أبي فراس هي تجربة فريدة أثرت الكثير من شعره، حتى أنها سميت روميّات^(١)، فالأسر اتخذ عدة صور في الروميّات، وتم البحث في الصور على عدة مستويات وصور :خارجية ، ومضمونية، وآلية، ومكانية، والمنزلة التي كان عليها الشاعر حينها .

أولاً : الجوانب النفسية والصور الجسدية في الأسر :

أ- الصورة الخارجية :

"وهي صور عامة مجملّة لا توضح ما يعانیه المأسور من أحوال العنف والتضييق والمهانة"^(٢) .

إن الصور المادية والتي تتراكم فيها قوة الحدث التعذيبي والذي هو المنتج للألم، لا يكاد يظهر لنا إلا في بيت واحد عند أبي فراس واصفاً الوضعية التي اتخذها القيد منه .

يقول :

لَيْسَتْ تَنَالُ الْقَيْوُدُ مِنْ قَدَمِي وَفِي اتِّبَاعِي رِضَاكَ، أَحْمِلُهَا^(٣)

نجد الشاعر يصف القيد هنا وصفاً مستجلباً ظاهراً، محدداً موقعه فالقيود قد كبلت قدماه، وهي الصورة الوحيدة التي تدلنا على وضعية القيد للأسير الشاعر.

وعندما نعود للسبب لا نستنكر ذلك الشح في صورة القيد الظاهر، فغالب أبيات أبي فراس تنم عن الاحترام الرومي لشخص أبي فراس القائد والأديب ، لذا كان له معاملة خاصة في أسره.

(١) بيتيمة الدهر ١٢/١

(٢) الأسر والسجن في شعر العرب ، د. أحمد مختار البرزة، مؤسسة علوم القرآن - دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م . ص ١٩ .

(٣) الديوان ص ٢٤٢

ب- الصورة المضمون :

إن مرارة الأسر وصعوبته حَمَلت الشاعر الكثير من الصور النفسية والحسية له، فانعكست بدورها ألباً ويأساً على شعره.

"فالصورة تنطق بعنت الأسر وقسوته وعتوه، وبألم المأسور وعجزه وشقائه، فإن المعنى الداخلي لكلمة أسر أبلغ مضموناً وأقوى إفصاحاً في بيان حقيقة الكلمة." (١).

فقد تعددت معاني الأسر تبعاً لصورها التي صورها الشاعر وفي ذلك يقول :

وما غَضَّ مَنِيَّ هَذَا الْإِسَارُ وَلَكِنْ خَلَصْتُ خُلُوصَ الذَّهَبِ (٢)

لقد دلت الصورة السابقة على دلالات الألم والوجع التي اعتصرتة وصهرته ، من شدة ما يقاسيه من ويلات الألم .

ثم يستجلي الشاعر صورة أخرى ارتبطت بمعاني نفسية عديدة يقول :

أَيُّتُ كَأَنِّي لِلصَّبَابَةِ صَاحِبٌ وَلِلنُّومِ مَذْبَانُ الْخَلِيطِ ، بِجَانِبِ (٣)

ارتبطت هنا صورة الحرمان من النوم بالشوق والحنين لمن حب وفُقد وتكرر المعنى مرّة أخرى بقوله :

قَرِيحٌ مَجَارِي الدَّمْعِ مَسْتَلِبُ الْكُرَى يُقَلِّقُلُهُ هَمٌّ مِّنَ الشُّوقِ نَاصِبِ (٤)

ويكرر الصورة مرة أخرى ولكن بارتباط نفسي جديد فقد جعل صورة السهر مرتبطة بطلب النجدة والمساعدة من سيف الدولة ، وجعل الصورة كمشهد مؤلم عندما وصف جفاء النوم مع شدة البكاء، الذي قد أثر في خد الشاعر وأصبح علامة بارزة لما يقاسيه .

ويقول :

خَلِيلِيَّ ، مَا أَعْدَدْتَمَا لِمَتِّيمٍ أَسِيرٌ لَدَى الْأَعْدَاءِ جَا فِي الْمَرَاقِدِ؟ (٥)

إن تكرار الصورة هنا مراراً يجعلنا ننظر إلى حجم التأثير في نفس أبي فراس وجسده نتيجة الأسر، وهو الحرمان من النوم ومحافاته فيبيت ساهد العينين .

(١) الأسر والسجن في شعر العرب ص ٢١

(٢) الديوان ص ٢٩

(٣) السابق ص ٣٥

(٤) السابق ص ٣٥

(٥) السابق ص ٨٨

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ويقول :

فلا بالشامٍ لَدَّ بفيِّ شربٌ ولا في الأسرِ رَقَّ عَلَيَّ قَلْبٌ^(١)

تعود أبو فراس "أن تكون الحرب أو الفروسية عنده طعامه وشرابه، لقد وجد نفسه فجأة في ديار غريبة وفي قبضة الأعداء الذين طالما أذلمهم، وبعد أن كان ملء السمع والبصر أصبح يعيش في وحدة تمون أمامها كل التجارب أيا كانت قسوتها ومرارتها"^(٢).

لقد صور الشاعر الوحدة والجفاء وعادتها بمرارة الأيام في مشربها وعيشها حتى قبل الأسر. فارتبطت الصورة هنا بالشكوى من الوحشة والقسوة.

ويقول :

مُعْرَمٌ مُؤَلِّمٌ جَرِيحٌ أسيــــــــــــــــر إنَّ قَلْباً يُطِيقُ ذَا لَصْبــــــــــــــــور^(٣)

ارتبطت صورة الأسر، بالألم والحب، فقد جمع بينهما في ذات الدلالة وهي العذاب لكل منهما . وعليه نجد أن الصور المتعددة للسجن وآثارها اتخذت معاني عديدة منها : الشوق وطلب النجدة، والألم ، والسهد .

ثانياً : منزلة الأسير في الأسر :

أ - الإذلال والتشفي :

يرتبط السجين عادة بعلاقات مع السجنانين ، ينتج عنها ردود أفعال قد تخدم السجين وقد لا تخدمه في بعض الأحيان، فيكون عرضة للعذاب "فالعذاب غرض من أغراض أدب السجون تعرض له معظم الشعراء المساجين فذكروا ذلك في مقطوعاتهم الشعرية"^(٤).

يقول الشاعر :

يَمْنُونَ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي ، وَإِنَّمَا عَلَيَّ ثِيَابٌ ، مِنْ دِمَائِهِمْ حَمْرٌ^(٥)

لقد استكشر أبو فراس تمنن الروم بترك ثيابه عليه، وعدم إبدالها وكان بثياب رثة تبين سجنه ووضعه ، في لفتة منه بأن تلك الثياب ، هي شاهدة على ضعفهم لا قوتهم لأنها مخضبة بدمائهم .

(١) الديوان ص ٣١

(٢) في الشعر العباسي ص ١١٣

(٣) الديوان ص ١٥٢

(٤) السجون وأثرها في الأدب العربية ص ٢٢٤

(٥) الديوان ص ١٦١

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ويقول :

هَلْ تَعْظِيفَانِ عَلَيَّ الْعِيلِ
لَا بِالْأَسِيرِ وَلَا الْقَتِيلِ^(١)

لقد شعر أبو فراس بالإذلال عندما أصبح مهمشاً في بلاد الروم ، فالشاعر يريد أن يعامل معاملة خاصة ليست بالضرورة معاملة رقيقة ، ولكن معاملة تبين قدره وقوته فيما يكون في موضع القوة وهذا ما يراه ، أو يطلق سراحه فتلك الحالة هي حالة ضدية تراكمت في ذهن الشاعر نتيجة الركون النفسي الذي يعيشه، فلم يجد من يقدره حق قدره حتى من أعدائه.

ب- حسن المعاملة :

سأت العلاقات بين أبي فراس واستفحلت عداءً وذلًا ، وإن نجد حسن المعاملة في مواضع أخرى.

إن أبا فراس يصور المعاملة الطيبة والتي حظي بها في أسره فيقول :

وَلِلَّهِ عِنْدِي فِي الْإِسَارِ وَغَيْرِهِ
مَوَاهِبَ، لَمْ يُخَصَّصْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي!
حَلَلْتُ عَقُودًا ، أَعْجَزَ النَّاسِ حَلِّهَا
وَمَا زَالَ عَقْدِي لَا يُذَمُّ وَلَا حُلِّي
إِذَا عَاتَبْتَنِي الرَّومُ كَفَّرَ صَيْدَهَا
كَأَنَّهُمْ أَسْرَى لَدَيَّ وَفِي كَيْلِي
وَأَوْسَعُ، أَيَّامًا حَلَلْتُ، كَرَامَةً
كَأَنِّي مِنْ أَهْلِي نَقَلْتُ إِلَى أَهْلِي
فَقُلْ لِبَنِي عَمِّي ، وَأَبْلَغُ بَنِي أَبِي
بِأَنِّي فِي نِعْمَاءَ يَشْكُرُهَا مِثْلِي
وَمَا شَاءَ رَبِّي غَيْرَ نَشْرٍ مَحَاسِنِي
وَأَنْ يَعْرِفُوا مَا قَدْ عَرَفْتُ مِنَ الْفَضْلِ^(٢)

ولقد ذكر ابن خالويه بأن الروم قد أكرمت أبا فراس إكراماً لم يحظ به أسير قبله فغفاه من أمور كالألا يركب الأسير دابة قبل لقاء الملك، كما بذلت له المفاداة مفرداً وحده^(٣) ، وهو أقوى الأبيات الدالة على شدة العظمة التي مازال الشاعر يعيشها وهو أسير عند وصفه للروم عند قوله: [إذا عاتبتني الروم كفر صيدها]، فجعل أبا فراس الصورة جلية، من خلال طأطأة رؤوس الروم عند مقابلته .

(١) الديوان ص ٢٣٥

(٢) السابق ص ٢٣٧

(٣) السابق ص ٢٨٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ويقول :

أأَضْحَوْا عَلَيَّ أَسْرَاهُمْ بِي عُوْدًا وَأَنْتُمْ عَلَيَّ أَسْرَاكُمْ غَيْرُ عُوْدٍ؟! (١)

إن علاقة السجين بسجانه هنا جلية وواضحة هي علاقة قريبة كما يصفها الشاعر ، لدرجة أنهم يعودونه ويزورونه في سجنه، مستنكراً على قومه تركهم له، وعدم زيارته حتى جعلت هؤلاء السجناء أقرب إليه في أسره.

وبذلك نجد أن علاقته بالسجناء وبالسلطة الرومية هي علاقة مضطربة ، تارة يحسنونها وتارة يسيئونها، وإن كنا نجد الإحسان أكثر إليه نظراً لمنزلته ومكانته القومية التي عاشها قبل أسره .

ثالثاً: آيات الحرب

ارتسمت الآلة في شعر الأسر عند أبي فراس الحمداني، فاستحضر آيات الحرب وهو يقاتل على ظهر الخيول ، كما استحضر الآلة في أسره، وكأنه يجري موازنة من خلال قصائده لما كان عليه قبل وبعد الأسر .

وحتى يزيد المفهوم للآلة في الأسر لابد من فهمها قبل أسره وتباعاً لها تتضح لنا وتتكشف دواخل الشاعر النفسية، من خلال ذكره آيات الحرب وكأنه تقليد شعري وتراث لابد من حمله بين أبياته، فكما أن الآلة قد تكون مصدر فخر واعتزاز وحق وحرية ، نجد هناك آيات في المقابل تقطر حزناً وألماً، ليلقي لنا بظلال التجربة النفسية الحربية قبل الأسر وبعده من خلال آيات الحرب والأسر.

ولرسم صورة صادقة للفارس العربي لابد أن يضم بين جنباته قلباً جامداً، ويقبض بيده سيفاً صارماً، وبالأحرى قوساً قوياً فكل آلة من آيات الحرب هي جزء لا يتجزأ من فروسية الفارس العربي الشجاع : "والسلاح عند العربي رمز تنطوي تحته كثير من المعاني فرفعه فوق الرأس أسمى آيات الاحترام، وتحطيمه يعني الضعة والذلة وتسليمه يعني الخضوع والمسكنة، وما كان العربي يتمنى شيئاً سوى رمح مدبب وسيف صقيل وفرس جرداء ودرع سابعة فهي عدته في الحياة وعماده الذي يعتمد عليه .. (٢)

فقد تحدث أبو فراس عن السلاح وما يتعلق به لفرط إعجابه به وتحقيق البطولات من خلاله فيقول :

(١) الديوان ص ٨٤

(٢) الفروسية في الشعر الجاهلي ص ١٦٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وقائمٌ سَيْفٍ فِيهِمْ أُنْدَقٌ نَصْلُهُ وأَعْقَابُ رُمَحٍ فِيهِمْ حُطْمَ الصَّدْرِ^(٢)

فقد ذكر هنا أعقاب الرمح التي انغرست في صدور أعدائه ؛ لقوة رمية وشدة بأسه وقدرته على التصويب .

فَأَظْمَأُ حَتَّى تَرْتَوِي الْبَيْضُ وَالْقَنَا وَأَسْعَبُ حَتَّى يَشْبَعَ الذَّئْبُ وَالْتَسْرُ^(٣)

هنا قصد (بالبيض) السيف ، وهو أشهر الأسلحة عند العرب وأشرفها وأكثرها غناء في القتال : "فالسيف من أنبل الأسلحة وقد قدره العرب حق قدره، فكانوا يستجلبونه من الخارج فالسيف الذي يطبع بأرض الهند يقال عنه الهندي والمهند والهندواني"^(٤).

يقول :

جَمَعْتُ سِيُوفَ الْهِنْدِ ، مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ وَأَعْدَدْتُ لِلْهَيْجَاءِ كُلِّ مُجَالِدٍ^(٥)

وأيضاً : (فلل حد المشرفي المهند)^(٦).

هنا كناية عن كثرة النزال والمعارك فأصبح سيفه يكل من كثرة الضرب والطعن .

وقد ذكر السيف بمسمى آخر هو المشرفي : "نسبة إلى المشارف وهي قرى معروفة ، تجلب السيوف وتطبع فيها .. وقيل منسوبة إلى شرف وهو رجل من ثقيف"^(٧).

مما سبق نجد أن أبا فراس كون معجماً حربياً حوى عديداً من مصطلحات الحرب والعتاد، وكل ذلك يضاف لرصيده الثقافي الحربي ويؤسس جزء كبير من ذاته الشخصية الحربية تلك الذات التي أثبتت قدرتها وتفوقها من خلال مفاخرها العظيمة، والتي أضافت الكثير للذات الحمدانية المتميزة بشرف الحسب والنسب والحرب، مما أثرى الإدراك العقلي وأشبع الميل العاطفي في حب الدولة وحب سيف الدولة .

(١) الفروسية في الشعر الجاهلي ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) الديوان ص ١٦١

(٣) السابق ص ١٥٩

(٤) الفروسية في الشعر الجاهلي ص ١٧٠ .

(٥) الديوان ص ٨٨

(٦) السابق ص ٨٣

(٧) الفروسية في الشعر الجاهلي ص ١٧١ .

رابعا: آلات الأسر وأمكنته

١- آلات الأسر :

كان للأسر عدده الخاصة لتقييد سجنائه، اختلفت أنواعها باختلاف أسراها ومراتبهم وجرمهم .
وقد اقتصر الآلة في شعر أبي فراس على ألفاظ محدودة
يقول :

ليست تنال القيودُ من قَدَمي، وفي اتِّباعي رِضَاكَ، أَحْمِلُهَا^(١)

"إن التقييد هي صفة ملازمة للأسر"^(٢)، وقد كان القيد في البيت السابق له دلالة الآلية، حيث "أن القيد يعتبر أمتن صنعاً وأثقل وزناً"^(٣)، إلا أن صفة القيد هنا صفة مخصوصة فقد حصر القيد كآلة على على قدمه فقط .

إن الشاعر هنا مقيد القدمين ولكنه لا يرى ذلك القيد ، ولن يشعر بوجوده وألمه طالما كان وفاءه واتباعه لأمره سيف الدولة، فكأنما الشاعر هنا يخفف من وطأة القيد بتناسيه وانشغاله بطلب رضى سيف الدولة .

ثم يقول في موضع آخر :

أَقْلَبُ طَرْفِي بَيْنَ خِجْلٍ مَكْبَلٍ وَبَيْنَ صَفِيٍّ بِالْحَدِيدِ مَصْفَدٍ^(٤)

لقد ذكر الشاعر حالته بالقيد ممتد مكبل (والكبل) القيد وهو أعظمه^(٥) وكبله حبسه^(٦) .

نجد أن القيد الذي وصفه هو أقوى أنواع القيود وأعظمها، "فلا يكاد ينهض به الأسير حتى يكب على وجهه"^(٧).
وجهه"^(٧) .

وإن شدة هذا القيد (الكبل) اتخذ دلالة نفسية لفظية عند الشعراء، تعني الوثاق والحبس ، ولا ينتهي الشاعر عند ذلك فحسب بل ينتقل إلى وصف فعل للقيد فهو بين صفيين من الحديد مصفداً بينهما .

(١) الديوان ص ٢٤٢

(٢) الأسر والسجن شعر العرب ص٢٦

(٣) السابق ص٢٧

(٤) الديوان ص ٨٣

(٥) القاموس المحيط مادة (كبل)

(٦) السابق مادة حبس

(٧) الأسر والسجن في شعر العرب ص ٣٠

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

من خلال الأبيات السابقة لا نجد تحديداً أو ذكراً خاصاً يخصص هوية المكان الذي حمل إليه الشاعر عند أسره، مما يدل على أن المكان ليس بالمكان الذي يحمل على العذاب أو لضيقه ، حتى يلتفت إليه الشاعر ويشركه في صورة الشعرية ودليل هذا قوله :

إِلَى اللَّهِ أَشْكَو أَنَّنَا بِمَنَازِلٍ تَحَكَّمُ فِي آسَادِهِنَّ كِلَابٌ^(٢)

فالمكان هو منازل وإن ذكر كلمة منازل تدل على أن المكان في درجة صلاحه يعتبر جيده جداً لأنه لم يأتي بصيغة الجمع (منازل) ليدل على أن المكان الذي حبس به وأسر، يعادل منازل العامة من الروم .
كما يؤكد المعنى السابق قوله :

وَأَوْسَعُ أَيَّامًا حَلَلْتُ كَرَامَةً كَأَنِّي مِنْ أَهْلِي نُقِلْتُ إِلَى أَهْلِي^(٣)

لقد ظل أبو فراس في أسره في مكان ومنزل فسيح دفعه إلى التفاخر أيضاً أمام سيف الدولة وقومه .
ومما سبق نجد أن صور الأسر ودلالة الآلة والمكان قد شحت كثيراً في روميّاته ، فقد انشغل الشاعر بإسباغ شعره صفاتاً وجدانية ذاتية أكثر منها صوراً آلية حربية وقيدية .

(١) السابق ص ٢٣٢

(٢) السابق ص ٢٥

(٣) الديوان ص ٢٣٧



المناظرات الرومية :

أ- التعريف بالمناظرات :

تبرز أهمية المناظرات دوماً في إثبات الحق والدفاع عنه، وإظهار الحق يستوجب إثباته بالحجة والبرهان والمنطق الحسن للأقوال والألفاظ .

فزحرت الكثير من المجالس العلمية والأدبية والفلسفية بحلقات المناظرة، لتبرز لنا أعماق الفكر مستندة بالحجج والبراهين، كوسيلة لإثبات جهل وإفلاس الطرف الآخر بل وقد ينحدر هذا الجدل ليصل لدرك الإسفاف والشتائم ، وقد يرتقي بآداب إسلامية .

وحتى نصل إلى نظرة شمولية لهذا الفن وإن كانت موجزة فقد استدر كنا جزءاً من مفهوم المناظرة كعلم ديني وفلسفي وأدبي لغوي .

فقد بدأت المناظرات كعلم ديني يبحث في الشؤون الفقهية والدينية والعلمية فكان أصوله وعلومه التي تصل بنا للحق والصواب .

فقد استطاع القرآن إثبات هذا العلم كعلم ديني تأصلت آدابه من خلاله .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِيُحْكَمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم بِالْحَقِّ وَاصْبِرْ لَهُمْ صَبْرًا مَقْتَدِرًا ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنتَ أَعْيُنُ النَّاسِ وَأَنْتَ أَعْيُنُ رَبِّكَ ﴾ (٢)

وقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنتَ أَعْيُنُ النَّاسِ وَأَنْتَ أَعْيُنُ رَبِّكَ ﴾ (٣)

ينجادل من (الجدل) و(الجدلة) أي ما أحكم فتله من كلام، أو شعر (١).

(١) العنكبوت : ٤٦

(٢) النحل : ١٢٥

(٣) غافر : ٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أما المناظرات في مجور العلوم المنطقية والفلسفية، برزت بعدد من المؤلفات أهمها :

شرح آداب المناظرات شرح الرسالة العضدية – للتبريزي السمرقندي.

المناظرات للرازي وهو من أشهر المتكلمين والمتفلسفين فكانت المناظرة لها دلالاتها الفلسفية والمنطقية .

فالمناظرات كأدب فلسفي منطقي يقول " ليس من الذم والتشريب والتهجين من دأب الحكماء بل تقرير الحق ومن قرر الحق استغنى عن تهجين أهل الباطل " (٢).

والمناظرات هي (علم قوانين الفكر) (٣).

(والنظر كالفعل الصادر عن نفس لاستحصا المجهولات من المعلومات) (٤).

والمناظرات في اللغة دلت على (النظر) وهي محرقة الفكر في الشيء نقيسه ونقدره ، متناظرا متقابلا و(نظارا) تأمله بعينه (٥).

أما المناظرات في الأدب

فتعد شكلاً بارزاً في قائمة الأنواع الأدبية، فكانت المناظرات وليدة الصراعات الحربية والطائفية والدينية والجمالية أيضاً، مع ملاحظتنا لشح الدراسات الأدبية في هذا العلم ، كتأصيل وحاجة جمالية ، إلا من مؤلفات بسيطة ، أبرزها رسائل مفاخرات " كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري إلى ابن القارح ورسالة عمر الخيام إلى القاضي أبي النصر عبدالرحيم النسوي ورسالة ابن عربي إلى فخر الدين " (٦).

أما المؤلفات :

نور النهار في مناظرات الورود والرياحين والأزهار : للمارديني واليماني والمقدسي وأيضاً المناظرات الباهرة من عرائس منتزهات القاهرة للمقدسي .

وعليه فإننا نجد أن مفهوم المناظرات المتأصل كعلم ديني أو فلسفي قد برز بشكل أكبر من كونه علماً أدبياً جمالياً وإن اجتمعت في وعاء إثبات الحجة والبرهان .

(١) القاموس المحيط :مادة جدل

(٢) المناظرات – فخر الدين الرازي – مؤسسة عز الدين للنشر – طبعة أولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ص١٢

(٣) محاضرات في المنطق د. ماهر عبد القادر محمد – دار المعرفة الجامعية – ج ١ ص١٦.

(٤) المعجم الفلسفي ج ٢ – ص٤٧٣

(٥) القاموس المحيط الجزء الثاني – مادة (نظر) ص١٤٣

(٦) المناظرات للرازي ص ١١

ب- المناظرات الرومية بين التحليل والتحقيق :

يعد هذا الغرض أقل الأغراض في شعر أبي فراس ، وقد ابتعد عن هذا الفن ، إلا ما أجبرته إليه الظروف ، ويمكن حصرها في مناظرتين وقعتا بينه وبين الدمستق اضطرته إلى التصدي وإقامة الحجة تلو الحجة . وقد كان لهاتين المناظرتين طابعين : طابع سياسي وطابع ديني، وتم دراسة هذا بين المناظرتين بناءً على استقصاء النص بالتحليل ثم التحقيق الذي يلخص بدوره الجانبين الشكلي والمضمون، فتمت دراسة كل نص منفرداً ليتضح لنا تجليات النص كاملة دون تجزئته الذي قد يفقد المناظرة رونقها وجمالها .

النص الأول :

لقد سطر الشاعر في هذا النص الأول خطاباً قوياً لامبراطور البيزنطيين (نقفور فوقس) والتي حوت هجاء محضاً دعمه بالقرائن والحجج التاريخية في رده على اتهامه لهم " بأنهم أهل كتاب ولا يعرفون الحرب " وقد رد عليه أبو فراس (نحن نطأ أرضك منذ سنين بالسيوف أم بالأقلام؟)^(١). يقول :

أَتَزْعُمُ، يَا ضَخْمَ اللَّغَادِيدِ، أَتَنَا وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْحَرْبِ لَا نَعْرِفُ الْحَرْبَا^(٢)

استهمل الشاعر أبياته باستفهام انكاري ، ينكر فيه إدعاء الإمبراطور بضعف العرب واقتصارهم على الأقلام والشعر، فيعلن أبو فراس جهراً علو شأن العرب على غيرهم فهم دعاة الحرب فكيف ينكرونها عليهم .

فاستخدم الشاعر أسلوب النداء مقرونا بضخم اللغاديد وهي لحمة في الحلق وكناية عن ضخامة الرقبة^(٣).

فعمد الشاعر إلى الانتقاص من الشكل الجسدي للرومي ، في دلالة استهزائية ساحرة.

فويلك ؛ من للحرب إن لم نكن لها ؟ ومن ذا الذي يمسي ويضحى لها تريباً؟^(٤)

يتوعد الشاعر أبو فراس الإمبراطور، ويستأنف إنكاره ولكن بوعيد وتهديد وقد قرن أبو فراس الحجة في البيت السابق : (من هو ذا الذي يمسي ويضحى لها ترابا) فعاصر الشاعر الحرب منذ نعومة أظفاره، فتجلت في ملامح الحكمة التي استقاها منها، بل إن حكمته تعدل من عاصر الحرب منذ نشأتها الأزلية . ويكمل بعد ذلك إكمال القرن والحجة تلو الحجة يقول :

(١) الديوان ص ٤٢

(٢) السابق ص ٤٢

(٣) السابق ص ٤٢

(٤) السابق ص ٤٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ومنْ ذا يلفّ الجيشَ منْ جنباته؟ ومنْ ذا يقودُ الشَّمَّ أو يصدّمُ القلباً؟^(١)

لقد جعل أبو فراس شجاعته بارزة ، حين يصور الالتفاف الشامل الذي يحيط بالعدو ، بل ويقود الجيش العدو ويخرقه، فجعل الشاعر الحركات الاستراتيجية للحرب داخل ساحة المعركة تتمثل في الالتفاف والاختراق في وقت واحد، كما يدل على كثرة العدد في الالتفاف، والسرعة والشجاعة في اختراق صفوف العدو .

وإن إقامة الحجة بالشكل الهندسي السابق دلالة على أن الشاعر على دراية بتركيبات وتجزئات الشكل والمحور في ذات الوقت .

وويلك ؛ من أردى أخاك "بمرعش" وجَلَلْ ضَرْباً وَجَهَ وَالِدِكَ الْعَضْبَا؟

وويلك من خلى ابن أختك موثقاً؟ وَخَالَكَ بِاللَّقَانِ تَبْتَدِرُ الشُّعْبَا؟^(٢)

يذكر الشاعر امبراطور الروم ما خلفت الحرب، من آثار بأقربائه كانت لهم علامات ثابتة على وجوههم وأرجلهم .

فقد بدأ الشاعر إقامة الحجة بإتيان الأماكن التي وقعت فيها تلك الحروب الثائرة "بمرعش واللقان" ، ثم قرن الأماكن بالأثر التي خلفته من علامات حسية وهروب وانهمزام ، وفي استدعاء الشاعر للصلات القريبة من العدو تظهر لنا قوة الاستدلال بذكر الأخ والأب وابن الأخت فإن هؤلاء الثلاثة هم من يشكلون الهرم القوي والثابت للفرد، فيعتز بنصرهم ويثأر لثأرهم في محاولة للتقليل والتحقير من أصول العدو.

أتوعدنا بالحرب حتى كأننا و إياك لم يعصب بما قلبنا عصباً؟

لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنا بما أسداً ؛ وكنت بما كلباً^(٣)

انتقل الشاعر إلى الشاهد الحسي في إثبات القوة والحرب، فكيف يستنكر الدمستق حروهم وقد حضرها ، وجمعتهم بما أياماً كثيرة ، وليس هناك أبرز من إثبات الحجة بالحواس المدركة ، وهذا ما عمد إليه الشاعر مع ربطها بدلالات ساخرة وتهكمية تدل على الجبن والخذلان بقوله (كلبا) .

(١) السابق ص ٤٢

(٢) الديوان ص ٤٢

(٣) السابق ص ٤٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ويقول:

فسلّ " بردساً " عنا أباك وصهره
وسلّ قرقوأساً والشُّمَيْشِقَ صِهْرَهُ،
وسلّ صِيدَكُمُ آلَ الْمَلَايِنِ إِنَّنَا
وسلّ آلَ " بهرامٍ " وآلَ " بلنطسٍ "
وسلّ " باليرطسيسٍ " العساكرَ كلها
وسلّ آلَ " برداليسَ " أعظمكم خطبياً!
وسلّ سِبْبَطَةَ الْبَطْرِيقِ أَثْبَتَكُمْ قَلْبَا
هَبْنَا بِيضَ الْهِنْدِ عَزَهُمْ هَبْنَا!
وسلّ آلَ " منوالٍ " الجحاحجة الغلبا!
وسلّ " بالمنسطرياطسٍ " الرومَ والعرباً^(١)

لربما يتعذر علينا فك طلاسم بعض الأسماء السابقة فهي أسماء لشخصيات بيزنطية أسرا و أفراداً، ففي الأبيات السابقة تتمثل لنا عظمة الشاعر فهو يعد مؤرخ حروب كبير، عند حشده لكل تلك الأسماء رغم صعوبة ألفاظها إلا أن الشاعر لعب دوراً كبيراً في العديد من الوقائع والغارات ، وقد سقط أسيراً مرة أو مرتين كما أنه أقام فترات طويلة بسجون القسطنطينية ، مما جعله مدركاً وحاشداً لكل الاسماء البيزنطية الحربية . "فبردس هو من تولى الجيوش البيزنطية بعد عزل قراقوس وهو خصم سيف الدولة في معظم غزواته." ^(٢) .

"أما الشميشق فينتمي إلى أسرة أرمنية عريقة ، يتصل نسبه من جهة أبيه بأسرة قراقوس ومن جهة أمه بأسرة الفقاس ، فهي أخت نقفور وليون وقسطنطين ، وقد نمت المصاهرة بينه وبين الدمستق قراقوس، وهي التي أشار إليها أبو فراس عندما قال : "وسل قرقوأسا والشميشق صهره"^(٣)

أما عن صهر بردس وهي الشخصية الغامضة التي لم يصرح بها الشاعر فهو " أوهرم أو أجورغ أو تودس الأعور والذي تحدث عنه المؤرخون العرب في موقعة الحدث عام ٣٤٣ هـ "^(٤)

إن من الصعب جدا تتبع كل اسم ذكر في الكتب الأدبية و التاريخية ، عدا شخصيات شهيرة جدا كبردس مثل ما ذكرنا أو نقفور أو الشميشق.

(١) الديوان ص ٤٢

(٢) الصراع في شعر الروم ص ٢٦٠

(٣) السابق ص ٢٢٦

(٤) مقالة بعنوان الروم في شعر أبي فراس أسماء بعض الشخصيات البيزنطية في قضية الشاعر الفري أبو فراس فراس (القرن العاشر) ل أدونتس وم. كانار ترجمة وليد الخشاب (كاتب من مصر) في الموقع الإلكتروني :

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

ولكن ما يهمنا هي الصورة التي ربطها الشاعر فقط ربط شخصيات الروم بأفعال و صفات مدح لا للمدح وحده؛ فالمنطق عند أبي فراس يبين أن العظمة قد يغلبها القوة الإيمانية الصلبة فمهما بلغت قوة الجيش الرومي، إلا أنه يُنكل ويعذب ويسقط أمام الجيش الإسلامي .

بأفلامنا أجزرت أم بسُيوفنا؟ وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا؟^(١)

لقد أثبتت السيوف العربية الإسلامية ، سطوتها في حربها ضد الروم وهذا ما ينفي الإتهام ويدعم الحجة .

تركناك في بطن الفلاة تجوبها كما انتفق اليربوع يلتثم التربا

تفاخرنا بالطعن والضرب في الوغى لقد أوسعتك النفس يابن استها كذبا

رعى الله أوفانا إذا قال ذمة وأنفدنا طعنا، وأثبتنا قلبا

وجدت أباك العلج لما خبرته أفلكم خيرا، وأكثركم عجا^(٢)

لقد أورد الشاعر أفعالا تنم على شدة الإهانة في التحقير و التصغير للرومي : (تركناك في بطن الفلاة - يلتثم التريا - أوسعتك النفس-ابن استها - كذبا)

كلها دلائل وبراهين على القوة الحربية في ساحة المعركة ، التي شهدت على اندحار العدو .

ثم يختم القصيدة على غرار ماجاء في بداياتها على ذكر الأب المستحقر والبشع المنظر ، فعلج تعني: (العير - و الحمار - والعلج وهو: " الرجل من كفار العجم ")^(٣)

نصل من خلال هذا النص إلى شعور أبي فراس بانتمائه العربي ووقوفه موقف الدفاع عنهم.

التقييم الشكلي للنص :

نحن أمام مناظرة حربية تميزت بالجمع بين الفصيح والأسماء الأعجمية في نسيج درامي ، حاول فيه الكاتب أن يرضي نفسه أولاً ، فعمد إلى الكتابة بأسلوب غنائي ساحر .

(١) الديوان ص ٤٣

(٢) السابق ص ٤٣

(٣) القاموس المحيط: مادة (علج)

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

تعددت فيه الصور الجسمانية و التشبيهات البلاغية و البديعية مثل (انتفق اليربوع) كناية عن الموت منقلبا على ظهره فدلّت على حجم الإهانة التي لقيها العدو .

فوجدنا الطباق عند الشاعر له أكبر الأثر في استجلاء الفروقات و كان التكرار تأكيدا لتلك الحقائق في قوله :

[من ذا الذي يمسي و يضحى]

ونجد التكرار بشكل كبير في القصيدة :

[وويلك من أردى أحاك بمرعش]

[وويلك من خلى ابن اختك موثقا]

وفي قوله :

[وسل قرقواسا والشميشق صهره]

[وسل صيدكم آل الملايين]

لا نجد في النص السابق أي استشهاد ديني ، أو ربط الحجج ببراهين دينية واعتمد كلياً على الوقائع الحربية كاستشهادات مبرهنة وثابتة .

كما نلاحظ الطول في جمل المناظرة و مناسبتها للجرس الموسيقى في ذات الوقت ، فالطابع العام للمناظرة هو طابع الهزل والسخرية بدأها بقوله :

[أتزعم يا ضخم اللغاديد..] وختمها بقوله [وجدت أباك العلج]

ونرى استحضر للحيوان بصورته الدالة على الشجاعة (أسد الشرى) أو التحقير (اليربوع) ، (العلج)

ووجدنا تصاعدا دراميا للأحداث باستدعاء الأماكن للشخصيات ، وعليه فإن النص وإن كان حافلا بالمعارك والأحداث إلا أن الصور والبديع كان لها حضورا ولو بشكل بسيط .

نصل من خلال هذا النص إلى شعور أبي فراس بانتمائه العربي وموقف الدفاع عنهم ، فغضب الشاعر وحنقه على الدمستق ، جعل النص يصب في قالب ساخر لاذع أكثر منه نص صوري .

التقييم الموضوعي :

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَلَكِنَّ الْكَلَامَ عَلَى الْكَلَامِ ، وَإِنِّي لِلصَّبُورِ عَلَى الرَّزَايَا ،

عَلَى جَرَحٍ قَرِيبِ الْعَهْدِ ، دَامَ ^(١) جُرُوحٌ لَا يَزَلْنَ يَرْدَنَّ مِنِّي

لطالما كبت الشاعر غيظه متسلحا بسلاح الصبر ، على الرزايا إلا أن جرحه يزداد ألما على ألم ، من ترك آثارها الدامية ، والتي لم يعد يقوى احتمالها .

تأملني " الدمستق " إذ رأني ، فَأَبْصَرَ صَيْعَةَ اللَّيْلِ ، الْمَهْمَامِ ^(٢)

يصف الشاعر كيف كانت نظرة الدمستق إليه ، مستنكراً ومتعجباً عمداً لأبي فراس ، وكأنه يستصغر من شأنه ولعلها هي الشرارة الأولى لانطلاق المناظرة ورغم استصغاره إلا أنه وجد أبا فراس شجاعاً سخياً لا يطأطئ رأسه أبداً .

أَتُنْكِرُنِي كَأَنَّكَ لَسْتَ تَذْرِي بِأَنِّي ذَلِكَ الْبَطْلُ ، الْمُحَامِي

وَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ عَلَى دُلُوكِ ، تَرَكْتُكَ غَيْرَ مُتَّصِلِ النَّظَامِ ^(٣)

يستفهم الشاعر ويسأل الإمبراطور متعجباً كيف تم تجاهله فالشاعر بطل وشجاع لا يضام .

فالشاعر متى نزل " بدلوك " وهي " بلدة من العواصم " ^(٤) سيجعل عدوه غير متصل النظام أي موهن القوى .

إن الجزئيات التي يفصلها الشاعر هنا تجعل الصورة أقرب للمخيلة وأوضح للأذهان في استجلاء حالة العدد عند انهزامه .

وَلَمَّا أَنْ عَقَدْتُ صَلِيبَ رَأْيِي تَحَلَّلَ عِقْدُ رَأْيِكَ فِي الْمَقَامِ

وَكُنْتَ تَرَى الْأُنْأَةَ ، وَتَدْعِيهَا ، فَأَعْجَلُكَ الطَّعَانُ عَنِ الْكَلَامِ

وبت مؤرقاً ، مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ ، حَمَى جَفْنِيكَ طَيْبَ النَّوْمِ حَامِ

(١) السابق ص ٢٧٥

(٢) الديوان ص ٢٧٥

(٣) السابق ص ٢٥٧

(٤) السابق ص ٢٥٧

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ولا أرضى الفتى ما لم يكملُ برأي الكهلِ ، إقدامَ الغلامِ^(١)

لقد دلت المقطوعة على إثبات القدرة على المناظرة والجدال ، الذي تميز به أبي فراس من خلال مناظرته السابقة كذلك . فهو ذا فصاحة ومنطق يفحم الخصم ويقيم الحجة ، كما أنه فارس لا يشق له غبار مما جعل العدو يفقده لذة النوم حين ظهوره بالحق والبرهان الساطع .

فَلا هُنْتُهَا نُعْمَى بِأَسْرِي ، وَلَا وُصِلْتُ سَعُودُكَ بِالْتَمَامِ^(٢)

أي لا اهتنتأت : بأسري ولا لمت مرامك الذي تريده مني .

أَمَّا مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ عَلَّجٌ ، يُعَرِّفُنِي الْحَالَالَ مِنْ الْحَرَامِ

وتكنفه بطارقة تيسوس تباري بالعثانين الضخام

لهم خلق الحمير فليست تلقى فتى منهم يسيرُ بلا حزام

يريعون العيوبَ ، وأعجزتهم ، وأي العيب يوجدُ في الحسام^(٣)

يستفهم الشاعر أنى يقوم الدمستق بالجدال ، وهو كافر، فاستهزائه هنا عمق معنى السخرية التي يشعر بها أبي فراس تجاههم ، بوصفه حالهم في قوله (بالعثانين) وكأنها هي التي تحارب وتخوض المعارك ؛ نتيجة لكبرها وطولها وضخامتها و تعجب من لبس الحزام وهو الذي لا يراه العربي إلا ومربوطا على دابته في تشبيه لهم بالدواب و الحمير .

فهم يبحثون مرارا وتكرارا لإيجاد العيوب النقص ومع هذا سرعان ما يشبه نفسه بالحسام والذي يجمعه مع أبي فراس سطوته و سلامته .

وأصعبُ خطبةٍ ، وأجلُّ أمرٍ مُجَالَسَةُ اللَّئَامِ عَلَى الْكِرَامِ

أبيتُ مُبَرَّراً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ، وَأَصْبَحُ ، سَالماً مِنْ كُلِّ ذَامِ^(٤)

(١) السابق ص ٢٥٧

(٢) الديوان ص ٢٧٦

(٣) السابق ص ٢٧٦

(٤) السابق ، ص ٢٧٦

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

يقر الشاعر بأن أصعب الأمور و أجملها ، هي في مخالطة اللثام (الروم) للكرام (للعرب) وعلى وجه الخصوص أبو فراس الذي وقع أسيرا لديهم .

ويثبت بعدها الشاعر نزاهته من كل عيب ونقص ، يبيت منزلها عن الخطأ ، بحالة كريمة من كل نقص وكأنه في موازنة دينية من بين حال المسلم التقى وحال الكافر المنافق

وَمَنْ لَقِيَ الَّذِي لَأَقَيْتُ هَانَتْ
عَلَيْهِ مَوَارِدُ الْمَوْتِ الزَّوَامِ
ثَنَاءً طَيْبٌ ، لا حَلْفَ فِيهِ
وَأَثَارٌ كَأَثَارِ الْعَمَامِ^(١)

أي : من لقي ما لقيه الشاعر من مصائب وشدائد ، لهانت عليه كثيرا وفاته وإن كانت بغتة لأن من خلق أثرا طيبا هو من تمون عليه ، ثم وصف الغمام في إحياء الأرض ، و إطار الزينة كالعمل الطيب الذي يبقى لصاحبه بعد موته .

وَعِلْمٌ فَوَارِسِ الْحَيِّينِ أَتِي
قَلِيلٌ مَنْ يَقُومُ لَهُمْ مَقَامِي
وَفِي طَلَبِ الثَّنَاءِ مَضَى بُجَيْرٌ
وَجَادَ بِنَفْسِهِ كَعَبُ بْنُ مَامِ
أَلَامٌ عَلَى التَّعَرُّضِ لِلْمَنَائِيَا ،
وَلِي سَمْعٌ أَصَمُّ عَنِ الْمَالِمِ
بَنُو الدُّنْيَا إِذَا مَاتُوا سَوَاءٌ
وَلَوْ عَمَرَ الْمُعَمَّرُ أَلْفَ عَامِ
إِذَا مَا لَاحَ لِي لَمَعَانَ بَرَقِ
بَعَثْتُ إِلَى الْأَجْبَةِ بِالسَّلَامِ^(٢)

لقد وجه الخطاب هنا يشكل عام حينما جمع الحيين جميعا عندما أخبر الفوارس بمن هو من مقامة وشجاعته التي لا يوجد مثلها حتى بين الإنس والجن قاطبة ، فالشاعر غني عن الثناء ولا يفني حياته كما فعل ابن مام وبجير واللذان قتلا حبا بالثناء و المودة .

يسرد الشاعر بعدها قناعات محضة في مصير العالم ، وإن عاشوا طويلا فلكل نفس أجلها ووعداها ، وطالما هو حي ينظر للسماء ، ويتأمل لمعان البرق فسيظل يبعث بالسلام لأحبته .

(١) الديوان ص ٢٧٦

(٢) السابق ص ٢٧٦

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لقد ازدحمت الحكم في المقطع الأخير ، وكأنه يلخص تجارب الحياة ويعطيها للروم ، عليهم يستفيدون منها في محاولة أخيرة لإثبات أن الموت و الحياة هي أمران لا جدال عليها ولا مرأى .

التقييم الشكلي للنص :

إن المناظرة السابقة هي مناظرة دينية خالصة ، وازنت بين الحق و الباطل وبين الكبر و الإباء . فالنص السابق تميز بالصدق الدافع بين طياته ، فموسيقية الشاعر في هذه المناظرة اختلفت عن سابقتها التي تميزت بتسارع الموسيقى وعلوها بين ألفاظها وجمالها ، في حين كانت الموسيقى الجرسية هنا هادئة تدل على هدوء النفس واستحضار الجو الروحاني و الذي تنطلق منه المناظرة الدينية .

فقفافية (الميم) هنا هي قافية تبعث على ترجيح صوت العقل على المشاعر ولجتها ..

كما تميز مطلعها ببداية رقيقة عذبة بعثت على تذكّر الأحباب و الأصحاب ، ولم يدخل مباشرة إلى المناظرة كما في الأولى .

نجد بعض الصور و التشبيهات البلاغية وهي ليست بالكثرة

(فأبصر صيغة الليث)

(عقد رأيك)

وفي الكنايات

(رأي الكهل) كناية عن الحكمة

(لمقدام الكلام) الشجاعة و القوة

نجد في النص السابق كثير من الإيحاءات التي ارتبطت بالألفاظ ، وهي إيحاءات دينية بحته

(الحرام - بطارقة - يريغون - موارد الموت - بنو الدنيا)

فقد اعتمد الشاعر هنا على جميع المفردات الدينية لبناء مناظرته

فجعلها في بناء محكم السبك ، مطعم بالحكم القيمة .

التقييم الموضوعي :

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

إن الحقائق الدينية والتي رسمها الشاعر في مناظرته السابقة ، جعلتنا في تصور شامل وواضح لحقيقة الحلال و الحرام ، و الموت و الحياة وهي الأسس التي انطلقت منها مناظرته .

لقد تدرج الشاعر للوصول إلى مبتغاه ، من إثبات الدين الخالص من الشك ليصل بهم لليقين في قوله (أتنكرني كأنك لست تدري) إلى أن يصل إلى الحقيقة المطلوبة (بنو الدنيا إذا ماتوا سواء) وهو اليقين بالموت و الفناء و الثواب و العقاب .

فنجد الشاعر لم يختصر ولم يطيل ولم يخرج كذلك عن المطلوب ، وقد تجنب في ألفاظه الإسفاف ولربما طبيعة الموضوع فرضت عليه قدرا من الالتزام بأدبيات الحوار و الجدل .

لقد أكثر الشاعر من إدراج الحكم الدينية ، التي تؤيد قوله وترجحه في محاولة لختم المناظرة بأسلوب اختزالي جميل لكل ما مر به في حياته .

وعلى ما سبق نجد أن فن المناظرات فن عميق متأصل في الفكر العلمي و الفلسفي والديني ، وإن كان الأدب مقصرا تجاه هذا اللون الفني لقلة الدراسات فيه والاعتماد على كتب المنطق و الفلسفة في التحليل بدلاً من الكتب الأدبية الجمالية .

كما نجد أننا أمام نصين باذخين في رسالتهم :

فالأولى : رسالة حرب خالصة ضمنها كل ما يتعلق بالحرب من مفردات وصور ، ومواقع و شخصيات شحذ بها مناظرته ليقيم الحجة و البرهان .

أما الثانية : فهي مناظرة ندب لتأكيد الحق و تأييده مع غير المسلمين ، مستجليا الصور الدينية والمفاهيم الثابتة.

إن فن المناظرات هو فن أدبي خلقي حكيم يبعث على إحقاق الحق دون النظر للمصالح الشخصية فتبرز الحقائق متحلية ليخبو في وجه الظلام و الجهل.



السمات المعنوية التي شكلت القصائد :

إن ربط عوامل الإبداع الفني ببناء على الخلفية الثقافية والاجتماعية والسياسية، لها بالغ الأثر في إقرار المعنى البعيد عن التكلف، فتلعب الدوافع الذاتية دوراً كبيراً لتشكيل السمات المعنوية في القصيدة، من تجارب الحنين والغربة، والأهل، ودوراً فاعلاً عندما يضاف إليها المخزون الواعي من اللغة وعلومها.

فنجد أن تلك السمات قد برزت في الشعر العباسي، على خلفيات ذاتية ثقافية وحرية: "فقد صرف شعراء الندوة السيفية همهم، لانتقاء معانيهم، ونقد شعرهم".^(١)

وبرزت على وجه الخصوص، في روميات أبي فراس: "لاستمداده معانيه الشعرية، من الشعور بالغربة والحنين للأهل والوطن، وهي معان لا نستطيع إلا أن نقول صدرت، عن نفس أبي فراس المتألمة"^(٢)

فتلعب البيئة المحيطة بالشاعر وعصره، أبرز الدور لتوليد السمات المعنوية للقصيدة الرومية، على ألا نفهم أن هناك انفصلاً بين المضمون والشكل، فالعمل الأدبي طالما ارتبط الشكل به بالمضمون، وهو ارتباط وثيق لا يكاد ينفصل أبداً، فعمق الثقافة ساعد على عمق التجربة الإنسانية، فجاءت الروميات زاحرة بالمعطيات الإنسانية، من حيث تصوير جوهر الشاعر وما يتعاقب على نفسه من حالات: اليأس، والأمل، والضعف والقوة، والحزن والفرح.. وغيره.

حيث نجد أن ما سبق يبرز لنا بعدة أوجه في الروميات وهي:

١- بناء القصيدة

٢- التجربة الشعورية

٣- تكرار المعاني

٤- تجديد المعاني.

١- بناء القصيدة:

لكل شاعر طرائقه في البناء، يمتاز بها عن غيره من الشعراء، وكانت لأبي فراس طرائقه في بناء القصيدة الرومية، مما جعل لها طابعاً خاصاً مميزاً.

ومن خلال التوثيق للروميات نجد أن قصائد أبي فراس بلغت خمساً وعشرين قصيدة وثلاثاً وعشرين مقطوعة مما يدل على تقارب العدد بأهمية المقطوعات في شعره، والتي توازي أهمية القصائد.

(١) بيتيمة الدهر ١٤٦/١

(٢) أبو فراس الحمداني_ حياته وشعره ص ٣٥٠

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فالروميات رغم وفرة أبياتها وقصائدها إلا أننا نجد اتحاد المعنى بينها بشكل كبير وملحوظ حتى نجد أنها:
"توشك أن تصب في غرض واحد".^(١) هو الحنين والغربة والعتاب.

دَعْوَتِكَ لِلْحَفْنِ الْقَرِيحِ الْمَسْهَدِ لَدَيَّ وَلِلنَّوْمِ الْقَلِيلِ الْمَشْرِدِ^(٢)

إن المعاني هي من يقود البناء في القصيدة الرومية، فهي تتشكل تبعاً لخلجات الشاعر واسقاطاته النفسية فلا تتعداها لغيرها، وقد يكون السبب في ذلك: "أن هذه الروميات ومضات شعورية تنطلق من أبي فراس لا يرتبها في ذهنه ولا يحاول سكبها في نظام معين".^(٣)

وقد تأتي قصائده ارتجالاً كما في مناظراته الشعرية، فلا يتضح هنا منهجاً موحداً حيث أن المعاني سهلة في مجملها، والارتجال يأخذ ذات المعاني والمفهوم من "السهولة والانصباب".^(٤)

لم ينتهج أبو فراس نهج القدماء في بناء القصيدة إلا ماندر، من حيث الوحدة الموضوعية فلا نكاد نرى سوى بضعة قصائد اتخذت المقدمات الطللية أو النسيب عنواناً لها في بعض الأحيان وإن وجدنا أن الشكل البنائي القديم لم يستطع إخفاء مضامين المعاني، التي أسهمت في تشكيلها ليس اعتماداً كلياً على الموروث القديم، الذي قد يغيب الذات كثيراً مثلما نجده في قصائد الشعر الجاهلية تبرز لنا ذاتاً عامة لا تعبر عن معاني إنسانية شخصية ذات معالم جلية.

ففي المقدمة الغزلية نجد رأيته:

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شَيْمُتَكَ الصَّبْرُ أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرٌ^(٥)

وفي الطلل تبرز لنا قصديته والتي مطلعها:

أَتَعَزَّ أَنْتَ عَلَى رُسُومِ مَعَانٍ فَأَقِيمَ لِلْعَبْرَاتِ سُوقَ هَـوَآنٍ

فَرَضٌ عَلَيَّ لِكُلِّ دَارٍ وَقَفَّةٌ تَقْضِي حُقُوقَ الدَّارِ والأَجْفَانِ^(٦)

وعليه نجد أن المقدمات الطللية والغزلية في الروميات، لم تتجاوز قصيدتين أو ثلاث، لأن غالبية الروميات تصب في موضوع واحد.

(١) أبو فراس الحمداني في روميته . د. خالد بن سعود الحليبي – إصدار نادي المنطقة الشرقية الأدبي الطبعة

الأولى ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ، ص ١٣٧

(٢) الديوان ص ٨٢

(٣) أبو فراس الحمداني في روميته ص ١٣٨

(٤) العمدة في نقد الشعر وتمحيصه _ أبو علي بن رشيق القيرواني _ شرح الدكتور عفيف حاطوم _ دار صادر

بيروت _ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٣م ص ١٧٠

(٥) الديوان ص ١٥٧

(٦) السابق ص ٣٠٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ولو بحثنا في الروميات مما يدلنا على تميز البناء الشعري نجد أن المطالع والخاتمة بلغت أهميتها في نفس الشاعر، فشكلت ذروة الانفعال فتقدم لنا نظرة كلية في كثير من الأحيان لنفسية أبي فراس، لنجد أن أجزاء البناء الشعري تتكامل وتتداخل في ذات الوقت بانسجام تام بين صورها وعواطفها وإيقاعاتها، وقد نالت المطالع والخاتمة اهتماماً كبيراً بين النقاد؛ لاهتمامهم بروابط أجزاء القصيدة، وما يسعى إلى تماسكها.

ومن اهتمامهم بالمطلع نجد ابن رشيق يقول: "الشعر قفل أوله مفتاحه" ^(١) وهو "تهيئة نفوس السامعين إلى الانفعال بمعاني القصيدة". ^(٢)

ولم يقل اهتمام النقاد بحسن التخلص أو الخاتمة عن المطالع: "وأولى الشعر أن يسمى تخلص ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره ثم رجع إلى ما كان فيه" ^(٣)

ويتخلص: "بألطف تخلص وأحسن حكاية، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله، بل يكون متصلًا به ومتمزجا به" ^(٤)

ففي الروميات نجد أن أبا فراس اتخذ بدايات سهلة في افتتاح قصائده، ولم يفضل أن يبكي أو يستبكي اللبل أو الحبيب، إلا ماندر فلم يرغب الشاعر التعقيد في الابتداء:

ومن أبرز استهلالات قصائده:

أراك عَصِيَّ الدَّمْعِ شَيْمُتَكَ الصَّبْرُ
أما لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرٌ ^(٥)

في المطلع السابق يلخص الشاعر الأمر كله والحدث كله، ويرسم الصورة الذاتية التي تناسب الأحداث والتي يعيشها من صبر وشكوى ودموع متحجرة مستعصية، في محاولة لرصد الذات الأبية رغم النذل الذي لحق بها، من خلال مقدمة وفيرة تنبئ بحوار قادم مليء بالعتب حيث يتضح لنا عبقرية الشاعر من خلال المطلع، وذلك بفتح العتاب على مصراعيه دونما تحديد لهوية المعاتب من خلال جمال الإيحاءات، التي لخصت كل ما يعانية الشاعر، سواء قصد به حبيته أم ابن عمه، مما اتسم كذلك بالرقّة والعذوبة.

(١) العمدة ص ١٣١.

(٢) مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية د. عبدالحليم حفني_ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٧م ص ٥١.

(٣) العمدة ص ١٤٢.

(٤) عيار الشعر_ محمد أحمد بن طباطبا العلوي_ شرح وتحقيق عباس عبدالستار- دار الكتب العلمية_ بيروت_

لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م ص ١٢.

(٥) الديوان ص ١٥٧.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وفي أخرى نجد التضاد في المعاني بين الافتتاح والخاتمة، ففي حين قد بدأ القصيدة بالعتاب والشكوى
نجدته يختم الأبيات بحسن النوايا وطيب الشاء:

زَمَانِي كُلُّهُ غَضَبٌ وَعَتَبٌ وَأَنْتَ عَلَيَّ وَالْأَيَّامُ إِلْسَبُ
وَعَاشِيَشِ الْعَالَمِينَ لَدَيْكَ سَهْلٌ وَعَاشِيَشِي وَحَدَهُ بَفْنَاكَ صَعْبٌ^(١)

وختما بقوله:

فَقُلْ مَا شِئْتُ فِيَّ فَلِي لِسَانٌ مَلِيءٌ بِالثَّنَاءِ عَلَيْكَ رَطْبٌ
وَعَامِلِنِي بِإِنصَافٍ وَظَلَمٍ تَجِدُنِي فِي الْجَمِيعِ كَمَا تُحِبُّ^(٢)

نجد المطلع تميز بقوة الخطاب والحركة الإيقاعية العنيفة، كما نلمس الهدوء النفسي والاستقرار للشاعر في
ختامها. وكما نجد التضاد قد نجد التناسب والتلاؤم:

أَيُّتُ كَأَنِّي لِلصَّبَابَةِ صَاحِبٌ وَلِلنُّوْمِ مَذْبَانُ الْخَلِيْطِ مُجَانِبٌ
وَمَا أَدَّعِي أَنْ الْخَطُوبَ تُخَيِّفُنِي لَقَدْ حَبَّرْتَنِي بِالْفِرَاقِ النَّوَاعِبُ
وَلَكِنِّي مَا زِلْتُ أَرْجُو وَأَتَّقِي وَجَدَّ وَشَيْكَ الْبَيْنِ وَالْقَلْبُ لَاعِبٌ^(٣)

ويختتمها بقوله:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَيْنِ لَيْلَةً تَنَاقَلُ بِي فِيهَا إِلَيْكَ الرِّكَائِبُ^(٤)

فالخاتمة أحسن من خلالها الشاعر قفل البيت، فكل ما جرى في الأسر والحبس من قلة النوم والتعب
والألم والبعد تمنى الشاعر، لو أنها تسير مع الركائب لتصل لسيف الدولة دليلاً حياً على معاناته وعذابه.

إلا أننا نجد في الخاتمة رغم جمالها وقوتها ومناسبتها للبداية عدم اتمام الفكرة وكأنها تنتظر تنمة في نفسه لم
يفصح عنها، ولعلها تنتظر أن يتمها سيف الدولة وهو أمر إعتاد عليه الشعراء: "ومن العرب من يختم

(١) الديوان ص ٣١

(٢) السابق ص ٣٢

(٣) السابق ص ٣٥

(٤) السابق ص ٣٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

القصيدة فيقطعها والنفس بما متعلقة، وفيها راغبة مشتبهة ويبقى الكلام مبتورا كأنه لم يتعمد جعله خاتمة.^(١)
خاتمة.^(١)

وكما برز المطلع وفتحة الأبيات في الروميات، والتناسب بينها وبين خواتيمها، نجد تعدد جمالية الختام ومنه قوله:

فَلَيْتَكَ تَحَلُّوْ وَالْحَيَاةَ مَرِيْرَةً وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ^(٢)

فنرى هنا المعنى القوي والصوت العذب المتراخي، ليخلص فيها الشعر أماله وطموحاته وأمنيته من خلف أسرار السجون، فقد اختصرت موقفا انسانيا عميق مما ساعد على نشر البيتين، وإحياءه في أذهان العرب.

كما ختم في أخرى بالدعاء:

وَلَا يَحْرِمُنِّي اللَّهُ قُرْبَكَ إِنَّهُ مُرَادِي مِنَ الدُّنْيَا وَحَظِّي وَسُؤْدُدِي^(٣)

إن الدعاء بحفظ سيف الدولة هو الأمل المنشود، والغاية المرادة في نفس الشاعر، وقد رأى ابن رشيق الضعف في ختم القصيدة بالدعاء، إلا ما كان الخطاب فيه للملوك: "وقد كره الحذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء لأنه من عمل أهل الضعف إلا للملوك."^(٤) وبذلك نجد استثناء واضح لأبي فراس؛ لأنه لأنه أراد بالخطاب سيف الدولة الحاكم للدولة العباسية آنذاك.

وعلى ما سبق: نجد أن أغلب الافتتاحات والخاتمة في الروميات، بنيت على معاني انسانية وذاتية معذبة. "فليس هنالك بداية حتمية للقصيدة الشعرية، ولكن هناك صورة حتمية لتوحد عناصرها البنائية."^(٥)

(١) العمدة ص ١٤٤

(٢) الديوان ص ٢٧

(٣) السابق ص ٨٦

(٤) العمدة ص ١٤٤

(٥) الصورة والبناء الشعري د. محمد حسن عبدالله _ دار المعارف _ القاهرة ١٩٨١م ص ١٨٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فالروميات تعد "شعراً ذاتياً والشعر الذاتي يعبر عن انفعالات، أو عواطف ذاتية خاصة به؛ والملاحظ خلو هذا النوع غالباً من المقدمات ومن المطالع، بحيث يدخل الشاعر في موضوع القصيدة من أولها." (١)

وهذا ما نجده حقيقة في الروميات لانصبابها غالباً في موضوع واحد، هو العتب والشكوى من الأسر والبعد.

٢- التجربة الشعورية:-

تعد التجارب البشرية وما فيها من علاقات ائتلاف واختلاف تنافر أو تقارب، مجالاً يفصح به المرء عن دواخله، ويسعى بها إلى أرقى معنى.

فكل الخيالات والأحاسيس، هي مواقف هامة في حياة الشاعر، يترجمها إلى صورة من حروف وكلمات، نعيشها من خلال شعره.

وقد يكون الماضي بأحداثه هو الباعث الأول على خلق التجربة الشعورية: "فما من قصيدة أبدعها الشاعر، إلا ولها ماضٍ في نفسه حتى القصائد التي اختلط أمرها، فإذا أردنا أن نحدد هذا الماضي قلنا إنه تجربة اشترك فيها الأنا ككل." (٢)

وقد عرفها د. عبدالجليل في كتابه أبو فراس الحمداني: "هي تجارب متعددة، يعيشها ويتفاعل معها، فيعبر عنها بطريقة خاصة تمثله في الشعر، فينقل إلينا الشاعر احساساته ومشاعره بما يحيط بها من صراع نفسي وفكري." (٣)

عاش أبو فراس في أسره تجربة مريرة، أفقدته الأهل والأحباب وسرقت النوم من عينيه، وسلبت قيودها حرته، فعاش تجربة ذاتية مؤلمة أسقطها أبياته؛ لتخلق لنا تجارب عديدة قد جمعها الصدق ونقاء السريرة وألم الأسر.

فتأخذ تلك التجربة أشكالاً شتى:

أ- صدق التجربة الفني.

(١) مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية ص ٣٩.

(٢) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة د. مصطفى سويف. الطبعة الرابعة دار المعارف ص ٢٧٠

(٣) أبو فراس الحمداني حياته وشعره ص ٣٣٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ب- صدق التجربة التاريخي.

ج- صدق التجربة في الواقع.

د- صدق التجربة الأخلاقي.

فالصدق بداية ينطلق من عاطفة الشاعر، وانفعالاته ليصل إلى قلب المتلقي، ويجد ابن طباطبا الصدق في العبارة الشعرية: "ما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها، والتصريح بما كان يكتُم منها، والاعتراف بالحق في جميعها." (١)

وصدق التجربة "أن يصور ما في الإنسان من فكرة وعاطفة أو حادثة هامة لها مغزاها، ثم ينتقل ذلك إلى نفوس القراء فيعينهم على فهم الحياة ويوقظ مشاعرهم السامية القوية، ويوجه نفوسهم بذلك إلى الغايات الإنسانية النبيلة، وهذا ما اعتاد النقاد أن يسموه إيصال التجربة إلى الآخرين." (٢)

فالقصييدة الوجدانية هي أصل التعبير عن ذات الشاعر وعواطفه ووجدانه وهي ما امتازت به الروميات:

أ- صدق التجربة الفني:

تظل القصائد حية لا تموت إذا ما اتشحت بالصدق الفني مما يضمن لها الخلود وبقائها عبر الأجيال، وقد مثلت الروميات الحمدانية ذلك الصدق "فالشاعر يمثل ما يمر بالنفس الإنسانية من صور وأطياف، والنفس الإنسانية فيها قوة وضعف وفيها جبروت، والشاعر الحق هو الذي لا يكذب على الطبع." (٣)

(٣)

ومن خلال الروميات نجد أن الفهم الفني للصدق لا يعني بالضرورة معايشة التجربة بل يقوم على التأثير بأبعادها والانفعال بجزئياتها.

فاتخذ أبو فراس أحيانا قناع المرأة ليلبسها همومه ولوعته، وبعده وفراقه:

أراك عَصِيَّ الدَّمْعِ شَيْمُتَكَ الصَّبْرُ أما لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرٌ (٤)

(١) عيار الشعر ص ٢٢

(٢) أصول النقد الأدبي. أحمد الشايب _ مكتبة النهضة المصرية الطبعة العاشرة ١٩٤٤ ص ٧٧.

(٣) الموازنة بين الشعراء د. زكي مبارك _ دار الجيل _ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ص ٢٧٨.

(٤) الديوان ص ١٥٧.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لم يكن الغزل في رائيته غزلاً مباشراً صادقاً عاشها كتجربة وواقع، بل هو رمز تجلت فيه ذات الشاعر الأسييرة والمنفية والمنسية، فكانت موجهة لسيف الدولة ومحبوته في ذات الوقت "ولم يتضمن الغزل في ذاته".^(١)

فالخيال الفني لدى الشاعر لا يعد كذباً إذا ما تلمس نقاط تقاطع لتجربته معها فالتجربة الشعورية تكون صادقة، ولو في عالم الخيال "متى ما حركت وجدانه وأهلب عاطفته، مما يجعل نتاجه الفني صدى لنفسه وصورة لفكره"^(٢)

ومن الصدق الفني قوله:

أَيُّتُ كَأَنِّي لِلصَّبَابَةِ صَاحِبٌ وَلِلنَّوْمِ مَذَبَانَ الخَلِيطِ مُجَانِبٌ
وَمَا أَدْعِي أَنَّ الخُطُوبَ تُخَيِّفُنِي لَقَدْ خَبَّرْتَنِي بِالفِرَاقِ النَّوَاعِبُ^(٣)

لقد اتسم المستوى العاطفي للشاعر بمعاني الفراق والبعد، وهو ما لجأ إليه الشاعر في رسم المعنى بأطياف المحبوبة وعمل موازنة عاطفية جميلة لما يمر به من بعد ابن عمه ومحبوته، إن لم يعيش الشاعر التجربة مع الآخر "المحبوبة" واكتفى برسم مظاهر مشتركة بينهما: "فلا يعني بالضرورة أن يكون الشاعر قد عانى التجربة بنفسه حتى يصفها، بل يكفي أن يكون قد لاحظها وعرف بفكرها وآمن بها، ودبت في نفسه حمياها ولا بد أن تعينه دقة الملاحظة وقوة الذاكرة وسعة الخيال، وعمق التفكير، حتى يخلق هذا التجربة الشعرية، التي تصورها عن قرب على حين لم يخض غمارها بنفسه."^(٤)

وبهذا نجد أن القواسم المشتركة بين التجربة والخيال كان كافياً لرسم صورة فنية صادقة عاشها الشاعر بكل تفاصيلها.

ب- صدق التجربة التاريخي:

إن استدعاء الشاعر وشحذه لجميع الشخوص والأماكن في شعره، لا حقيقة التاريخ أو حقيقة العمل، بل يختار الشخصيات التي تتقاسم ذات التجربة التي يعيشها بمختلف دلالاتها.

(١) شعر أبي فراس الحمداني- دراسة فنية ص ١٨٣.

(٢) التجربة الشعرية بين الصدق الفني وصدق الواقع د. جهاد المجالسي نشر جامعة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية ج ١٥ عدد ٢٧ - ١٤٢٤ هـ ص ٩٢٦.

(٣) الديوان ص ١٥٧.

(٤) النقد الأدبي الحديث- محمد غنيمي هلال- نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٩٧م ص ٤١٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وقد أكثر الشاعر من ذكر الشخصيات التاريخية والدينية في محاولة لخلق واقع معاش في الماضي والحاضر على حد سواء، يجمعهما صدق التجربة وإن اختلفت استدعاءاتها في كثير من الأحيان.

فاستدعى أبو فراس أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - لحث والدته على الصبر على فقدها وبعدها عنه كما صبرت أسماء على فقد ابنها يقول:

أَمَّا لَكَ فِي ذَاتِ التَّطَائِقِينَ أَسْوَةٌ بِمَكَّةَ وَالْحَرْبِ الْعَوَانُ تَجُولُ
أَرَادَ ابْنُهَا أَخْذَ الْأَمَانِ فَلَمْ تُجِبْ وَتَعَلَّمُ عِلْمًا أَنَّهُ لَقَتَيْلٌ^(١)
أَوْ حِينَ يَعِيبُ عَلَيَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ تَرَكَهُ بِلَا فِدَاءٍ:

فَإِنْ مِتُّ بَعْدَ الْيَوْمِ عَابَكَ مَهْلِكِي مَعَابَ التَّزَارِيَنِ مَهْلَكَ مَعْبَدِ
هَمَّ عَضَلُوا عَنْهُ الْفِدَاءَ فَأَصْبَحُوا يَهْذُونَ أَطْرَافَ الْقَرِيضِ الْمُقْصَدِ^(٢)

وعند الهجاء المقذع لا بد وأن يستشهد ببعض الشخصيات في إثبات صادق ودعم للحجة من منازلته للروم وإلحاقه الهزائم بجيشهم:

فَسَلْ بَرْدَسًا عَنَّا أَخَاكَ وَصِهْرَهُ وَسَلْ آلَ بَرْدَالِيسَ أَعْظَمَكُمْ خَطَبَا
وَسَلْ قُرْقُوسًا وَالشَّمِيشَقَّ وَصِهْرَهُ وَسَلْ سِبْطَةَ الْبَطْرِيْقِ أَثْبَتَكُمْ قَلْبَا^(٣)

فرغم اختلاف الدلالات عند استدعاء الشخصيات، إلا أنها شخصيات واقعية تحاكي ذات التجربة التي يعيشها الشاعر.

ج- صدق التجربة في الواقع:

أكبر تجربة زمنية يعيشها الفرد بكل ماهياتها النفسية والاجتماعية والبيئية هي الواقع، وتكون أصدق التجارب الشعورية وكثيراً ما تبرز من خلال الرثاء وفقد عزيز وغالي يظل بعدها الشاعر متألماً لفراقه وأبرز ما نجده في الروميات رثاء والدته:

(١) الديوان ص ٢٣٣

(٢) السابق ص ٨٤

(٣) السابق ص ٤٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أَيَا أُمِّ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غَيْثٌ بَكْرُهُ مِنْكَ مَا لَقِيَ الْأَسِيرُ

أَيَا أُمِّ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غَيْثٌ تَحْيِّرَ لَا يُقِيمُ وَلَا يَسِيرُ^(١)

"إن المعاناة الحقيقية هي أصل التجربة الشعرية، لأنها تعزز الاندماج في الحدث." ^(٢) ومن تجارب الشاعر الشاعر الصادقة واقعياً ما ناجى به الحمامة:

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي^(٣)

لقد اتحدت التجربة من خلال الغربة، التي يعاني منها أبو فراس والحمامة النائحة: "فوحدة التجربة وصدقها أدت إلى شعر وجداني صافي." ^(٤)

ثم يأتينا لوعة البعد وألم الأسر، ومرارة السهر في سجنه في محاولة لاستعطاف سيف الدولة:

هَلْ تَعْظِفَانِ عَلَيَّ الْعَلِيلِ لَا بِالْأَسِيرِ وَلَا الْقَتِيلِ

بَأْتَتْ تَقَلُّبُهُ الْأَكْمُ فُ سَحَابَةَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ^(٥)

وبهذا نجد أن المعاناة الشخصية برزت بمعاني واقعية صادقة يدفعها إحساس الغربة والحنين والشوق.

د- صدق التجربة الأخلاقي:

فالشعر إذا تضمن صفات صادقة مدحا أو هجاء "ارتاحت له النفس وقبله الفهم" ^(٦)

إن الروميات كانت في أحيان كثيرة شاهدة على جفاء سيف الدولة وتأخره بالفداء، كما شهدت كذلك على توثيق الكثير من الصفات الأخلاقية التي تحلى بها سيف الدولة، كل ذلك كان لانسجام الروميات بالصدق الوجداني، الذي أسبغ كلمات صادقة رغم أبعادها المختلفة فنراه يمدح سيف الدولة:

وَأَنْتَ أَشَدُّ هَذَا النَّاسِ بَأْسًا وَأَصْبَرُهُمْ عَلَيَّ نُوبِ الْقِتَالِ

وَأَهْمَهُمْ عَلَيَّ جَيْشٍ كَثِيفٍ وَأَغْوَرَهُمْ عَلَيَّ حَيٍّ حَلَالِ

(١) السابق ص ١٦٢

(٢) التجربة الشعرية بين الصدق الفني وصدق الواقع ص ٩٨٢

(٣) الديوان ص ٢٣٨

(٤) أبو فراس الحمداني ص ٨٣

(٥) الديوان ص ٢٣٥

(٦) عيار الشعر ص ٢٠

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ضَرَبْتَ فَلَمْ تَدَعْ لِلسَّيْفِ حَدًّا وَجُلْتَ بِحَيْثُ ضَاقَ عَنِ الْمَجَالِ (١)

ومن أجمل ما امتدح به الشاعر كان مدحه لأمه حين رثاها:

لِيُنْكَ كُ كُلُّ يَوْمٍ صُمتِ فِيهِ مُصَابِرَةٌ وَقَدْ حَمِيَ الْهَجِيرُ

لِيُنْكَ كُ كُلُّ لَيْلٍ قَمَتِ فِيهِ إِلَى أَنْ يُتَّيِدِيَ الْفَجْرُ الْمُنِيرُ

لِيُنْكَ كُ كُلُّ مُضْطَهَدٍ مَخَوْفٍ أَجْرَتِيهِ، وَقَدْ عَزَّ الْمَجِيرُ (٢)

حينما بلغ أبو فراس خبر موت أمه وهو أسير رثاها باكيا، مستدعيا كل الصور الجميلة التي عرفت بها والدته بكرمها ودينها وقوتها، مما دل على قوة العاطفة المستدركة لصفات الأم الراحلة الدينية والخلقية.

وعلى النقيض تماما حينما نجد الهجاء المقذع واللاذع للروم من خلال مناظرته الحربية:

لَهُمْ خَلَقُ الْحَمِيرِ فَلَسْتُ تَلْقَى فَتَى مِنْهُمْ يَسِيرُ بِإِلَّا حِزَامِ (٣)

مما سبق نستنتج أن صدق التجربة بفروعها المختلفة، يستلزم انعكاسا للظواهر الوجدانية الاجتماعية والنفسية بلغة صادقة وبإحساس داخلي عميق، دون اضطراب أو تشويش قد يطول عيش تلك التجارب، وقد يقتصر حسب ما يقتضيه.

٣- تكرار المعاني:

تكرار المعنى يحمل دلالات نفسية وانفعالية مختلفة، بما يفرضها طبيعة السياق وهو أحد الأساليب الجمالية للنص التي تشكل الموقف وتصوره، وقد عده البلاغيون جمالا أسلوبيا، وإن كان أقل من التكرار اللفظي.

"وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل." (٤)

(١) الديوان ص ٢١٠

(٢) الديوان ص ١٦٢

(٣) السابق ص ٢٧٦

(٤) العمدة ص ٢٥٦

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

كما حدد القرطاجني حالات تكرار المعاني: "التكرار لا يجب أن يقع في المعاني إلا بمراعاة اختلاف ما في الحيزين الذين وقع فيهما التكرار من الكلام، فلا يخلو أن يكون ذلك إما مخالفة في الوضع، بأن يقدم في أحد الحيزين ما أخذ في الآخر، أو بأن تختلف جهات التعلق من الجهة التي وقع فيها الإلهام، أو بأن يجمع ثم يفصل." (١)

فالتكرار المعنوي هو تكرار للمضمون، مع اختلاف بنية الكلمات، وهو إلحاح في ذات الوقت على الفكرة بأساليب عديدة؛ بالتأكيد في نفس المتلقي، وهو: "صورة من صور تأثر الشاعر تلح عليه فيجد نفسه بصورة واعية أو غير واعية يكررها" (٢)

أما تكرار المعاني في الروميات كانت صورة لأجواء الشاعر النفسية، وواقعه السياسي والاجتماعي الجديد فكانت القصيدة كيان ذو نظام تكراري معين، بما فرضته التجربة الشعورية والفنية ومنه ما كان تكرار للمعنى في ظل إبراز القائد:

وَيَرْجُونَ إِدْرَاكَ الْعُلَا بِنَفْسِهِمْ ولم يعلموا أن المعالي مَوَاهِبُ (٣)
وقوله:

أَيَا جَاهِدًا فِي نَيْلِ مَا نَلْتُ مِنْ عُلَا رُوَيْدِكَ إِنِّي نَلْتُهَا غَيْرَ جَاهِدٍ (٤)
فالتكرار يساوي التأكيد في وقفات كثيرة للمعنى، وهو تأكيد هنا لمعنى العلا المتأصل في نفس الشاعر دون جهد أو عناء، وإنما موهبة مغروسة في قلبه.
وفي تأكيد المعنى الحربي من خلال التكرار:

عَتَادِي لِدَفْعِ الْهَمِّ نَفْسٌ أُيِّيَّةٌ وَقَلْبٌ عَلَى مَا شِئْتَ مِنْهُ مُصَاحِبٌ
وَجَرْدٌ كَأَمْثَالِ السَّعَالِي سَالَاهِبٌ وَخَوْصٌ كَأَمْثَالِ الْقِسِيِّ نَجَائِبُ (٥)

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء- أبي الحسن حازم القرطاجني- تحقيق محمد الحبيب- دار الغرب الإسلامية ص ٣٦

(٢) ظاهرة التكرار في شعر عبدالرحمن العشماوي "ديوان عنقايد الضياء أنموذجا" د. علي بن محمد الحمود- مجلة عالم الكتب ص ٤٢.

(٣) الديوان ص ٣٦

(٤) السابق ص ٨٨

(٥) السابق ص ٣٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وقوله:

جَمَعْتُ سِیُوفَ الْهُنْدِ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ وَأَعَدَدْتُ لِلْهِجَاءِ كُلِّ مُجَالِدٍ^(١)

إعداد العدة هو من سمات الفارس الذي لا يتيح له الوقت للراحة فهو في حالة حرب دائم سواء كان الحرب روحيا أو حربيا سياسيا وهو ما تكرر المعنى عليه في الأبيات السابقة.

وقد يأتي تكرار المعنى من خلال التفصيل:

فَلَا تَتْرُكُ الْأَعْدَاءَ حَوْلِي لِيَفْرَحُوا وَلَا تَقْطَعِ التَّسَالِ عَنِّي وَتَقْعُدِ

وَلَا تَقْعُدْنِي عَنِّي وَقَدْ سِيمَ فِدَيْتِي فَلَسْتَ عَنِ الْفِعْلِ الْكَرِيمِ بِمُقْعَدٍ^(٢)

لقد طلب أبو فراس الفداء من سيف الدولة، وعدم تخليه عنه في تفصيل من بعد إيجاز، فالبيت الأول ذكر عدم التخلي والثاني فصل السبب في ذلك؛ فقد سيم الفداء فكان أمرا لامناص منه أن يقبل سيف الدولة بفداءه.

وعليه نجد أن تكرار المعاني، كان يدور غالبا في إطار الفداء أو الفروسية؛ مما يزيدا فهما وتثبيتا.

٤- التجديد في المعاني:

ظل أبو فراس في إطار حالته الخاصة، ولم يعبر منها إلى حالة انسانية أكثر شمولية، فغالبا كانت المعاني ما تدور حول الأسر والفداء والحرب والوصل والحنين، فكانت معاني قريبة عفوية وواضحة.

فبرز لنا التجديد بداية في غزله، الذي يناجي من خلاله سيف الدولة ويطلب وصاله، ويظهر ذلك بشكل خاص في غزله العفيف: "والغزل العفيف الذي ينأى فيه الشاعر عن الوصف الحسي لجسد المرأة، بمفاته المختلفة ويركن إلى الوصف المعنوي، الذي يعتمد على تصوير لواعج الشوق والحنين." (٣)

يقول:

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتِكَ الصَّبْرُ أَمَا لِلْهُوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرٌ^(٤)

تحدث الشاعر عن الهوى "فيجعل منه جسدا يعبر عليه إلى حتفه ونهايته" (١)

(١) السابق ص ٨٨.

(٢) الديوان ص ٨٣.

(٣) معاني شعر الغزل بين التقليد والتجديد في العصر المملوكي والعثماني أ.د. نبيل أبو علي- مجلة الجامعة الإسلامية- المجلد السابع عشر ٢٠٠٩ العدد الأول ص ١

(٤) الديوان ص ١٥٧

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ومن معاني التجديد ما ارتبط بساحات المعركة وآلامها:

لَقَيْتُ نُجُومَ الْأَفْقِ وَهِيَ صَوَارِمٌ وَخُضْتُ سَوَادَ اللَّيْلِ وَهُوَ خَيُْولٌ^(٢)

ومن أبرز المعاني التي استجدت في شعر أبي فراس هي تحول الفخر إلى العصبية العنصرية، فحملت الكثير من معاني السخرية والهجاء المقذع يقول:

أَمَّا مَنْ أَعْجَبَ الْأَشْيَاءِ عِلْجٌ يُعْرِفُنِي الْحَلَالَ مِنْ الْحَرَامِ

وَتَكْنُفُهُ بِطَارِقَةَ تُيُوسٌ تُبَارِي بِالْعَثَانِينَ الضُّخَامِ

لَهُمْ خَلْقُ الْحَمِيرِ فَلَسْتَ تَلْقَى فَتَى مِنْهُمْ يَسِيرُ بِبِلَا حِزَامِ^(٣)

نجد مما سبق أن السمات المعنوية تمثلت في كل ما يتعلق بحياة الشاعر الثقافية والنفسية والسياسية، والتي تفجرت قصائد احتوت بناء تجارب شعورية عديدة، أسهمت في إثراء الروميات.

(١) أبو فراس الحمداني حياته وشعره ص ٣٥٢

(٢) الديوان ص ٢٣٣.

(٣) الديوان ص ٢٧٦

الفصل الثالث
تشكيل الروميّات
المبحث الثاني
المعجم الحربي

المعجم الحربي:

تركت الحروب آثارها الواضحة على الشعر العربي، من خلال الارتباط الوثيق بين اللغة والأدب من جهة، وبين ما يجمعهما من ظروف بيئية محيطة من جهة أخرى.

فكانت الحرب شغلا شاغلا للعرب منذ أقدم العصور، فكانت رافدا مهما من روافد الخيال العربي فاتصلت أساليب التشبيه أو المجاز بها، فضلا عن وصف الحروب بذكر ألفاظها.

حتى نجد أننا أمام معاني حماسية قوية أصبحت تحكم البناء الشعري وخير دليل على ذلك "الحماسة" لأبي تمام فقد سمي ديوانه بالحماسة رغم تعدد أغراضه، ولكن لهيمنة المعاني الحربية وقوتها وقيادتها للهيكلة الشعري سميت به.

فأبو فراس في روميته كون لنا معجما حريبا قيما، فهو الفارس البطل خاض غمار المعارك وفتح الحصون والقلاع، وقتل وسبي وأسر وأُسر، فأثر ذلك كله في تشكيل الصورة الشعرية الرومية، فأصبحت موردا هاما من موارد الخيال والواقع على حد سواء.

كل ذلك أثراه العامل النفسي بالدرجة الأولى في قصائده "فقد كان الصراع الذي خاضه أبو فراس مع الروم له أكبر الأثر، كما كان يلقي الإعجاب الشديد لدى ابن عمه، ويرفع من قدره عنده، ويجعله مكان تقدير وتبجيل بعد أن أشاد به سيد البلاط.. مما زاده اندفاعا في حماسه العسكري." (١)

ولذا نجد تكبير صورة سيف الدولة وذكر السمات المميزة له من خلال ألفاظ حربية حين مدحه أو استعطافه، ولربما كان إعجاب سيف الدولة بالجانب الحربي في الشاعر كان له أبلغ الأثر في رسم صورة سيف الدولة بسمات حربية منها حين يقول:

أَسَيْفُ الْمُهْدَى وَقَرِيحَ الْعَرَبِ عَلَامَ الْجَفَاءِ وَفِيمَ الْعَضْبِ (٢)

فنجد تكبيرا لصورة سيف الدولة من خلال توقفه عند اسم (سيف الدولة) أو (سيف المهدي) ونجد العامل النفسي بارزا في حربه ضد الروم، حين جعل الحرب جهادا بين المسلمين والنصارى "فابتعثة الحرب الدينية تؤجج المشاعر الإسلامية للجهاد، وهو دور نفسي هام." (٣)

(١) أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية ص ٥٣

(٢) الديوان ص ٢٨

(٣) العامل النفسي ودوره في شعر الحرب عند المتنبي د. حسن محمد ربابعة- مجلة المجمع العلمي العراقي-

المجلد السابع والأربعون- الجزء الرابع- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ص ١٢١

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

يقول:

صَبْرًا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْعُلُ تَحُحُّ هَذِهِ فَتَحَا يَسِيرًا
مَنْ كَانَ مِثْلِي لَمْ يَيْتْ إِلَّا أَسِيرًا أَوْ أَمِيرًا^(١)

وقوله:

سَيْفَ الْهُدَى مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ يُرْتَجَى يَوْمٌ يُنْزِلُ الْكُفْرَ لِلْإِيمَانِ
هَذَا الْجِيُوشُ تُجِيشُ نَحْوَ بِلَادِكُمْ مَحْفُوفَةً بِالْكَفْرِ وَالصَّلْبَانِ^(٢)

فنجد أن العامل النفسي كان أثرا واضحا في شعر الحرب وألفاظه في الروميّات، من خلال تباعث حقيقة سيف الدولة، وتأجيج حرب دينية بين المسلمين والروم.

فقد خرج من أجواء الحرب والأسر والتعذيب معجما شعريا حريبا واسعا، مليء بمفردات الكر والفر والهجوم والنصر والهزيمة والقتل والجراح، كما استثمر أدوات الحرب من خيل وسيوف ودروع وسهام ورماح، في قصائد مدهشة مفعمة بالفخر والفروسية.

ولم يكن ذلك فحسب بل نجد نقلا للأجواء الحربية في قصيدة الغزل، فتحولت المرأة إلى عقل حربي في شعر الحرب، فهي تقتل وتأسر والعاشق أسير وقتيل لها. "كثيرا ما تخيل الشعراء أنفسهم في معركة الحرب قتلى، ومحبوهاهم قاتلات فيغازل أبو فراس الحمداني محبوبته التي أنكرته؛ لطول غيابه عنها في أسره فيخبرها بأنه أحد قتلاها فتستشط في تجاهلها له"^(٣)

تُسَائِلُنِي: مَنْ أَنْتَ؟ وَهِيَ عَلِيمَةٌ وَهَلْ بَفَتَى مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرُ
فَقَلْتُ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا الْهَوَى قَتِيلِكِ قَالَتْ: أَيُّهُمْ فَهْمٌ كَثْرُ^(٤)

إن القواسم المشتركة بين معاني الحب والحرب واحدة، فهي فراق وهجر ووصال وقرب ونضال وكر وفر فالحب كالمقاتل أحيانا.

(١) الديوان ص ١٥٦

(٢) السابق ص ٣٠٤

(٣) أثر الحرب في تشكيل الصورة الأدبية د. حمد النيل محمد الحسن- مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية اللغة
اللغة العربية وآدابها ج ١٩ العدد ٣١- ١٤٢٥هـ ص ٦٤٤- ٦٤٥

(٤) الديوان ص ١٥٨

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

كما نجد إغناء المعجم الحربي الرومي بكثير من الأعلام والوقائع، فحضوره يعد حضوراً طبيعياً ودليل توثيق تاريخي.

وجاء ذكر الأدوات الحربية من خلال ما سبق، كجزء من الصورة الحربية التي أرادها الشاعر: "أكثر ما يجيء ذكر السلاح جزءاً من منظر الحرب، أو منظر الصيد وقلما يمثل اهتماماً به لذاته"^(١)

فالأدوات الحربية لم تشكل اهتماماً في ذاتها بقدر أهميتها في التشكيل الشعري للصورة الحربية، ودلالة على قدرة الشاعر في براعة استخدامها، وشاهداً أيضاً على طعناته وفتكه للأعداء.

يأتي اللفظ الحربي كذلك في معرض الكنايات والصور التشبيهية والاستعارة؛ لإكمال صورة المعركة أو صور البسالة والشجاعة.

وعليه نجد أن الروميات عجت بالألفاظ الحماسية الواضحة، والمعاني والصور الحربية موشحة بأبرز أدوات الحرب، مما أسهم في إثراء ملامح الفارس.

وفي الجدول التالي رصد لبعض تلك الألفاظ داخل أبياتها الشعرية مراعين فيها البناء الحربي والاستنتاجي والشاهد النصي من خلال جدول توضيحي:

(١) عدة الحرب في الشعر الجاهلي اعداد: ناهد جعفر - رسالة ماجستير قدمت للجامعة الأمريكية في بيروت
حزيران ١٩٨٥م ص ٣٥.

المؤتلف	الاستنتاجات	الشاهد الشعري
١- بناء القصيدة أ - الدخول المباشر إلى الغرض الشعري	يقوم ذلك على تجاوز البناء التقليدي ، مما يؤسس لضرب من الانسجام التام بين البنية و المعنى العام. فتبرز المعاني الحسية وتقوى ، فتتحكم ببناء الغرض الشعري .	(في مناظرة جرت مع الدمستق) : أَتَزَعُمُ يَا ضَخْمَ اللَّغَادِيدِ أَنَّنَا وَنَحْنُ أَسْوَدَ الْحَرْبِ لَا نَعْرِفُ الْحَرْبَا (عندما اقتيد إلى خرشنة أسيرا) : إِنَّ زَرْتُ حَرْشَنَةَ أَسِيرًا فَلَكُمْ أَحَطُّتُ بِهَا مُعْبِرًا (وكتب إلى منصور غلامه) : مُعْرَمٌ مُؤَلَّمٌ جَرِيحٌ أَسِيرٌ إِنَّ قَلْبًا يُطِيقُ ذَا لَصْبُورٍ (في الشكوى) : هَلْ تَعْطِفَانِ عَلَيَّ الْعَالِي؟ لَا بِالْأَسِيرِ وَلَا الْقَتِيلِ
ب- المدخل الحكمي	هو ارتقاء المعنى نحو معاني كونية سامية تستمر لكل زمان ومكان من خلال اسقاطات لتجارب ذاتية .	(في وصف حاله) : قَدْ عَذَّبَ الْمَوْتَ بِأَفْوَاهِنَا وَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ الدَّلِيلِ " في أسر ابن أخته لمجموعة من (دلوك الروم) : مَا لِلْعَبِيدِ مِنَ الَّذِي يَقْضِي بِهِ اللَّهُ امْتِنَاعُ
ج- تداخل الأغراض	من خلال اجتماع أكثر من غرض شعري في مطلع القصيدة ، في تفاعل بينهما	" وفي إحدى مناظراته الرومية" : جمع بين الهجاء و الفخر. أَتَزَعُمُ يَا ضَخْمَ اللَّغَادِيدِ أَنَّنَا وَنَحْنُ أَسْوَدَ الْحَرْبِ لَا نَعْرِفُ الْحَرْبَا

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

المؤلف	الاستنتاجات	الشاهد الشعري
	وتمازج.	
البنية المعجمية		(وقال مفتخرًا) : جمعتُ سيوفَ الهِنْدِ من كلِّ بِلْدَةٍ و أعددتُ للهِجاءِ كُلَّ مُجَالِدٍ
أ-الأدوات الحربية (السيف) (الخيل) :	-غلبة المعجم اللفظي الحربي على أبيات القصيدة الحماسية .	- (وذكر (البيض) وقصد به السيف وهو من أشهر الأسلحة) فأظماً حتّى ترتوي البيضُ والقنأُ وأسْعَبُ حتّى يشبعُ الذئبُ والنسر (في وصف الخيل التي لا تقهر) : وجردٌ كأمثالِ السَّعالي سَلَاهِبٌ وَخَوْصٌ كأمثالِ القِسيِّ نَجَائِبُ (وفي كرمها وعزها وعميق سلاتها) :
	-مساهمة الأداة الحربية في إثراء المعاني الحماسية .	ولطالما قُدْتُ الجيادَ إلى الوغَى قَبَّ البطونِ طويلاً الأرسانِ كأنَّ الخيلَ تُعْرِفُ مَنْ عَلِيَّهَا ففِي بعضٍ على بعضٍ تُعَالِي - (وفي ذكره نصل اخترق جلده) :
(السهم) :		وقد عرَفْتُ وَقَعَ المساميرِ مُهَجَّتِي وَشَقَّقْتُ عن زرقِ النَّصولِ إِهَابِي (أهمية الرماح للفارس الأصيل) :
(الرماح) :		ألم يعلمِ الذَّلانُ أنَّ بني الوغَى كذلكَ سَلِيبٌ بالرماحِ وسَالِبُ (ذكر الرمح كدلالة لقوة الرمي وشدة البأس) :
		وقائِمُ سَيْفٍ فِيهِمْ اندَقَّ نَصْلُهُ وَ أعقابَ رُمحٍ فِيهِمْ حَطَّمُ الصِّدْرُ

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

المؤتلف	الاستنتاجات	الشاهد الشعري
ب - المعاني الحربية (الطعن - الضرب)	- قد تتعدى الصورة الحربية و آلتها إلى معاني تنتج عنها ، كعلاقة النتيجة و المسبب من الطعن و القتل و الضرب وغيرها .	وعندي صدق الضرب في كل معركٍ وليس عليّ إن نبون المضاربِ فطاردتُ حتى أهر الجري أشقري وضاربت حتى أوهن الضرب ساعدي فإن عشتُ فالطعن الذي تعرفونه وتلك القنا و البيض و الضمر الشقر
ج - الإقدام في الحرب	يبرز الشاعر و الفارس بإقدامه الحربي كنموذج المقاتل المتميز .	- " في رده على الحساد " : أري ملء عيني الردى فأخوضه إذ الموت قدامي و خلفي المعايبُ " مخاطب سيف الدولة " : وإني لجرار لكل كتيبةٍ مُعودةٍ أن لا يخل بها النصرُ وإني لنزال بكل مخوفةٍ كثيرٌ إلي نزالها النظرُ الشزرُ
د - إغناء المعجم الحربي (بالمعجم الديني) الدفاع عن	ارتباط المعاني الدينية بالاستهزاء و السخرية. ارتباط المعجم الحربي بالتوسع الإسلامي للدولة	(في إحدى مناظراته) : -أما من أعجب الأشياءِ علجٌ يعرفني الحلال من الحرام وتكفنه بطارقة تيوسُ تباري بالعثانين الصنخام " ومحذرا سيف الدولة من تحرك الروم ضده " : هذي الجيوشُ تجيشُ نحو بلادكمُ محفوفةً بالكفر و الصلبانِ

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

المؤلف	الاستنتاجات	الشاهد الشعري
الإسلام	الحمدانية وجهاد الروم.	
هـ - إغناء المعجم الحربي : بالمعنى الأخلاقي الراقي	رسم صوراً شاعرية امتزج فيها العفو المطلق مع الشجاعة الحربية ، وامتزاج الصور الحربية مع المروءة	(قال مفتخراً يخاطب سيف الدولة) : وَلَا أُصْبِحُ الْحَيَّ الْخَلُوفَ بَعَارَةَ وَلَا الْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي النَّذْرُ وقوله : - وَحَيَّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ حَتَّى مَلَكَتْهُ هَزِيمًا وَرَدْتَنِي الْبِرَاقِعُ وَ الْخُمْرُ
و- إغناء المعجم الحربي : (بمعجم تاريخي إسلامي)	- حضور الشخصيات الإسلامية وإيراد المواقع لزيادة التأكيد ، ووقوع الحجة لإثبات الشجاعة والإقدام.	" في خطابه لوالدته شحذ لأسماء شخصيات إسلامية " : وَلِلْعَارِ خَلَى رَبُّ غَسَانَ مُلْكُهُ وَفَارَقَ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ مُصْئِبِ وَلَمْ يَرْتَغِبْ فِي الْعَيْشِ عَيْسَى بْنِ مَصْعَبٍ وَلَا نَخَفَ خَوْفَ الْحَرْبِ قَلْبَ حَبِيبِ وقوله : أَمَّا لَكَ فِي ذَاتِ النَّطَاقِينَ أُسْوَةٌ بِمَكَّةَ وَالْحَرْبُ الْعَوَانُ تَحُولُ وَكُونِي كَمَا كَانَتْ بِأَحَدٍ صَفِيَّةٌ وَلَمْ يُشَفَّ مِنْهَا الْبَكَاءُ غَلِيلُ (وخاطب سيف الدولة) : -فَإِنْ مَتَّ بَعْدَ الْيَوْمِ عَابَكَ مَهْلِكِي مَعَابَ النَّزَارِيِّنَ مَهْلِكَ مَعْبَدِ وقوله :

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

المؤلف	الاستنتاجات	الشاهد الشعري
		<p>و المُسلمونَ بشاطِئِ اليرْمُوكِ لـ — ما أخرجوا عَطَفُوا على هَامَانَ</p> <p>وحُماةَ هاشِمٍ حينَ أخرجَ صَدْرُها جَرَّوا البلاءَ على بني مَروانَ</p> <p>وبَعَى على عبسٍ حَذِيفَةُ فَاشْتَفَتْ مِنْهُ صَوارِمُهُمْ وَمِنْ ذُبيانَ</p> <p>وسراةُ بكرٍ بعدَ ضيقٍ مَزَقُوا جَمعَ الأَعاجِمِ عَن أنو شِروانَ</p>
ز- إغناء المعجم الحربي: (معجم الأعلام)	- حضور الأعلام البيزنطية ، مما يوثق ثقافة الشاعر - إثبات الحجج والبراهين على شجاعته من خلال رصدها	<p>(تركزت في مناظرتيه الروميتين)</p> <p>فسل بَرْدِسا عَنّا أذاكَ وصِهرُهُ وسلَّ آلَ بَرْدِ الیسَ أعظمكم خطباً</p> <p>وسل قُرُقواساً و الشميشق صهرُهُ وسل سِبْطُهُ البَطريقَ أثبتكم قلباً</p> <p>وسل صيدكم آل الملاينِ إِننا نهبنا بيضِ الهِنْدِ عَزهم نهباً</p> <p>وسل آل بَرامٍ و آل بَلَنْطَسِ وسل آل مَنوَالِ الجحاحِجَةِ العُلْبِا</p> <p>وقوله :</p> <p>تأمَلني الدَّمسُتُ إِذْ رأني فأبصرَ صيغَةَ اللَّيْثِ الهَمَامِ</p>
- المعجم الحربي: و اتصاله (بالحيوان)	-لقد أسهم المعجم الحربي في تشكيل صورة جديدة تمازج فيها الحيوان مع الآلة لرسم صورة شرسة للحرب .	<p>يقول مفتخرا :</p> <p>وجردِ كَأَمثالِ السَّعالي سَلاهَبَ وخصُصُ كَأَمثالِ القِسيِّ نَجائبُ</p> <p>وقوله مخاطباً حمامة نائحة :</p> <p>أيضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةُ ويسكتُ مَحزُنٌ ويندبُ سالِ</p>

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

المؤلف	الاستنتاجات	الشاهد الشعري
	- كما ارتبطت دلالات الأسر والحرية بها أيضاً .	؟
المعجم الحربي: (واتصاله بالشخص) بالخصوص	اتصلت المعاني والألفاظ الحربية لرسم صور شعرية تشخيصية أو مادية إما لإبراز وتعظيم الشخصية أو لبيان الحالة من استعارات ذات علاقة بالحرب والمرأة ((أسير - قتل - سيف))	في إبرازه لشخص سيف الدولة ومدحجه وربط اسمه بالسيف والهدى أو السيف و الدين . - أسيفَ الهُدَى و قريعَ العَرَبِ عَلامَ الجَفَاءِ وَ فيمَ الغَضَبِ - تنكَّرَ سيفَ الدِّينِ لما عتبتُهُ وَعَرَّضَ بي تَحْتَ الكَلَامِ وَمَرَّعَا وفي رسم صورة لقتيل الهوى : فقلتُ كما شاءتْ و شاء لها الهوى قَتِيلُكَ قالتْ : أَيُّهُمُ فَهُمُ كَثُرُ؟



العبارة الشعرية بين الإيحاء والتوصيل :

غذت الصورة الفنية الاتجاه النقدي بالكثير من القضايا والإشكالات ، كان أبرزها قضيتي الإيحاء والتوصيل واتخاذهما مواضع لبيان الجودة والإخفاق في الحكم .

فالصورة الفنية هي صورة فنية أدبية شعرية ، يتجلى فيها الوضوح والخفاء ، حسب ما تلعبه عاطفة الشاعر حينها، فنجد أن الإيحاء والتوصيل في العبارة الشعرية رغم اجتماعهما في الصورة الشعرية ، فإنهما اختلفتا في تحديد من يعتلي الآخر .

فنجد أن عبد القاهر الجرجاني قد يذهب إلى الإهتمام بالمعاني على اللفظ الصريح المستهجن : " وجل محاسن الكلام إن لم نقل كلها تفرعت عنها وراجعة إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها وأقطاب تحيط بها من جهاتها." (١) .

فالصورة الإيحائية هي التي تعمق المعنى على اللفظ الصريح : " ومفهوم الصورة الشعرية لا يمكن أن يقوم إلا على أساس مكين من مفهوم متماسك للخيال الشعري نفسه ، فالصورة أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة، التي يمارس بها ومن خلالها فاعليته ونشاطه " (٢) .

وأما اللفظ وصوره الخيالية والتي وإن كانت مباشرة صريحة ، فلها مكانتها وأهميتها كذلك : " فالإدراك الحسي للظواهر الخارجية عنصر مطلوب في تكوين الصورة وتشكيلها ، إذ لاغنى عن الحواس في إدراك المرئيات والمسموعات والمذوقات والمشمومات والملموسات " (٣) .

وهناك من عدّها من فنون صياغة الكلام والذي لا غنى عنه : " وهو من الخيال اللفظي الذي يراد به تجميع العبارة وتزويقها ، ومنه المجاز والاستعارة ، التشبيه وغيرها من فنون صياغة الكلام " (٤) .

وعليه نجد أن سمة الوضوح والرمز ، هي سمة غالبية على الشعر العربي وإن اختلفت قيمتها ودرجتها لدى المتلقي .

(١) أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني النحوي – تحقيق محمود محمد شاكر - دار المدني الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ص ١٨ .

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. د. جابر عصفور المركز الثقافي الغربي – الطبعة الثالثة ١٩٩٢م . ص ٢٤ .

(٣) المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجاً – زين الدين المختاري منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٨ ص ٦٤ .

(٤) الخيال الشعري عند العرب أبي القاسم الشابي – دائرة المعارف الإسلامية مصر ص ٢٢٠

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فالشاعر هو من يحدد الصورة التي تخدم العاطفة والشعور لديه ، والتي تتبع البيئة المحيطة وأثرها عليه، فتجلي حواسه وتجربته بصورة صريحة مباشرة أو بصورة رمزية .

أ- العبارة الشعرية الإيحائية :

إن الرمز والإيحاء والإيماء ، ألفاظ متعددة للذات الشاعرة ؛ للخروج من المباشرة إلى عالم فني جديد يوظف فيها الشاعر تجربته الشعورية ، سواء أكانت حدثاً تاريخياً أو أسطورة أو رمزاً ذاتياً .

ونجد الصورة الإيحائية عند أبي فراس تجلت وبرزت في أغلب شعره فنجد فيها رفضاً صريحاً للواقع وخوفاً من السلطة العليا ، اعتمد عليها في إثارة المتلقي بصورة كثيفة المعنى بكلمات دقيقة سلسلة ، فاستخدم الألفاظ أحياناً ؛ لغرض ماتنقله الصورة من إيحاءات وظلال دون معناها الصريح .

١- الصورة الإيحائية الذاتية :

صور أبو فراس في رومياته الكثير من إيحاءيات الذات بكمايليتها ومثالياتها أو انكسارها و هوانها منها :

فَأَظْمَأُ حَتَّى تَرْتَوِي الْبَيْضُ وَالْقَنَا وَأَسْعَبُ حَتَّى يَشْبَعَ الذُّبُّ وَالتَّسْرُ
وَلَا أَصْبِحُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بَعَارَةَ وَلَا الْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي التُّذْرُ^(١)

هنا إيحاء لسيف الدول الذي شكك بأنه سيغدر به فيثبت أن الوفاء شيمته دوماً .

ويقول :

وَنَحْنُ أَنْهَاسٌ، لَا تَوَسُّطَ بَيْنَنَا لَنَا الصِّدْرُ، دُونَ الْعَالَمِينَ، أَوْ الْقَبْرُ
تَهْوُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلَهَا الْمَهْرُ^(٢)

استجابة لذاته المثالية الراقية يرفض أبو فراس الذل والهوان، فإما منية مشرفة أو نصر وعز وعلا .

وَأَسْرُ أَقَاسِيهِ وَليْلٌ نَجْومُهُ أرى كلَّ شيءٍ غيرهن، يزولُ

(١) الديوان ص ١٥٩ .

(٢) السابق ص ١٦١ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

تطولُّ بي الساعاتُ وهي قصيرةٌ وفي كلِّ دهرٍ لا يسرك طولُ^(١)

لقد غطى الزمن مساحة واسعة من شعره ، بكل موافقها من ليل طويل لا ينقضي وهموم نفسية جسدية تكالبت عليه ، بحرقه الماضي وألم الحاضر ، فتجلى الزمن بصورة العدو الذي يفري الجسم ويشيب الرأس .

وهأنا قد حلّى الزمان مفارقي وتوجّني بالشيب تاجاً مرصّعا^(٢)

إن العلاقة بين الزمان والمكان أجبرت الشاعر أن لا يعيش بمعزل عنهما ، في ظل الشعور بالألم والبعد والفرق وترقب الزمن واستشعار المكان ، تجلت صور مكانية دلت على بطولات غارقة في العز و الكرامة ، أو أماكن رامية للبعد والفرق .

أبكي الأحيّة بالشام وبيننا فُلل الدُروبِ وشاطئا جيحان^(٣)

ونجد المرأة الرمز عند أبي فراس قليلة جدا ، في ظل ظروف الأسر التي عاشها فتكون المرأة في شعره هي المرأة الغادرة والتي ضيقت الوعود والعهود فجعلته منكرا مجهولا :

معلتي بالوصل ، والموتُ دونهُ إذا ممتَّ ظمناً فإلا نزل

حفظتُ وضيعتُ المودّة بيننا وأحسنَ ، من بعضِ الوفاءِ لكِ ، العذرُ^(٤)

" فقد استوحى غزله من الموقف الذي كان يعاني منه أسره ، فقد عز عليه أن يصبح مقيدا وأحس بعزته وكبريائه ، وانعكس ذلك على غزله فيناجي طيف حبيبته ويعاتبها على أخلاقها وتقلبها " ^(٥) .

وتكوين الذات هنا رمزا للصورة الكبريائية التي لا تقبل الانحناء للمرأة ، في لفظة جميلة منه لتصوير الأنفة الحمدانية والتي تريد التوبة من الهوى .

فالمرأة هي الألم والعذاب والبعد ، وهو الهوان والذل ، كل هذا تواكب مع غرضه الشعوري الصادق ؛ ليكون لنا امرأه قناعية تحمل همومه وأوجاعه .

(١) الديوان ص ٢٣٢

(٢) السابق ص ١٨٤

(٣) السابق ص ٣٠٣

(٤) السابق ص ١٥٧

(٥) أبو فراس الحمداني حياته وشعره ص ٣١٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

٢- الصورة الإيجابية الدينية :

رسم أبو فراس الحمداني وهو أسير، صورا دينية رامزة للصبر والجلد الذي يحمل على تربية النفس الانسانية، ويساعدها على تقبل الواقع المصيري مهما كان حاله وسوءه ، فاستحضر الشاعر الموت كثيرا حتى لا نجد قصيدة أو مقطوعة رومية إلا ويغلب عليها دلالات الموت :

هو الموتُ فاختَر ما علَّكَ ذِكْرُهُ فلم يَمُتِ الإنسانُ ما حيي الذِكرُ
ولا خَيْرَ في دفعِ الردى بمذلةٍ كما رَدَّها يوماً بسوءته عمرو^(١)

وقوله :

وأبْطأ عَنِّي والمنايا سريعةً وللموتِ ظفرٌ قد أطلَّ وناب^(٢)

إن الموت هو الذي يبعث على التفكير والحذر والترقب ، والنفس الانسانية للشاعر قد استقبلت الموت بشكل متناقض ، فتارة نجد مترقبا خائفا وجللاً منه ، وتارة يعيشه يقينا لا محالة منه ولا مهربا ، وكل هذا وذاك يعود بنا إلى شعور أبي فراس بالنسيان الاجتماعي ، والذي صور من أطراف بيئته : من أصحاب وأهل وأمير ومحبوبة تدفعه لترقب الموت وحساب قدومه وخطفه منهم .

وقد ذكر الشاعر صورة هجائية للمسيحيين حين يقول :

وتَكُنْفُهُ بطَارِقَةٌ تُيُوسُ تباري بالعثانين الضَّخام^(٣)

"فالصورة هنا تعني إعادة الشكل ، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر والجمع بين العناصر المتضادة والمتباعدة في وحدة . " ^(٤) ، فالصورة الرمزية بمختلف إيجاءاتها وأغراضها هي صور ذاتية ومادية ومادية تقدمت في أسلوب رمزي .

(١) الديوان ص ١٦٠ .

(٢) السابق ص ٢٦ .

(٣) السابق ص، ٢٧٦ .

(٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ص ٣٠٩ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

٣- الصورة الإيجابية المادية :

تتمثل الصورة المادية الحسية في شخصيات انسانية وطبيعية ، ونجدها تتركز بالدرجة الأولى في وصفه لسيف الدولة شاكيا أو ناصحا أو باكيا أو معاتبا ، واختلف فيها صوت المشاعر فنراها تارة متأججة ، وتارة ضعيفة منكسرة.

أَسَيْفَ الْهُدَى ، وَقَرِيحَ الْعَرَبِ عَلامَ الْجَفَاءِ وَفَيْمَ الْغَضَبِ
وكنت الحبيب وكنت القريب ليالي أَدْعوكَ مِنْ عَن كَثَبِ^(١)
ويقول :

دَعْوَتُكَ لِلحَفْنِ الْقَرِيحِ الْمُسَهَّدِ لَدَيَّ ، وَلَلتَّوْمِ الْقَلِيلِ الْمُشَرَّدِ^(٢)
" فواضح أن الشاعر يباشر قصيدته بدعوة ابن عمه لبذل الفداء ، وهذه المباشرة لها دلالاتها النفسية وانعكاساتها الوجدانية فهو ليس في حالة مريحة أو مناخ نفسي مطمئن " .^(٣)

وتشمل الصور المادية والحسية وصفه للحمامة النائحة ، بكل استجلائاتها النفسية المغتربة .

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقَرِيحِ حَمَامَةٍ أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي
مَعَاذَ الْهَوَى مَا دُقْتُ طَارِقَةَ النَّوَى وَلَا حَطَّرتُ فِيكَ الْهَمُومُ بِيَالِي^(٤)

فالشاعر يناجي الحمامة الباكية مستحضرا همومه وهمومها ؛ يتقاسمون البعد وتقلبات الزمن : " وجاء تعبير أبي فراس تعبيرا متميزا عن طريق ما يحدثه في هذه الأفكار من صياغة خاصة تتجاوز مرتبة الإفهام إلى مرتبة التأثير في المتلقي فيحاول المزج بين الصياغة والأثر النفسي ، فتتحد الانفعالات لتخرج من الصدفة دررا تثير الانتباه واليقظة." ^(٥)

(١) الديوان ص ٢٨ .

(٢) السابق ص ٨٢ .

(٣) أبو فراس الحمداني : خليل شرف الدين ص ١٢٦ .

(٤) الديوان ص ٢٣٨ .

(٥) روميات أبي فراس الحمداني - دراسة جمالية - رسالة ماجستير - لفضيلة بن عيسى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م

جامعة تلمسان - الجزائر - ص ١٥٦ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ب- العبارة الشعرية المباشرة : ((التوصليل)) :

لا تقل الصورة الشعرية المباشرة عن الإيحائية، فكما يرتقي الشاعر بواسطة الخيال الموحى نحوه ينتقل للتعبير المباشر ، فيعبر عن عواطفه بدلالات صورية ليساعد على إظهار القصيدة كنية تفسر بعضها بعضا.

" ففقدرة الشاعر على وصف الأشياء ، وبراعته في نقلها للمتلقي كما لو كان يعانيتها ، أو قدرته على تجسيم المعنوي أو بث الحياة في الجوامد عن طريق التشبيه ، أو الاستعارة ، أو التمثيل ، لكنهم لم يروا أن ذلك كله يمكن أن يميز الشاعر عن غيره " ^(١) ، فالصورة والإيحاء هما طرفان مكملان لبعضهما بعضاً، ولا يفترض أن نجعل لإحدهما أهمية على الأخرى ؛ ذلك أن الصورة تقوم بقصد معايشة التجربة ، لرسم واقع قريب من الأذهان فيكون الشاعر قادراً على توصيل شعوره وتجربته إلى المتلقي .

فالتوصليل : " أن يكون الأسلوب حلاً وسطياً بين الحدث الفردي والشعور الجماعي، فهو تجربة الاعتدال بين الأنا والجماعة على السواء " ^(٢) .

والصورة هي التي توحى بإحساس الشاعر العميق ، وإن كان الإيحاء سابقاً لا يتم إلا عن طريق فكري ، فالصورة لا تمثل المباشرة التقريرية بل هي الوسط المعتدل بين الإيحاء والتقريرية بل وقد تكون سبيلنا لفهم الدلائل الإيحائية أحياناً .

فالصورة كذلك : " تتولى نقل التجربة أو المشهد ، وتقوم بترجمة المعاني والأفكار فلا تعتمد فقط على الإيحاء وإثارة الخيال ، بل إنها تنتظم كعمل أدبي رائع ينشأ عنه تيار متدفق من الصور الذهنية ، ومن الفكر ومن العواطف ، كما لا يلبث أن يغمره إحساس يملك عليه مشاعره ، فيحس بالتجاوب مع هذه القوة الباهرة " ^(٣)

فالصورة من تشبيه واستعارة ، تساهم كثيراً في التيار الفني ؛ باعتبار أنهما أهم أركان العملية التصويرية الفنية

أولاً : التشبيه :-

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ص ٢٤٩ .

(٢) البلاغة والأسلوبية د. محمد عبد المطلب - دار نوبار للطباعة - القاهرة الطبعة الأولى - ١٩٩٤م ص ٢٣٣ .

(٣) الصورة الأدبية في القرآن د. صلاح الدين عبد التواب - الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٥م ص ١٠ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فالتشبيه : " صفة الشيء بما يقاربه و يشاكله ، ومن جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه . " (١)

وتكمن أهمية التشبيه للمعاني بأنه : " يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها ، مدحا كانت أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك . " (٢)

وفي روميات أبي فراس يغلب التشبيه بشكل ملحوظ على بعض المعاني الشعورية ، كالمعاني الحربية أو البيئة المحيطة والطبيعة أحيانا ، وإن كانت لا تضاهي في غير الروميات ؛ ذلك أن التجربة المريرة التي عايشها الشاعر من أسر وألم وفراق لم تدع مجالا واسعا للتوظيف الفني فبرزت الذات مثيرا أصليا للروميات إذ يبدو هو الموضوع المباشر للصورة .

فوظف أبو فراس التشبيه ؛ لغرض السخرية والتحقير في عدة مواضع يقول :

أَتَزَعُمُ، يَا ضَخْمَ اللَّعَادِيدِ، أَتُنَّا
وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْحَرْبِ لَا نَعْرِفُ الْحَرْبَا
فويلك ؛ مَنْ لِلْحَرْبِ إِنْ لَمْ نَكُنْ لَهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَمْسِي وَيُضْحِي لَهَا تَرْبَا
وَمَنْ ذَا يَلْفُ الْجَيْشَ مِنْ جَنَابَاتِهِ
وَمَنْ ذَا يَقُودُ الشَّمَّ أَوْ يَصْدُمُ الْقَلْبَا
تَرَكْنَاكَ فِي بَطْنِ الْفَلَاةِ تَجُوبُهَا
كَمَا انْتَفَقَ الْيَرْبُوعُ يَلْتَشِمُ التَّرْبَا
وَجَدْتُ أَبَاكَ الْعِلْجَ لَمَّا خَبَرْتُهُ
أَقْلَكُمُ خَيْرًا، وَأَكْثَرَكُمْ عَجَبَا (٣)

برزت قوة الشاعر كحافظ أصلي في الصورة الشعرية ، من خلال التقاط أوجه الشبه فبرز المشبه به (أسود الحرب) لبيان تلك القوة كما برزت القوة من خلال رصد الحقائق المكانية والزمانية خلال الحرب ، والتي تميزت بالشمول والإحاطة لوجهات العدو ومكانه في : (من ذا الذي يمسي ويضحى لها تربا) وقوله : (ومن ذا يلف الجيش من جناباته) .

وفي المقابل ظهرت الصورة صريحة جلية ، حين يشبه الروم بـ (اليربوع) وعندما يدعوه (بالعلج) وكما وجدنا تلك التشبيهات الساخرة صريحة وجدناها في مناظرته الأخرى والتي لم تخف جانب التهكم والسخرية كذلك يقول :

(١) العمدة ص ١٧٤ .

(٢) بغية الإيضاح ج ٣ ص ٧ .

(٣) الديوان ص ٤٢ ، ٤٣ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أما من أعجب الأشياءِ عِلْجٌ يُعْرِفُنِي الحَلالَ مِنَ الحَرَامِ
وَتَكُنْفُهُ بِطَارِقَةٍ تُيُوسُ تَبَارِي بِالْعَثانِينَ الضَّخَامِ
لَهُمْ خَلَقُ الحَمِيرِ فَلَسْتَ تَلْقَى فَتَى مِنْهُمْ يَسِيرَ بِلَا حِرَامِ^(١)

الشاعر يشبه الروم بـ (علج - تيوس - الحمير) فقد اتكأ أبو فراس كثيرا على تشبيه الروم بصفات حادة ، وبروز الحيوان كمادة أساسية لها ؛ كظاهرة أسلوبية لافتة في روميته وذلك للتأكيد على مدى السخرية ودرجة قوتها في نفس الشاعر.

كما وفي ذات المناظرة نجد المفارقات في وصف الشاعر ذاته وقوته يقول :

تَأْمَلْنِي الدَّمْسُوتَ إِذْ رَأَيْتَنِي فَأُبْصِرُ صِيعَةَ اللَّيْثِ الهَمَامِ^(٢)

فاستحضار الأسد (الليث) هنا كمشبه به يبرز كثيرا القوة والبسالة لدى الشاعر من خلال المقارنات الرومية والحمدانية في المناظرات .

ومن أبرز الصور القائمة على التشبيه في مجال الفخر والمدح ، هي صورة الأسد والتي تشبه بها الشاعر كثيرا وقومه مادحا ومفاخرًا يقول :

ألم تفنهم قتلاً وأسراً سُيُوفُنَا وَأَسَدَ الشَّرِيِّ المَلأى وَإِنْ حَمَدتْ رُعبَا
بأقلامنا أُجْحِرْتِ أُمَّ بَسُيُوفُنَا وَأَسَدَ الشَّرِيِّ قُدْنَا إِلَيْكَ أُمَّ الكُتْبَا^(٣)

فالمشبه به (أسد الشرى) في كلا البيتين يصور قوة وشجاعة الجيوش الحمدانية في حربها ضد الروم .
ويتردد ذكر الأسد كذلك في الروميات ، من خلال المفارقات التي يستجليها الشاعر في وصف قومه ووصف الروم على حد سواء فاجتمعت صورة الأسد والكلاب أكثر من مرة :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّنَا بَمَنَازِلِ تَحْكُمُ فِي آسَادِهِنَّ كِلَابُ^(٤)

(١) الديوان ص ٢٧٦ .

(٢) السابق ص ٢٧٥ .

(٣) السابق ص ٤٣ .

(٤) السابق ص ٢٥ .

وقوله:

لَقَدْ جَمَعَتْنَا الْحَرْبُ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ فَكُنَّا بِهَا أُسْدًا وَكُنْتَ بِهَا كَلْبًا^(١)

ومن الصور نجد شيوع أدوات الحرب ، ومن أبرزها : (السيف - القسي - السهام) ، وقد وظفها الشاعر توظيفاً بديعاً حينما أراد بها القوة والسرعة والهيبة :

وَجَرْدٍ كَأَمْثَالِ السَّعَالِي سَلَاهِبُ وَخَوْصٍ كَأَمْثَالِ الْقَسِيِّ نَجَائِبُ^(٢)

لقد شبه الخيول بالسعالي لإضفاء صفة الهيبة والخوف كما شبه الخيول الغائرة العينين بالقسي لدقتها

وقوله:

وَإِنْ حَارَبُوا كُنْتُ الْمَجَنِّ أَمَامَهُمْ وَإِنْ ضَارَبُوا كُنْتُ الْمَهْنَدَ وَالْيَدَا^(٣)

لقد شبه الشاعر نفسه (بالجن) فهو كالدرع الذي يجتمي به قومه ، وهو المهند الذي يضربون به الأعداء ، وكأنه يعد نفسه كآلة حرب بين يدي قومه .

وفي موضوع الحرب نجد بروز اللون كصورة بصرية ، والذي ارتبط بآلات الحرب يقول :

وَقَدْ عَرَفْتُ وَقَعَ الْمَسَامِيرُ مُهَجَّتِي وَشَقَّقَ عَنْ زُرْقِ النَّصُولِ إِهَابِي^(٤)

نجد أن النصل قد اتسم بالزرقة ، وغالباً ما يستخدم هذا اللون ؛ لأن له وقعا مميزا على الصورة الحربية فيسمها بالقوة والشدة .

وقوله :

أَيْنَ السَّيُوفِ الَّتِي تَحْمِيكَ أَقْطَعُهَا أَيْنَ السَّوَابِقِ أَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ^(١)

(١) الديوان ص ٤٢

(٢) السابق ص ٣٥

(٣) السابق ص ٩٠

(٤) السابق ص ٣٣

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

فقد كنى عن السيوف بـ (البيض) لتحديد لونها وإعطائها وصفاً خاصاً يميزها به عن غيرها خصوصاً في ظل تعدد السيوف ومواطنها .

وقوله لإبراز قوة الأعداء وشدة نظراتهم ، وقساوتها حين وصف أعداءهم بانهم زرق العيون :

ولا كُنت ألقى الألفَ زُرْقاً عُيُونُهُ بسبعينَ فيهمُ كلُّ أشامٍ أنكدٍ^(٢)

وفي الصورة السمعية نجد تصويراً للكلام ، تجلت به معاني اللامبالاة والتحقير عند وصفه الذباب والذي لا نكاد نشعر به :

وربّ كلامٍ مرّفوقٍ مسامعي كما طنّ في لوح الهجيرِ ذُبابٌ^(٣)

وتصوير حسي آخر عندما يصور معاني الذل والاحتقار للعدو ، في وصفه بالعناكب حينما تتقلب في التراب للتخفي رغم انه لا يجديها نفعا ذلك الاختباء فهي ظاهرة للعيان كذلك الروم بقوله :

تردّي رداءَ الذلِّ لما لقيته كما تردّي بالغبارِ العناكبُ^(٤)

ومن هنا نجد أن تشبيهات أبي فراس استمدت من واقع الشاعر ومن الطبيعة حوله ، كما كان التراث مصدراً أساسياً لها ، فجاءت تشبيهاته مادية وحسية ، أضاف إليها تجاربه وخبراته ، والتي انعكست بشكل ملحوظ على صورته ، من معاني التحقير للعدو أو الفخر أو الحرب .

ثانياً: الاستعارة :-

تعتمد الإستعارة على التشبيه في بنائها، كما تتميز بالإيجاز فالإستعارة : "هي ما كانت علاقة تشبيه معناه بما وضع له ، وقد تفيد بالحقيقة ، لتحقق معناها حساً أو عقلاً " .^(٥)

كما أنها تعتبر " تعبيراً عن فكرة معقدة ، لا بالتحليل والشرح ولا بالتعبير المجرد ، ولكن بالإدراك المفاجئ لعلاقة موضوعية تترجم إلى مسار محسوس " .^(٦)

(١) السابق ص ٢٠٥ .

(٢) الديوان ص ٨٥ .

(٣) السابق ص ٢٥ .

(٤) السابق ص ٣٦ .

(٥) عيار الشعر ج ٣ ص ٧

(٦) الصورة وا لبناء الشعري ص ١٥٤ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فالاستعارة لها دور كبير في قضية إيصال المعنى للمتلقي بطريقة واسعة ؛ لأن التوسع في المعنى هو من الإيضاح والمباشرة له وابن رشيق يرى الاستعارة : "إنما هي من اتساعهم في الكلام" (١).

والاستعارة في الروميات تأتي منسجمة مع سجنه وأسرته ومعاناته ، التي شكلت تجارب جديدة للشاعر ، وقد كانت الاستعارة تتميز بالعمق التصويري لعمق التجربة أكثر من التشبيه الذي تميز بالبساطة ، ومن أهم عناصر التصوير في الاستعارة هو التشخيص ، وقد اعتمد أبو فراس في تشكيل موقفه ورؤيته التي تصور الصراع الداخلي على التشخيص ، فيلغي الحدود بين طرفي الصورة ، فاتسمت صورته الاستعارية بأنها قائمة كئيبة ، تنشد الحياة والروح ، وأكثر ما نجدتها في شعر الشكوى والفخر فكانت مجالا خصبا لإسقاطاته الذاتية ، فكان الليل ملجأ دائماً للشاعر يناجيه ويسأله يقول :

يا ليلُ ما أغفَلَ عَمَّايَ بي حبائِي فيكَ وأحَبَّايَ
يا ليلُ نامَ الناسُ عن مَوجِعِ نَءِ على مَضْجِعِهِ نَالي (٢)

لقد أضفى الشاعر ملامح الحياة الإنسانية على الليل ، فلو تأملنا أداة النداء (يا) ارتبطت لنداء العاقل غالباً، فالليل أصبح مسامرا لأبي فراس ، فاتحدت بينهما الأحاسيس وكأن الشاعر يرتبط داخليا بالليل كإنسان حي ناطق وينتظر أن يجيبه ، كما يتوجه أبو فراس كذلك لمظاهر الطبيعية لمناجاة الحمامة أيضا ، كمعادل موضوعي للحرية البعيدة ، ليتشارك، الهموم والآلام يقول :

أقولُ وَقَد نَاحَتُ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي
أَيَا جَارَتَا مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا تَعَالِي أَقاسِمِكَ الهمومُ تَعَالِي
أيضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةً ويسكتَ محزونٌ ويندب سَالِ
لقد كُنْتَ أُولَى مِنِكَ بالدمعِ مُقلَّةً وَلَكِنَّ دَمْعِي فِي الحِوَادِثِ غَالِ (٣)

يستنكر الشاعر على الحمامة حزنها ونوحها ، فجعل الحمامة حاضرة لهمومه يقاسمها ويناجيها من خلال صفات تجسدية شخصية " ناحت - أيا - تعالي - أضحك - يندب - دمع " ، كل الدلالات السابقة

(١) العمدة ص ١٦٥ .

(٢) الديوان ص ٥٧ .

(٣) السابق ص ٢٣٨ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

تجسد لنا تلك الحمامة وتجعلها معادلا لمعنى الحرية من خلال مناجاتها ، وكأن الشاعر يستنطق الطبيعة ؛ ليسكن وحدته ويهدأ قلقه .

حتى ينتقل الشاعر إلى الزمن بوصفه العامل الأول لخلجات الذات لدى الشاعر حينما يستنطق العيد فلطالما كان الزمن كثيبا بطيئا وكان العيد صورة لتجدده وعدم انقضائه يقول :

يا عيدُ ما عُدتِ بِمَحَبوبٍ عَلَي مُعْتَى الْقَلْبِ مَكْرُوبِ
قَدِ طَلَعَ الْعِيدُ عَلَي أَهْلِهِ بِوَجْهِهِ لَا حُسْنَ وَلَا طِيْبِ
مَالِي وَلِلدَّهْرِ وَأَحْدَاثِهِ لَقَدْ رَمَانِي بِالْأَعَاجِبِ^(١)

لقد دار العيد كحدث كئيب ليس كعادته مما يعمق العلاقة المتوترة بين الزمن والشاعر (يا- عيد - محبوب - بوجه - لا حسن - لا طيب " .

لقد احتجب العيد كفرحة وسرور وبزر لنا بوجه آخر يلامس حال الشاعر من الكآبة والقنامة وانتفاء الجمال ، فبث الحياة في الجمادات يقرب بلا شك الصور المعنوية ويوضح ملامحها ، ويبرز لنا الزمن وتجسيده في الدهر حين يوظفها للدلالة على معنى الفراق والبعد :

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَرَّتْ بِفِرَاقِنَا يَدُ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ مَنْ هُوَ حَارِثُ^(٢)

لقد جعل للدهر يدا تحكم البعد والفراق ، في صورة تجسيدية للدهر وكما ألبس الدهر بصفات انسانية فخلع عليها يدا لها القدرة على البعد ، فرسم لنا المنايا كصورة إنسان يرمي بقوله :

وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الدَّهْرَ فِي عَدَدِ الْعِدَى وَأَنَّ الْمَنَايَا السُّودَ يَرْمِينِ عَنِ يَدِ^(٣)

وقوله :

وَأَبْطَأَ عَنِّي وَالْمَنَايَا سَرِيْعَةً وَلِلْمَوْتِ ظُفْرٌ قَدْ أَطْلَّ وَنَابُ^(٤)

فيجعل أبا فراس الموت وحشا مفترسا من خلال " ظفر - ناب " .

(١) الديوان ص ٣٤ .

(٢) السابق ص ٦٢ .

(٣) السابق ص ٨٦ .

(٤) السابق ص ٢٦ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ومن الشخصيات في روميته تشخيص الدمع ، فيجعلها شاهدة على حاله وشوقه إلى سيف الدولة :

تُقِرُّ دُمُوعِي بِشُوقِي إِلَيْكَ وَيَشْهَدُ قَلْبِي بِطُؤْلِ الْكَرْبِ^(١)

فالدموع ها هنا تتحالف مع الشاعر في وصف ألم الفراق والبعد الذي يقاسيه الشاعر .

على ضوء ما سبق نرى تظافر الصور الالغائية والمباشرة ؛ لخلق إبداع في جميل تارة بالايحاء والرمز الذي تسلل خفية إلى النفوس وتارة بعمق ووضوح ؛ كل ذلك لاستجلاء نوازع أبي فراس وخلجاته محاطة بالألم والدموع والبعد والفراق .

(١) الديوان ص ٢٢ .

الفصل الثالث

تشكيل الروميات

المبحث الرابع

بناء القصيدة: (الروابط اللغوية، الروابط المنطقية،

الروابط الشعورية، الروابط الموسيقية)

بناء القصيدة: (الروابط اللغوية، الروابط المنطقية، الروابط الشعورية، الموسيقى):

لغة دوما وظيفتان: وظيفة داخل النص، وهي الفكرة وحديث الذات ووظيفة خارجية تواصلية، تسهم في تمرير الفكرة، وهي التي تحدد النص والروابط داخل النص ومرآة ذلك الفكر في ذهن المتلقي وهو الهدف الأخير.

فالرابط في اللغة يدور معناها حول "الشد" والتقيد والحبس: "فربط يربطه أي: شده"^(١)

لذا فهم من الروابط: شدة الربط فقط، والربط هو من: "وسائل أمن اللبس في الجملة العربية، وهو فيها متعدد الأدوات والأساليب"^(٢) وهو في المعجم الفلسفي: "ما يدل على العلاقة بين المحمول والموضوع، ويربط أحدهما بالآخر في الإثبات والنفي"^(٣)

إن العربية لها نظامها القياسي، فلا نعجب من التوافقات بين الجمل والتراكيب، فكثرة الروابط وتعدد أشكالها وأنواعها، وترددها في كثير من التراكيب، يدل على أهمية الروابط في فهم العلاقات القائمة بين المفردات والجمل المختلفة، وتكمن أهميتها البالغة، في أنها تزن قدرة الجمل، على إيصال الفكرة ضمن النص.

ف نجد الكثير من النظريات والتي قامت على فكرة الربط بين الجمل والتراكيب، فتحدث البلاغيون عن قضايا الربط وأفاضوا في دراسة تتابع الجملتين ومنها ما جاء في أبواب الوصل والفصل ولعل عبدالقاهر الجرجاني من الذين تناولوا قضية الربط من القدماء حينما أكد أهمية اللفظ والمعنى معا دون اعتلاء أحدهما الآخر فالمعنى هو من يقود النص ثم تأتي الألفاظ مترتبة عليه يقول: "المعاني إنما تتبين بالألفاظ، وكان لا سبيل للمرتب لها- الجامع شملها، إلى أن يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكره، إلا بترتيب الألفاظ في نطقه"^(٤). كما أبرز أهمية الروابط التي تتألف منها المفردات والجمل: من خلال أهمية النظم والذي يحكم على النص بفصاحته من خلالها: "وهو أن يكون تلاؤم الحروف وجها من وجوه الفضيلة وداخلا في عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام على الجملة"^(٥).

(١) لسان العرب، القاموس المحيط مادة "ربط".

(٢) لغة الشعر - دراسة في الضرورة الشعرية د.محمد حماسة عبداللطيف - دار الشروق الطبعة الأولى ١٤١٦هـ -

١٩٩٦م ص ٢٩٨

(٣) المعجم الفلسفي- مجمع اللغة العربية- القاهرة- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ص ٩٠

(٤) دلائل الإعجاز ص ٦٤

(٥) السابق ص ٥٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

مما سبق نستنتج أهمية الروابط في اللغة، كحافز للمتلقي يعين على فهمه النص، وإدراك العلاقات بين التراكيب، وقد اتخذ أبو فراس الحمداني في رومياته منهجا مغايرا عما انتهج في غيرها فأخذت قصائده بناء لغويا وداليا وشعوريا موحدا، وإن تعددت وجهات القصائد فنجد أن غرض الهجاء والمدح والغزل والرثاء كان له مصب وحيد، وهو العتاب فكانت الروميات ترجمة ذاتية للشاعر، جند لها جميع طاقاته الشعورية: "وقد كان نمطا جديدا في توجيه الشعر ذي الطابع الذاتي والوجداني، على غير ما كنا نراه عند شعراء الخلفاء والقصور، ولو لم يكن إلا الروميات لكفاه ذلك"^(١)، وقد قال عنه الثعالبي: "بديء الشعر بملك وحتم بملك"^(٢). فجميع دلالات الروابط في الروميات، على مختلف أشكالها، تسعى إلى إيصال الحسرة وألم البعد والفراق وطلب الفداء فعمد إلى تنوع الأساليب حسب الحالة الشعورية التي تحكمه.

أولاً: الروابط اللغوية:-

يعد الشعر ظاهرة لغوية نحوية في وجوده، وهو فن أداته الكلمة فإذا كان الكلام يمثل تجربة، فاللغة تجل له وللعواطف الشاعرية وأحاسيسها فيعبر عنها تعبيرا جماليا يعبر عن الوعي، ببنية لغوية معرفية وجمالية.

وقد اتخذت الروابط اللغوية في شعر أبي فراس الحمداني، عدة صيغ ودلالات.

ومن أبرزها:

أ- الزيادة في الكلمة:

مما نلاحظه في الجملة الشعرية عند أبي فراس ميوله إلى الزيادة في بنية الكلمة، فنلاحظ استعماله للألفاظ الزائدة على اعتبار أن الزيادة في المبنى تدل على العمق في المعنى يقول:

تَعَايَيْتُ عَنْ قَوْمِي فَظَنَنْتُوا غَبَاوِي بِمَفْرِقِ أَغْبَانَا حَصَى وَثُرَابُ
سَتَذَكُرُ أَيَّامِي تُمَيِّرُ وَعَامِرُ وَكَعْبُ عَلَى عَلَاتِهَا وَكَابِلَابُ^(٣)

فإن تَفْتَدُونِي تَفْتَدُوا شَرَفَ الْعُلَا وَأَسْرَعَ عَوَادٍ إِلَيْهَا مَعْوَدُ

(١) الأدب في بلاد الشام ص ٢٨٩

(٢) بيتيمة الدهر ٨٨/١

(٣) الديوان ص ٢٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَإِنْ تَفْتَدُونِي تَفْتَدُوا لِعُلَاكُمُ فَتَى غَيْرَ مَرْدُودِ اللِّسَانِ أَوْ الْيَدِ^(١)

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدَّهُمْ وَفِي اللَّيْلِ الظُّلْمَاءِ يُفَقِّدُ الْبَدْرُ^(٢)

بِمَنْ يُسْتَدْفَعُ الْقَدْرُ الْمُوفَى بِمَنْ يُسْتَفْتَحُ الْأَمْرَ الْعَسِيرُ^(٣)

وَاسْتَوْحِشْتُ بِفِرَاقِهِ يَوْمَ الْوَعَى سِرْبُ الْخَيُْولِ

وَتَعَطَّتْ سُلَّتْ سُمْرَ الرِّمَالِ حِ وَأَغْمَدَتْ بِيضُ النَّصُولِ^(٤)

فالألفاظ "تغابيت- ستذكر- تفتدوني- تفتدوا- سيدكرني- يستدفع- يستفتح- استوحشت- تعطلت" كلها ألفاظ فريدة، عني الشاعر بعنصر الزيادة لما تحمله من معان عميقة، ودلالات تصويرية لها أثرها في النفس.

فالزيادة في البنية تعد وسيلة تعبيرية ذات قيمة بيانية، فزيادة الألفاظ إنما هي زيادة في المعاني.

ب- المبالغة:

مما يقوم عليه الجمال اللغوي هو صيغة المبالغة، التي تكسب الإيحاء القوي للمعاني المطروحة.

وهي من الصيغ التي تستعمل بكثرة في "الدلالة على معاني التكثير"^(٥) وفي الروميات لا تخلو من معاني معاني التحسر والأمل والتجلد مع طول الأسر وإن جاءت على عدة أوزان وهيئات، "للدلالة على اتصاف الذات بالحدث"^(٦) ومنها:

(١) الديوان ص ٨٤

(٢) السابق ص ١٦١

(٣) السابق ص ١٦٣

(٤) السابق ص ٢٣٥

(٥) سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان تأليف جرجي شاهين- دار الريحاني- الطبعة الرابعة ص ٥٠

(٦) مختصر الصرف د. عبدالهادي الفضلي- دار القلم- بيروت. لبنان ص ٥٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فعول: لقد حملت هذه الصيغة الكثير من دلالات التصير والجلد في تأخير الفداء:

صَبُورٌ وَلَوْ لَمْ تَبْقَ مِنِّي بَقِيَّةٌ قَؤُولٌ وَلَوْ أَنَّ السَّيْفَ جَوَابُ
وَقُورٌ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنوُشُنِي وَلِلْمَوْتِ حَوَالِي جِيئَةٌ وَذَهَابٌ^(١)
فالصيغ (صبور- قؤول- وقور) قد انتقاها الشاعر لثبوت عزته رغم انكساره وألمه، وتثبيت وجوده رغم بعده وأسرره.

وقد يوظف الشاعر ذات الصيغة السابقة "وقور" لتدل على معنى الرزانة :

وَقُورٌ وَرِيعَانُ الصِّبَا يَسْتَفْرِهُمَا فَتَأْرَنُ أَحْيَاناً كَمَا أَرِنَ الْمُهْرُ^(٢)
كما يقول أيضاً:

وَأَنْتَ الْكَرِيمُ وَأَنْتَ الْحَلِيمُ وَأَنْتَ الْعَطُوفُ وَأَنْتَ الْحَدِيبُ^(٣)
استخدم (العطوف) لالتماس الفداء، وكأنه يشكو بالمقابل قلة حيلته وضعفه فخلاصه مناط بسيف الدولة لإنهاء معاناته بالأسر.

ويقول:

وَمِنْ شَرَفِي أَنْ لَا يَزَالَ يَعْيِبُنِي حَسُودٌ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ عَائِبٌ^(٤)

لقد بلغ الحسد بأعدائه كل مبلغ، فكانت "حسود" ذات دلالة متناهية عن شدة فعل الحسد .

ومما ورد على وزن (فعول) وهي كثيرة ما جاء به استعطافا لسيف الدولة:

وَلَمَّا حَنَّتْ إِلَى ذُرَا هُ لَقَدْ حَنَّتْ إِلَى وَصُولِ

(١) الديوان ص ٢٤، ٢٥

(٢) السابق ص ١٥٨

(٣) السابق ص ٢٨

(٤) السابق ص ٣٦

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لا بِالْغَضُّوبِ وَلَا الْكَذُوبِ بِ وَلَا الْقَطُوبِ وَلَا الْمَلُولِ^(١)

نرى وفرة في صيغة (فعول) وهي: "وصول- الغضوب- الكذوب- القطوب- الملول ، كانت صيغ المبالغة السابقة في إثراء المدح الموجه لسيف الدولة، وإبراز معاني الوصل والوفاء، والذي يتمنى أن تشمله حتى وهو بأسره.

فَعَال:

ترددت كذلك صيغة (فَعَال) في الروميات في بعض الأبيات ، التي دلت على التحقير تارة والفخر تارة أخرى، وبرزت على وجه الخصوص في كثير من الدلالات والمعاني الحربية، التي أوضحت القوة والعزة والشجاعة.

وفي دلالة التحقير يقول:

وَمَا كُلُّ فَعَالٍ يُجَازِي بِفِعْلِهِ وَلَا كُلُّ قَوَالٍ لَدَيَّ يُجَابُ^(٢)

(فَعَال- قَوَال) لم تكن صيغ المبالغة السابقة للمديح بل للتحقير والتقليل من شأن كل حاسد، قدم أفعال النميمة والحسد والكذب للنيل منه.؛ لنتبين أن صيغ المبالغة قد تكون للإكثار، وإن كان لمعنى ودلالة سيئة.

كما استعمل ذات الصيغة للمعاني الحربية وإبراز الفخر والعز بالنفس والشجاعة:

وإِنِّي لَجَرَارٌ لِكُلِّ كَتِييَةٍ مُعُودَةٍ أَنْ لَا يُخَلَّ بِهَا النَّصْرُ

وإِنِّي لَنَزَالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ كَثِيرٌ إِلَى نَزَالِهَا النَّظْرُ الشُّزْرُ^(٣)

كما وظف الشاعر الصيغة السابقة (فَعَال) في معاني العُلا والمجد والتي امتلأت بها رومياته يقول:

فَإِنْ تَفْتَدُونِي تَفْتَدُوا شَرَفَ الْعُلَا وَأَسْرَعَ عَوَادٍ إِلَيْهَا مُعَوِّدٌ

(١) الديوان ص ٢٣٦

(٢) السابق ص ٢٥

(٣) السابق ص ١٥٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فَمَا كُلُّ مَنْ شَاءَ الْمَعَالِي يَنَالُهَا وَلَا كُلُّ سَيَّارٍ إِلَى الْمَجْدِ يَهْتَدِي^(١)

تحقق معنى المبالغة من خلال (عواد- سيّار) فطرق الشرف والعلا، كان لابد لها من معنى كالمبالغة في الوصف للدلالة قوة المعنى المراد وصعوبة الوصول إليه.

أَفْعَلُ:

لقد زواجت هذه الصيغة بين معنيين هما المفاضلة وهو غالب السياق الذي وردت فيه ودلالاتها المبالغة في الوصف، وبرزت بداية في المناظرات الرومية والتي اقتضت الكثير من أساليب التفاضل والتمايز والذي لا يأتي، إلا بالمبالغة الوصفية للمعنى فيها:

فَسَلْ بَرْدَسَا عَنَّا أَحَاكَ وَصِهْرَهُ وَسَلْ آلَ بَرْدَالِيْسَ أَعْظَمَكُمُ خَطْبَاً

وَسَلْ قَرْقُوسَا وَالشَّمِيشَتَقَ صِهْرَهُ وَسَلْ سَيْطَهُ الْبَطْرِيْقَ أَتْبَتَكُمُ قَلْبَاً^(٢)

وقوله:

رَعَى اللهُ أَوْفَانَا إِذَا قَالَ ذِمَّةً وَأَنْفَذَنَا طَعْنَاً وَأَتْبَتَنَا قَلْبَاً

وَجَدْتُ أَبَاكَ الْعِلْجَ لَمَّا خَبَرْتَهُ أَفْلَكُمُ خَيْرًا وَأَكْثَرَكُمُ عَجَبَاً^(٣)

زحرت المناظرة بصيغ المبالغة وهي: (أعظم- أثبت- أنفذ- أقل- أكثر) وقد تكرر بعضها في الأبيات السابقة لإظهار أن الغلبة للمسلمين دوماً لزيادة معنى الموقف المفاخر، والمديح المتعاضم.

كما ترددت ذات الصيغة (أفعل) في مناظرته الأخرى، وكانت لإثراء معاني الاستنكار والاستهزاء بالروم:

أَمَّا مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ عِلْجٌ يُعْرِفُنِي الْحَالَالَ مِنْ الْحَرَامِ

وَأَصْعَبُ خَطَّةٍ وَأَجَلُّ أَمْرٍ مُجَالَسَةُ اللَّئَامِ عَلَى الْكِرَامِ^(٤)

(١) الديوان ص ٨٤

(٢) السابق ص ٤٣

(٣) السابق ص ٤٣

(٤) السابق ص ٢٧٦

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وعلى غرار صيغة (فَعَال) قد استخدم الشاعر صيغة (أَفْعَل) في المعاني الدالة على العلا والمفاخرة بالقوم:

أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي العُلا وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التُّرَابِ وَلَا فَخْرٌ^(١)

اشتمل البيت على ثلاث صيغ (أعز - أعلى - أكرم) حوت معاني التعظيم والمفاخرة والرفعة بلغت فيها المبالغة هنا منتهى الزيادة والقدرة على الشمول معاً.

ومما سبق: ارتبطت صيغ المبالغة السابقة، بالبيئة الحربية التي تقتضي تعميق المعنى بصيغ قوية تصيغ المبالغة، لتأكيد القوة والفروسية وفي ذات الوقت المدح والتحقير لنجد أن المبالغة بكافة صيغها حوت معاني متعددة مما أعطت الروميات عمقا وبعدا للتجربة الشعرية، فالمبالغة: "هي الغاية القصوى في الجودة"^(٢) كما يراها ابن رشيق .

ج- تحقيق صيغ المد:

إن لظاهرة المدود دلالات ايقاعية، والذي نهتم به هنا هو دلالاتها الشعرية وعلاقتها الوطيدة بالتجربة الشعرية، فإن هذه الصيغة: "تحقق لمسات نفسية وجمالية تزيد الصورة جمالا، وتجعلها أكثر تأثيرا ووقعا في النفس"^(٣).

وهذا ما نلاحظه في روميات أبي فراس، وإكثاره من المدات في شعره وخاصة الألف والواو كقوله مثلا:

أثْوَعِدْنَا بِالْحَرْبِ حَتَّى كَأْتِنَا
وإِيَّاكَ لَمْ يُعْصَبْ بِهَا قَلْبُنَا عُصَبًا
لقد جمعنا الحربَ من قبل هِذِهِ
فَكُنَّا بِهَا أُسْدًا وَكُنْتَ بِهَا كَلْبًا^(٤)

فعلنا نلاحظ أن لا تخلو كلماته من حرف مد، وخاصة الألف والتي كادت تسيطر على معظم ألفاظ القصيدة

وقوله:

(١) الديوان ص ١٦١

(٢) العمدة ص ٣٣٩

(٣) الاتجاه الوجداني في شعر حسن عبدالله القرشي- رسالة ماجستير- مقدمة من يحي أحمد الزهراتي- جامعة أم القرى بمكة المكرمة ص ١٧٣.

(٤) الديوان ص ٤٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

يَالَيْلُ مَا أَغْفَلُ عَمَّا بِي حَبَائِي فِيكَ وَأَحْسَبَايِ
يَالَيْلُ نَامَ النَّاسُ عَنْ مُوجَعٍ نَاءٍ عَلَيَّ مَضَجَعِهِ نَابِي
هَبَّتْ لَهُ رِيحُ شَامِيَّةٌ مَتَّتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأَسْبَابِ
أَدَّتْ رَسَالَاتِ حَبِيبٍ لَنَا فَهَمَّتْهَا مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي (١)

إن عنوان المقطع السابق هو (ياليل) فكان النداء المكرر هنا في مستهل البيت الأول والثاني هو اللفظة الارتكازية، التي أنيطت بنقل ما يعتلج في أعماق الشاعر، وليزيدها عمقا فأتبعها بجملة من المدود المتتابعة لزيادة الشعور بالبعد والفراق:

ياليل + ما + عما حبائبي + أحبائبي
ياليل + نام - الناس ناء + على + نابي
رسالات + لنا فهمتها + اصحابي

فنجد أن الشطر قد يجوي ثلاثة مدود وذلك لدوام ألم البعد والوحشة التي يشعر بها الشاعر في أسره وفي قصيدة أخرى يقول:

أَيَا أُمَّ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غَيْثٌ بِكُورِهِ مِنْكَ مَالَقِي الْأَسِيرِ
أَيَا أُمَّ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غَيْثٌ تَحْيِيرٌ لَا يُقِيمُ وَلَا يَسِيرُ
أَيَا أُمَّ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غَيْثٌ إِلَى مَنْ بِالْفِدَا يَأْتِي الْبَشِيرُ (٢)

نرى اكتساحا لظاهرة المدود في قصيدة: (أيا أم الأسير) وارتفاع نسبة المد بالياء مما أنتج لنا طولاً في مدة اللفظ والنطق ونجد خلالها تراخي واستغراق في (أيا + الأسير - غيث - لقي - الأسير)

وفي البيت الذي يليه (أيا + الأسير - غيث - تحير - يقيم - يسير) .. فنجد هنا زرع للحسرة والألم في رثاء أمه وكأنها تنهيدات طاغية على النص من خلال حرف المد "الياء".

(١) الديوان ص ٥٧

(٢) السابق ص ١٦٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لقد شغف أبو فراس حتماً في روميته بالمدود، لما وجد فيها من رابط نفسي يربط الشعور الداخلي والابداع الشعري.

ونجد من الشغف تنوع المد في قافية واحدة فيتمازج الألف والواو، لإعطاء التلائم مع الشعور الداخلي من مرارة وحرمان:

وإنّ رجالاً ما أبينكم كآبِن أُخْتَهُم حرّيون أن يُقضى لهم ويُهأبوا
فَعَنَ أَي عَذْرِ إن دُعُوا ودُعِيْتُمْ أَيْتَمَ بِنِي أَعْمَامِنَا وَأَجَابُوا^(١)

وعليه نجد أن أبا فراس، قد حقق التجربة الشعورية الذاتية من خلال الزيادات والمبالغة والمد، فما هي إلا روابط من ضمن كثير لا نستطيع حصرها فتخبرنا أبرزها مما جادت بها الروميات.

ثانياً: الروابط المنطقية:-

اللغة منطوق وعقل، واللغة العربية لها منطقها ونظامها المطرد الذي يتمثل بواقعها الاستعمالي، فينأى عن المنطق العقلي العام.

فقد نشأت البلاغة في أحضان كثير من العلوم كان المنطق على رأسها، فظهر لنا كثير من المصطلحات، التي أمدت البلاغة بما أثناء نموها، فاستفادت منه في وضع أسسها فالمنطق: "قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفية للماهيات، والحجج المقيدة للتصديقات"^(٢)

وعرفها الفارابي: "هي أصناف منها الحرف الذي يقرب بالألفاظ كثيرة، فيدل على أن معاني تلك الألفاظ، قد حكم على كل واحد منها بشيء يخصه"^(٣)

كما تعددت الروابط المنطقية وأهميتها في اللغة: "فقد تتغير البنية المنطقية بهذه العبارات بحسب السياق، إذ تزداد منطقيتها أو تنقص، فيجب تمييز درجتها في السلم المنطقي للعبارات، وبالتالي في تطبيق القواعد، وتدخل فيها الأحوال الإنشائية أو الاقتضائية والإشارية والاحتجاجية"^(٤)

(١) الديوان ص ٢٦

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٩٠٨

(٣) الألفاظ المستعملة في المنطق- أبو نصر الفارابي- حققه محسن مهدي- دار المشرق بيروت- لبنان- الطبعة الثانية ص ٥٤.

(٤) المنطق والنحو الصوري د. طه عبدالرحمن- دار الطليعة- بيروت- لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٣م ص ٥٢.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وتفيد تلك الروابط الحكم السليم والبعد عن الخطأ فهي: "آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر"^(١)، كما تبرز أهمية الربط عند عبدالقاهر الجرجاني: "لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر البلاغة"^(٢)، فالروابط المنطقية من خلال مجموعة من العلاقات العلاقات يضمن لنا، توليد المعاني القادرة على إيصال المبادئ والقيم بصور عديدة أبرزها:

١- السببية:

تأتي هذه العلاقة لربط جملتين، تكون أحدهما سببا في حدوث الأخرى، فتكون الأخرى نتيجة لها. وهو: "الربط المنطقي بين جملتين أو أكثر، ويمثله العناصر، (لذلك من أجل لأن، لـ. لكي)، وقد عرفه بعض الباحثين بالإتباع"^(٣).

وتعد علاقة السببية "علاقة قضوية متداخلة"^(٤) وتقوم أهمية الرابط السببي، بكونها معنا على بيان سبب سبب وقوع الحدث. "كما يتوقف عليها انسجام النص السردي"^(٥)

والسببية في الروميات علاقة قامت لنتيجة معينة لسبب ما من الأسباب، وشعر أبي فراس قد حوى العديد من المسببات؛ ليرز لنا عتابه لسيف الدولة، وتظلمه وشكواه من الأسر والقهر:

وَمَا غَضَّ مِنْى هَذَا الْإِسَارِ وَلَكِنْ خَلَصْتُ خَلِوصَ الذَّهَبِ^(٦)

فالجراح والآلام سبب في تعجيل الفداء، وإلا لكان الأسر أكثر رحمة من الآلام والفراق، فالرابط بين الجملتين جملة "وما غض منى" وجملة "خلصت" تمثل فيها علاقة السببية بين الجملتين، والتي اعتمد عليها الشاعر في حديثه ليحدث نوعا من الربط اعتمد على الأداة اللفظية "لكن". وقد أكثر منه الشاعر في الروميات، فكان منه قوله:

(١) المعجم الفلسفي ص ٤٢٨

(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٢٢.

(٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق د. نادية رمضان محمد النجار- مجلة علوم اللغة- المجلد التاسع العدد العدد الثاني ٢٠٠٦م ص ٢٣.

(٤) مدخل إلى علم اللغة النصي تأليف: فولفجانج هانيه، ديتير فيهفيجد ترجمة الدكتور فالح العجمي- مطابع جامعة جامعة الملك سعود ١٤١٩هـ ص ٤٦.

(٥) لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب- محمد خطابي- المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى- ١٩٩١م- ١٩٩١م- بيروت- لبنان ص ٨٤.

(٦) الديوان ص ٢٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وكان عتيداً لديّ الجوابُ ولكنْ لهيبتَه لَمْ أُجِبْ^(١)

فجملة "لهيبتَه لم أُجِبْ" سببا لجملة "وكان عتيدا لدي الجواب" فالهيبة التي يحملها الشاعر كانت سببا رئيسيا، في عدم جواب سيف الدولة والرد عليه بالمثل، وأيضاً ما يجلي السبب ويوضح المعنى قوله:

فَلَمَّا حَالَتِ الْأَعْدَاءُ دُونِي وَأَصْبَحَ بَيْنَنَا بَحْرٌ وَدَرْبٌ

ظَلَلْتُ تُبَدِّلُ الْأَقْوَالَ بَعْدِي وَيَبْلُغُنِي اغْتِيَابُكَ مَا يُغِيبُ^(٢)

هنا جملة "حالت الاعداء دوني" و "بيننا بحر ودرب" كانت سببا في جملة "تبدل الأقوال بعدي" وكان البعد والأعداء سبب الخلاف بينهما، وكانت أداة الربط هنا "الفاء" في كلمة "فلما"

وقوله:

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَرَّتْ بِفِرَاقِنَا يَدُ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ مَنْ هُوَ حَارِثٌ^(٣)

إن الربط في البيت السابق لا يعتمد على الأدوات الشكلية؛ بل تتمثل في العلاقة بين الجملتين، فجملة "جرت بفراقنا" كانت نتيجة لجملة "يد الدهر".

ويقول في عتاب سيف الدولة وعدم استجابته للفداء:

لَا يَفْتَحُ النَّاسُ بَابَ مَكْرَمَةٍ صَاحِبُهَا الْمُسْتَعَاثُ يُقْفَلُهَا^(٤)

هنا أيضاً علاقة سببية ضمنية لم تعتمد إلى الشكلية، فكانت جملة ولا يفتح الناس باب مكرمة "نتيجة للفعل" "يقفلها" فكان عجز البيت سببا لصدده.

وواصفا حال الأسر وجفاء النوم:

أَسِرْتُ فَلَمْ أَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا حَالَ الْمَقَامِ لَنَا حُزَامًا^(٥)

(١) السابق ص ٢٩

(٢) الديوان ص ٣٢

(٣) السابق ص ٦٢

(٤) السابق ص ٢٤٤

(٥) السابق ص ٢٥٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

كانت جملة "لم أذق للنوم طعماً" نتيجة للفعل "أسرت" برابط الفاء بينهما وأيضاً في الشطر الثاني نتيجة لذات الفعل "أسرت".

وفي خطابه لأمه ودعوتها للثقة بالله في فداءه وخلاصه، فيخاطبها بحرقه الابن لأمه التي أصبحت جديرة بالحزن من بعده يقول:

أَمَسَّتْ بِمَنْبِجِ حُورَةٍ بِالْحُزْنِ مِنْ بَعْدِي حَرِيَّةٌ^(١)

فجملة "أمست.. بالحزن" فنتيجة لجملة "من بعدي" فكان حري بهذه الأم، أن تحزن على ولدها عقب فراقه وهنا الربط كان ضمناً أيضاً.

إن الربط المنطقي السببي يعد طاعياً في الروميات، إذا ما علمنا أن الروميات قائمة على الأسباب والمسببات في مجملها، لمعاني الفداء أو الرثاء أو العتاب وما ذكرناه من أمثلة سابقة هي على سبيل المثال لا الحصر.

٢- التعليل:-

تقوم هذه العلاقة على التقرير، وهي قريبة نسبياً من علاقة السببية، فيساعد على الاستنباط ويتمثل في عدة وحدات منها: "لعل- إن- أن- الباء- إذ..".

وقد وردت هذه العلاقة في الروميات في قول الشاعر:

أَرَى مِلاءَ عَيْنِي الرَّدَى فَأَحْوِضُهُ إِذِ الْمَوْتُ قُدَامِي وَخَلْفِي الْمَعَايِبُ^(٢)

فلو قدر السؤال في الجملة الأولى بالأداة لماذا؟ فأصبح لماذا ترى ملء عينيك الردى فتحوضه، لوقعت الإجابة في الشطر الثاني "إذ الموت قدامي وخلفي المعاييب"، فالجملة الثانية هي تعليل للأولى دل عليها الرابط "إذ".

ومنه قوله:

وَلَسْتُ مَلُومًا إِنْ بَكَيتُكَ مِنْ دَمِي إِذَا قَعَدْتُ عَنِّي الدَّمُوعُ السَّوَكِبُ^(٣)

(١) الديوان ص ٣١٧

(٢) السابق ص ٣٦

(٣) السابق ص ٣٩

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فجملة "بكيتهك من دمي" هي جملة تعليلية لـ "قعدت عني الدموع". من خلال الرابط (إذا) فأداة الشرط هنا أفادت الشرط والتعليل في وقت واحد، فالشاعر إذا خذله الدمع ولم ينهمر فإن دمه سيكون البديل، كما كان دوماً في الحروب والغزوات فمعاني التضحية والإيثار، امتدت إلى ما وراء الأسر، ولم تقتصر على المواقع الحربية.

وقوله عندما حمل إلى القسطنطينية بجراحه:

صَبْرًا لَعَلَّ اللَّهُ يَفْعُلُ تَحُ هَذِهِ فَتَحًا يَسِيرًا^(١)

فجملة "صبرا" كانت نتيجة للتعليل بجملة "لعل الله يفتح هذه فتحا يسيرا".

فالصبر كان أمراً علله الشاعر بفتح القسطنطينية، وكأنه يمني نفسه بهذا اليوم ويخفف من شدة الجزع بأداة "لعل" والتي تفيد التعليل الغرضي، فهي تقوم مقام "كي".

وقوله:

قَلِيلٌ اعْتَذَارٍ مَنْ يَبِيْتُ ذُنُوبُهُ طِلَابُ الْمَعَالِي وَاكْتِسَابُ الْمَحَامِدِ^(٢)

"من يبيت ذنوبه طلاب المعالي واكتساب المحامد" هي تعليل "قليل اعتذار" من خلال الأداة (مَنْ) وهي تعليل سيبي.

وقوله:

وَقُورٌ وَرِيعَانُ الصَّبَا يَسْتَفْزَهُمَا فَتَأْرُنَ أَحْيَانًا كَمَا أَرِنَ الْمُهْرُ^(٣)

لقد جاءت الفاء هنا معللة "تأرن أحياناً" وذلك لأن "الصبا يستفزها" فربط الشاعر بين "ريعان الصبا يستفزها" و "فتأرن أحياناً" وكان التعليل هنا مقيد لا مطلق عند قوله "أحياناً" مما يدعم الصفة الأولى وقور في ذات الوقت.

٣- السلب والإيجاب:

(١) الديوان ص ١٥٦

(٢) السابق ص ٨٧

(٣) السابق ص ١٥٨

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وهي علاقة تقوم بين الألفاظ تبني فيها الجملة على نفي أحد ألفاظها، ثم إثباته بعد ذلك، مما يوجد ترابطا نتيجة توحد الخطاب والهدف منه وهو: "تأكيد وتثبيت لنفي ما نفي"^(١)

ولا تَتَقَلَّدُ مَا يَرُوعَكَ حَلِيَّةُ تَقَلَّدُ إِذَا حَارَبْتَ مَا كَانَ أَقْطَعَا^(٢)

فصدر البيت وهو جملة منفية نفي الشاعر فيها البحث عن المظاهر والسعي خلفها، بل تقلد كل أمر نافع قد يفيد مستقبلا، وهذه حكمة يضيفها الشاعر من خلال المزاجية بين النهي والأمر كتجربة واقعية عاشها الشاعر في السجن والأسر، وصدر البيت دل على معنى سلبي فنهى عنه، في حين أن عجزه كان فيه فعل الإيجاب هو فعل الأمر "تقلد".

وقوله:

أَوْصِيكَ بِالْحُزْنِ لَا أَوْصِيكَ بِالْجَلْدِ جَلَّ الْمَصَابُ عَنِ التَّعْنِيفِ وَالْفَنَادِ^(٣)

فجملة "أوصيك" هي جملة مثبتة أثبت فيها الشاعر أمر الحزن من خلال فعلا الأمر (أوصيك) ثم نفا الفعل (أوصيك) إذا ما اقترن (بالجلد) وهو الصبر فالعلاقة هنا علاقة إيجاب ونفي وفي ذات الوقت علاقة متناقضة حين يأمر بالحزن عند الفقد، ولا يوصي بالجلد والصبر مما شكل دورا هاما للتجربة الشعورية، وهي التنفيس الذي اتخذه الشاعر وسيلة لطرد آلامه وفراقه.

وقوله:

قَدْ عَدِمَ الدُّنْيَا وَلِذَاتِهَا لَكِنَّهُ مَا عَدِمَ الصَّبْرَا^(٤)

"قد عدم الدنيا ولذاتها" جملة سلبية أثبت فيها الشاعر فقده للراحة والأنس والأقارب ثم علاقة إيجاب بقوله "عدم الصبرا" فهو ما زال متمسك بالصبر رغم فقده للذات.

ويقول في وصف حساده:

وَكَمَّ مِنْ خَلِيلٍ حِينَ جَانِبْتُ زَاهِدًا إِلَى غَيْرِهِ عَاوَدْتُ غَيْرَ زَاهِدٍ^(٥)

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٣٠

(٢) الديوان ص ١٨٥

(٣) السابق ص ٧٥

(٤) السابق ص ١٥٦

(٥) السابق ص ٨٧

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

هنا ذات الأسلوب في البيت السابق فعلاقة السلب "جانبت زاهدا" والإيجاب "عاودته غير زاهد" وكأن علاقة النفي والإيجاب هنا تمحضت عن علاقة أخرى وهي علاقة التقابل بين المعين في البيت، فالشاعر حينما يجانب أعداءه زاهدا في وصالهم، يتطلع إلى وصاله مع غيرهم.

٤ - علاقة السؤال / الجواب

"وهو تنزيلهم الكلام إذا جاء بعقب ما يقتضى سؤالا، منزلته إذا صرح بذلك السؤال" (١)، وهذه العلاقة تقوم على الفصل فتفصل كلام عن كلام آخر يسبقه، وهو سؤال مقدر في سياق الخطاب، سواء كان ظاهرا أو مقدرا، حيث يفيد التنبية والاستغراب والحيرة وأحيانا التهكم..، "وهي من العلاقات القضيوية المتداخلة" (٢) يقول:

هَلْ تَقْبَلُ النَّفْسُ عَنِ نَفْسٍ فَأُفْدِيَهُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْلُو عَلَيَّ بِهَا (٣)

يقدر السؤال هنا بـ لماذا تقبل النفس عن نفس فتكون الإجابة "الله يعلم ما تغلو علي بها". فالشطر الثاني هي إجابة للأول من خلال إجابة لسؤال مقدر.

وقوله:

يَقُولُونَ لِي: بَعْتَ السَّلَامَةَ بِالرَّدَى فَقُلْتُ أَمَا وَاللَّهِ مَا نَأَلِي خُسْرًا (٤)

بعد الشطر الأول يقدر السؤال بـ "فهل خسرت؟" ويكون الشطر الثاني جوابا عليه، فكان الجواب لإفادة السامع وإزالة الغموض الذي أدى إلى حاجته للسؤال.

وقوله:

وَقَالَ أَصَيْحَابِي: الْفِرَارَ أَوْ الرَّدَى؟ فَقُلْتُ هُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مُرًّا (٥)

وكان السؤال المقدر "ماذا تختار" فالشطر الثاني يكون جوابا له وتبين لنا من هذا المثال أن علاقة السؤال والجواب تقوم بدور أساسي كذلك في بناء الحوار النصي.

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٣٥

(٢) مدخل إلى علم اللغة النصي ص ٤٦

(٣) الديوان ص ٢١

(٤) السابق ص ١٦٠

(٥) السابق ص ١٦٠

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فهنا بعلاقة السؤال والجواب نجد أن العلاقة ذات قدرة على الربط بين كم من الجمل، دون الاعتماد على العناصر اللفظية؛ لأنها تقوم بإحكام الترابط بين أجزاء النص، واستمرارية المفاهيم فيه.

٥ - علاقة الإجمال ثم التفصيل:-

يطلق علماء البلاغة على هذه العلاقة علاقة "الجمع ثم التقسيم" وهو "استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتداءً به" ^(١)، فيذكر الكلام مجملاً ثم يأتي بعد ذلك مفصلاً دون ملل، بل في جمع شتات المعاني تعميق تعميق المعنى وشموليته ومنه قوله:

تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْسَ لِلنَّفْعِ مَوْضِعٌ لَدَيْ وَلَا لِلْمُعْتَفِينَ جَنَابُ
وَلَا شَدَّ لِي سَرْجٌ عَلَى ظَهْرٍ سَابِحٍ وَلَا ضُرِبْتُ لِي بِالْعِرَاءِ قِيَابُ
وَلَا بَرَقَتْ لِي فِي اللَّقَاءِ قَوَاطِعُ وَلَا لَمَعَتْ لِي فِي الْحُرُوبِ حِرَابُ ^(٢)

تكمن العلاقة السابقة في علاقة إجمال ثم تفصيل، حيث جاء البيت الأول مجملاً، فقد أشار الشاعر إلى ما لقيه في أسرته من فقدته حياة الكرامة والمنفعة، فقلة الحيلة جعلته يذكر ما كان يفعله قبل أسره، حين فصل بعد ذلك في الأبيات التي تلتها، فاستطاع الشاعر أن يربط بين الأبيات ربطاً محكماً، أدى إلى الاستمرارية وتوحد الحدث، فاعتمد على خلق نوع من الترابط المفهومي داخل الأبيات.

ويقول في تعزيز الترابط المفهومي للمعاني الحربية داخل الأبيات:

لَقَدْ جَمَعْتَنَا الْحَرْبُ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ فَكُنَّا بِهَا أُسْداً وَكُنْتَ بِهَا كَلْباً
فَسَلُّ بَرْدَساً عَنَا أَخَاكَ وَصَهْرَهُ وَسَلِّ سَبِيضَةَ الْبَطْرِيْقِ أَثْبَتَكُمْ قَلْباً
وَسَلِّ صَيْدُكُمْ آلَ الْمَلَائِينِ إِنَّنَا نَهْبْنَا بِيضِ الْهِنْدِ عَزَّهُمْ نَهْباً
وَسَلِّ آلَ بَهْرَامٍ وَآلَ بَلَنْطَسٍ وَسَلِّ آلَ مَنَوَالِ الْجَحَا جِحَةَ الْقَلْبَا
وَسَلِّ بِالْبَرْطُسِيِّسِ الْعَسَاكِرُ كُلَّهَا وَسَلِّ بِالْمَنْسَطَرِ يَاطِسِ الرُّومِ وَالْعُرْبَا ^(١)

(١) العمدة ص ٢١٩

(٢) الديوان ص ٢٥

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

لم يبق أبو فراس دلائل على حربه معه الروم أكثر مما ذكر، فقد استوفى الحروب والوقائع التي نالها بالنصر من خلال ذكر الشخصيات الرومية، التي كانت شاهدة على الوقائع، ونالها من الخسران مانالها، فلا يوجد ذكر في الهزيمة زيادة على ما ذكر.

وكما ورد للحرب تفصيل كان للمديح والوفاء نصيب في الروميّات يقول:

فلا تخش سيف الدولة القرم أتني سواك إلى خلق من الناس راغب
فلا تلبس النعمى وغيرك ملبس
ولا أنا من كل المطاعم طاعم
ولا أنا راض إن كثرت مكاسبي
ولا أنا من كل المطاعم طاعم
ولا أنا راض إن كثرت مكاسبي
إذا لم تكن بالعز تلك المكاسب^(٢)

فلم يبق ما يعبر به عن ما يفتقده في ظل سيف الدولة وإن وجد، فأتى بجميع ما يجده من النعيم والعز والمكاسب، إلا أنها ناقصة في ظل غياب سيف الدولة فكل ما يجتنيه منها لا يعد مكسبا ولا شرفا، إذا ما كانت في سبيل سيف الدولة وحبه والدفاع عنه فيزهد بعده الشاعر وفاء وإخلاصا.

و الإجمال في "لا تخش.. أنبي سواك إلى خلق من الناس راغب" وتفصيل في "فلا تلبس النعمى - لا تقبل الدنيا - لا أنا.. طاعم، لا أنا شارب - لا أنا راض".

ويتشوق الشاعر إلى بلده وأهله وحببيته فيشكو الحنين إليهم ويستفيض في ذكرهم فيسمى كل من اشتاق إليهم في بلده "منبج" وأيضا "حلب".

لأَيْكُمْ أذْكُمْ وفي أَيَّكُمْ أَفْكُمْ
ففي حلبٍ عُدَّتِي وعزّي والمفخّر
وفي منبج من رضا هُ أَنفَسُ ما أذخَر
وفي حُبّه زُلْفَةٌ بهَا يُكْرَمُ المَحْشَرُ
وأصبيّة كالفراخ أكبرهم أصغر

(١) السابق ص ٤٣

(٢) الديوان ص ٣٨

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وقومُ ألفناهمُ وعُصْنُ الصِّبَا أَخْضَرُ^(١)

فالإجمال في البيت الأول "لأيكم أذكر وفي أيكم أفكر" ثم تلاه تفصيل لكل ما يتمناه الشاعر وصاله من أمكنة وأشخاص "حلب عدتي - منبج ما أدخر - أصبية كالفراخ - قوم ألفناهم".

وفي تأكيد معاني العزة والإباء رغم الأسر يقول:

فإنْ عُدْتُ يوماً عَادَ للحربِ والعُلا وبذُلُ التَّدَى والجُودِ أَكْرَمُ عَائِدِ
مَرِيرٌ عَلَى الأَعْدَاءِ لَكِنَّ جَارَهُ إِلَى خَصْبِ الأَكْنَافِ عَذْبِ المَوَارِدِ
مُشَهَّى بِأَطْرَافِ النَّهَارِ وَبَيْنَهَا لَهُ مَا تَشَهَّى مِنْ طَرِيفِ وَتَسَالِدِ
مَنَعْتُ حِمَى قَوْمِي وَسُدْتُ عَشِيرَتِي وَقَلَّدْتُ أَهْلِي غُرَّ هَذَا القَلَائِدِ^(٢)

فقول الشاعر "فإن عدت يوما عاد للحرب والعلا.. أكرم عائد" كان إجمالاً، لتفصيل الأعمال التي يقوم بها الفارس برا بقومه وعشيرته مثل قوله: "مرير على الأعداء - مشهى بأطراف النهار - منعت حمى قومي - سدت عشيرتي - قلدت أهلي".

ومن الملاحظ أن هذه العلاقة تنتشر في الروميات بين عدد ليس بالقليل من الجمل من خلال استعادة كبريائه الجريح بذكره وتفصيله كل ما قام بها من معارك ووقائع وخلائق كريمة قبل الأسر.

٦- الربط العكسي:

"وهو أن يكون الخبر الثاني مما يجري مجرى النظير أو النقيض للخبر الأول" ^(٣) "يفيد أن الجملة التابعة مخالفة للمتقدمة، ويمثله في العربية حروف الاستدراك (لكن وأخواتها - بيد أن - غير - أما)" ^(٤)، فحروف الربط العكسي تدل على قلب السياق، والمعنى بالنقيض له "كقولنا لكن أو إلا أن، على أن الحكم السابق عليه ليس هو جارياً عليه دائماً" ^(٥)

(١) السابق ص ١٥٣

(٢) الديوان ص ٨٩

(٣) دلالات الإعجاز ص ٢٢٥

(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - الخطابة النبوية انموذجا ص ٢٣.

(٥) الألفاظ المستعملة في المنطق ص ٥٦.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وفي الروميات نجدنا أمام تناقضات استدعتها التجربة القاسية تارة، وتارة أخرى المقارنات والكيفيات التي يحتم النص إدراكها، لخلق معنى أكثر عمق وشمولية.

يقول:

مَرِيرٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ لَكِنَّ جَارَهُ إِلَى خَصَبِ الْأَكْنافِ عَذِبِ الْمَوَارِدِ^(١)

فالتناقض العكسي بين قول الشاعر: "مرير على الأعداء" وقوله: "جاره إلى خصب الأكناف عذب الموارد"، فيمكن الربط العكسي بين الجملتين في القوة على العدو واللين مع الجار فاعتمد الشاعر هنا الضديات المعنوية لتعميق الدلالة في النص.

ويقول في الغزل:

بَدوتَ وَأَهْلِي حَاضِرُونَ لِأَتْنِي أَرَى أَنَّ دَاراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا قَفْرٌ^(٢)

يظهر لنا الربط العكسي بين "بدوت" و "أهلي حاضرون" فأفاد الربط هنا تغير الحال وانقلابه من حياة الحضارة إلى البداوة من أجل حبيبته رغم أنه وأهله يقطنون المدن لا القفار دلالة على التضحية والوفاء. وفي معاني الحرب والمروءة يقول:

وَحَيٌّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ حَتَّى مَلَكَتُهُ هَزِيمًا وَرَدَّتْنِي الْبِرَاقِعُ وَالْخُمْرُ^(٣)

كان الربط العكسي بين جملة "رددت الخيل حتى ملكته" و "ردتني البراقع والخمر"، فتأكيد المعنى تجلّى من خلال الربط العكسي وذكر المعنى ونقيضه في آن واحد، مما أدى إلى خلق استمرارية في المفاهيم داخل النص.

ويقول:

حَفِظْتُ وَضَعْتِ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا وَأَحْسَنَ مِنْ بَعْضِ الْوَفَاءِ لَكَ الْعُدْرُ^(٤)

(١) الديوان ص ٨٩.

(٢) السابق ص ١٥٨.

(٣) السابق ص ١٥٩.

(٤) السابق ص ١٥٧.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

إن الربط العكسي بين الفعلين "حفظتُ- ضيعتُ" أفضى لعلاقة عكسية تناقضية بين الشاعر ومحبوبته فالتعامل الشعري، لم يكن أسير هذين الطرفين، بل انطلق لخلق كثافة عكسية من خلال تناقض المشاعر، على نحو يمد المفارقة إلى أطول مساحة.

وقوله:

حَمَلْتُ عَلَى ضَنِّي بِهِ سُوءَ ظَنِّهِ وَأَيَقُنْتُ أَنِي بِالْوَفَاءِ أُمَّةٌ وَحَدِي^(١)

هذا البيت سائر على سياق البيت السابق "ضني- سوء ضنه" هنا ترابط عكسي، ينقلنا دلالياً على أن الشاعر وسيف الدولة أصبحا نقيضين، فتجربة الأسر ولدت كثير من التناقضات الشعورية قبل الأسر وبعده لتسفر تلك الرابطة العكسية على كثافة دلالية تفيد الصدد والبعد- مقابل الوفاء والإخلاص.

٧- الزمن:

"وهو علاقة بين جملتين متتابعتين زمنياً، ويمثلها في الأدوات فـ، ثم، بعد، قبل، بعد كلما...

فالمنط الزمني قد يشكل لنا رابطة بين الجمل تفيد في كثير تحقق الثاني بعد ضمان تحقق الأول: "فقولنا: إن كان، وكلما، وحتى كان، وإذا كان، وما أشبه ذلك، فهذه الرباطات تضمن الثاني بالأول متى وجد الأول؛ فيسمى لذلك الرباط المضمن"^(٢)

وفي الروميات نجدنا أمام روابط زمنية زاخرة، كان باعنها ماضي الشاعر الفارس وحاضر الأسر والألم، فكانت من الروابط الزمنية روابط ظاهرة، استمدت أدوات الاستئناف والترتيب الزمني للكشف عن مبادئ لصيغة متعددة:

منها الاستعادة، والتتابع.

أ- مبدأ الاستعادة:

يقوم على استعادة الشاعر في بعض أبياته أمجاداً سابقةً ووقائع قديمة، أو تجارب ذاتية برزت الحكمة خير مترجم لها ومنها قوله:

لَقَدْ جَمَعْنَا الْحَرْبُ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ فَكُنَّا بِهَا أُسْدًا وَكُنْتَ بِهَا كَلْبًا^(١)

(١) الديوان ص ٩٥.

(٢) الألفاظ المستعملة في المنطق ص ٥٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فيذكر الشاعر الوقائع الحربية مع الروم والنصر الذي حققه المسلمون فيها فعلى حدث (النصر) يقوم الزمن باستدعاء تاريخي من خلال الرابط "كنا".

وقوله:

أَيَّتْ كَأَنِّي لِلصَّبَابَةِ صَّاحِبٌ وَللنَّوْمِ مِذْبَانَ الخَلِيْطِ مُجَانِبٌ^(٢)

فالرابط الزمني بين الصباة واللوعة و "بان الخليط" من خلال الرابط "مذ" فيفصح النص الشعري عن تشابك زمي مقصود، بذكر الشاعر العلاقة القائمة بين اللوعة وارتباطها بالغروب وكأن الليل يزيدها ويوقدها، فهو استدعاء للوعة والأسى كلما اقتربت خيوط المغيب.

ويقول:

فَأَذْكُرَانِي وَكَيْفَ لَا تَذْكُرَانِي كَلَّمَا اسْتَحْوَذَ الصَّدِيقُ الصَّدِيقَا^(٣)

إن الاستدعاء الزمني بالرابط (كلما) هو استدعاء يحمل دلالات الألم والأسى، في زمن شحت الصداقة وندر الوفاء، "فاذكراني" ارتبط بجملة "كلما استحوذت الصديق الصديقا" ليحمل إيجاءات رمزية في طياتها من خلال العلاقة التي ساءت بينه وبين سيف الدولة مما أحر الفداء فانتفى الوفاء ولم يعد إلا الخيانة والغدر هي المعاني التي استاقها الشاعر لدلالة الألم.

وفي الحكمة كان الزمن خير رابط لتمثيل التجربة الشعورية يقول:

وَهَلْ نَافِعِي إِنْ عَصَّي الدَّهْرَ مُفْرَدًا إِذَا كَانَ لِي قَوْمٌ طِوَالَ السَّوَاعِدِ^(٤)

وقوله:

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرَّةِ عِدَّة أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الفَوَائِدِ^(٥)

(١) الديوان ص ٤٢

(٢) الديوان ص ٣٥

(٣) السابق ص ٢٠٠

(٤) السابق ص ٨٧

(٥) السابق ص ٢٣٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

إن أداة الربط الزمني في البيتين السابقين (إذا كان) قد ربطت الحقائق القدرية بزمن الإيمان بالله واليقين بمضيها لتحقيق الهدف من أن المرء لن يناله إلا ما قدر له ، فالنفع والضر لا يقوم على مبدأ البشر بل يقوم على تصريف كوني أعمق وأكبر من أن نستجليه .

ب - مبدأ التتابع:

ويمكن ملاحظته في الروميات من خلال تتابع الأحداث في الأسر وما حل بالمشاعر من بعد أحبابه ووفاة أقربائه يقول:

فَقَالَتْ: لَقَدْ أَزْرَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا فَكَلْتُ مَعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتِ لَا الدَّهْرُ^(١)

إن الربط بين حالة الشاعر قبل الأسر وبعده في قوله " أزرى بك " له دلالات إيحائية تدل على الألم والمعاناة التي يلقاها الشاعر في أسره في حين أن الشاعر يجعل التعليل مضاعفا عندما ينسبه أيضا إلى ما حل به من الفراق والبعد عن الأحباب والتنكر له.

ويقول:

تَحَفَّلُ حِينًا، ثُمَّ تَرْنُو كَأَنَّهَا تُنَادِي طَالًا بِالوَادِ اعْجَزَهُ الحُضْرُ^(٢)

إن التتابع في الأحداث كان له أعمق التصوير البلاغي في صورة الظبية، بين القرب والهدوء وبين البعد والشك والخوف فهي (تجفل) ثم (ترنو) فالأداة (ثم) تفيد الترتيب في الحدث، وكأنه يأمل قرب ودنو سيف الدولة بعد بعده وشكه.

وفي الرثاء برز الزمن كدلالة للفقْد وعدم التكرار واستحالة الحدث مرة أخرى:

مَا بَعْدَ فَقْدِكَ فِي أَهْلِ وَاوَلَادِ وَلَا حَيَاةٍ وَلَا دُنْيَا لَنَا أَمَلٍ^(٣)

إن التصدير بالرابط الزمني كان ذو معنى عميق؛ للفت الانتباه، وهيئة الأذهان حتى يستقر بالذات ويستكن المعنى، فربط فقد الأمل بوفاة أبي المكارم فبعده لم يعد ينشده وكأن الفقيده هو الأمل والحياة

(١) الديوان ص ١٥٨

(٢) السابق ص ١٥٩

(٣) السابق ص ٢٠٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

كناية عن أهمية أبي المكارم وعلو منزلته وشأنه، في قلب أبي فراس ، فكان الأصل وهو الحدث مربوط بحياة أبي المكارم لابعده.

لقد وقع الشاعر من خلال الأبيات السابقة أسير لذكرياته مع أسرته، مما يدلنا على تنامي زميني مستمر لم يتوقف بأسر الشاعر.

٨- المكان :-

إن الوعي بالمكان له قيمة بارزة في ذهن الشاعر، فهي شاعرية بصرية يستسلم لها المرء فتزيد حدة الملاحظة والحس، بشكل يمكننا من الوعي الذي يتخطى الحواس، بل وتعيينه مباشرة ومن الروابط " بين - فوق - تحت - ... " فاتخذت تلك الروابط دلالات مختلفة، تختلف باختلاف السياق:

ومن دلالات التحقير والسخرية:

وَرَبُّ كَلَامٍ مَرَّ فَوْقَ مَسَامِعِي كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ الْمَجِيرِ ذُبَابٌ^(١)

لقد ارتكزت معاني التحقير في " فوق مسامعي " وهو دلالة على فقد الاهتمام فكان الكلام في حالة من التلاشي القائم على أداة الربط " فوق " .

ومن معاني التحقير ينتقل أبو فراس بدلالات الزمن إلى الفخر والرفعة:

أَلَسْتُ وَإِيَّاكَ مِنْ أُسْرَةٍ وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ فَوْقَ النَّسَبِ^(٢)

وقوله:

أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التَّرَابِ وَلَا فَخْرُ^(٣)

الروابط في البيتين السابقة " بيني - بينك - فوق - أعلى " ارتبط بدلالات العزة والكبرياء المرتبطة بالأفعال " أعز - أعلى - أكرم " وكأنه اختزال للبنى النسبية في أبيات مكثفة بكلمات معدودة في ذات الوقت.

(١) الديوان ص ٢٥

(٢) السابق ص ٢٩

(٣) السابق ص ١٦١

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فنجد أن الروابط الزمانية والمكانية أدت إلى كثافة نصية اختزلت كثير من التجربة الشعرية وما صاحبها من وعي مطلق للرؤية المكانية والزمانية.

٩- الأساليب الشرطية والاستفهامية والنهي:

تعد الأساليب التقريرية في الخطاب الشعري، أساليب تركز على المنطق في أبعادها ومفاهيمها، وقدرتها على التعبير عن المعاني بأساليب مباشرة لا تحتاج إلى إعمال الخيال فيها كثيراً. ومنها الاستفهام: -"من طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة كالمهزة ونحوها"^(١)، والاستفهام كلمات موضوعة منها المهزة، هل، من، كيف، أين، متى ...

والاستفهام في الروميات، اختص في غالبته بالفعل كما نجد تجدد المعاني والدلالات، التي تتكشف لنا من خلال السياقات المختلفة ونجده في معنى التحقير والفخر:

أَتَزْعُمُ، يَا ضَحْمَ اللَّغَادِيدِ، أَنَّنَا وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْحَرْبِ لَا نَعْرِفُ الْحَرْبَا
أَتَوْعَدْنَا بِالْحَرْبِ حَتَّى كَأَنَّا وَ إِيَّاكَ لَمْ يَعْصَبُ بِهَا قَلْبِنَا عَصْبًا؟^(٢)

فالشاعر يتوجه بالخطاب إلى الدمستق في نبرة تهكم وسخرية، فيخرج الاستفهام إلى غرض الإنكار. وفي ذات الغرض:

وَمَنْ ذَا يَلْفُ الْجَيْشَ مِنْ جَنَابَاتِهِ؟ وَمَنْ ذَا يَقْوُدُ الشَّمَّ أَوْ يَصْدُمُ الْقَلْبَا؟
وَوَيْلِكَ؛ مَنْ أَرْدَى أَحَاكَ "بِمَرْعَشٍ" وَجَلَّلَ ضَرْبًا وَجَهَ وَالِدِكَ الْعَضْبَا؟^(٣)

أيضا خرج هذا الاستفهام عن معناه الحقيقي، إلى الاستنكار والسخرية من العدد.

وفي غرض الحكمة والشكوى نجد حضوراً مميزاً لأداة الاستفهام (هل)، والتي حملت حصاد وتجارب الشاعر التي عاناها في حياته وسجنه بصفة خاصة:

(١) بغية الايضاح ص ٣٠

(٢) الديوان ص ٤٢

(٣) السابق ص ٤٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

هَلْ يَدْفَعُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ وَاقِعٌ وَهَلْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ كَاسِبٌ؟

وَهَلْ لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي النَّاسِ غَالِبٌ وَهَلْ لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي النَّاسِ هَارِبٌ؟^(١)

فاستخدام الاستفهام بشكل متلاحق دليل واضح للاستنكار الذي أراد الشاعر تعميقة .

وقوله:

وَهَلْ نَافِعِي إِنْ عَصَّيَ الدَّهْرُ مُفْرَدًا إِذَا كَانَ لِي قَوْمٌ طَوَالَ السَّوَاعِدِ

وَهَلْ أَنَا مَسْرُورٌ بِقُرْبِ أَقْرَابِي إِذَا كَانَ لِي مِنْهُمْ قُلُوبُ الْأَبَاعِدِ؟^(٢)

نجد حضوراً للأداة " هل " كذلك في معرض الشكوى فقد وصل الشاعر قمة الحزن والبعد والألم يقول:

هَلْ تُعْطِفَانِ عَلَيَّ الْعَيْلِ لَا بِالْأَسِيرِ، وَلَا الْقَتِيلِ^(٣)

وقوله:

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي^(٤)

وفي الفخر نجد الشاعر يستنكر على قومه البعد والنسيان فيستحضر قوته ومجده الذي طالما دافع عنهم وحماهم على أمر هذا البطل لن يتكرر مجددا:

مَتَى تُخَلِّفُ الْأَيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فِتًى طَوِيلَ نَجَادِ السِّيفِ رَحْبَ الْمُقْلَسِ

مَتَى تَلْدُ الْأَيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فِتًى شَدِيداً عَلَى الْبِأَسَاءِ، غَيْرَ مُلَهَّـدِ

٥٥

أما أدوات الشرط فهي ذات دلالات تفيد بتقييد الحكم فيه بشرط ما ومن أبرز أدواتها " إن - إذا..... " :

(١) السابق ص ٣٦

(٢) الديوان ص ٨٧-٨٨

(٣) السابق ص ٢٣٥

(٤) السابق ص ٢٣٨

(٥) السابق ص ٢٤٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فإن عدتُ يوماً عادَ للحربِ والعلأَ وببذلِ التّدى والجُودِ أكرّمُ عائِدِ^(١)

فالعلاقة القائمة بين الجملتين " فإن عدت " وبين " عاد للحرب والعلأ .. " علاقة شرطية تفيد على أن غيابه في الأمر، أداى لغياب الأجداد القومية وإن عاد فتعود تلك الأجداد والمآثر.

لقد ربط الشاعر كثيرا في فخره دلالات الرفعة والمجد والقوة بدلالات الشرط يقول:

وإن حاربوا كُنتُ المَجَنَّ أَمَامَهُمْ وإن ضاربوا كُنتُ المَهْنَدَ وَالْيَدَا

وإن ناب خَطْبُ، أو أَلَّتْ مَلْمَةٌ جعلتُ لهم نفسي وما ملكتُ فدا^(٢)

وقوله:

إن زُرْتُ خَرَشَنَةَ أَسِيرًا فَلَكُمْ أَحَطُّتُ بِمَا مُغِيرًا^(٣)

إن أداة الشك "إن" ارتبطت بدلالات الفخر والعزة: " حاربوا كنت المجن - ضاربوا كنت المهند وليدا - جعلت لهم نفسي "، لقد أصبحت تلك البطولات والمآثر مرهونة بفدائه، وخروجه من السجن.

أما أساليب النهي "فقد شككت نسبة قليلة جدا من صيغة التقريرية " ^(٤) وكان في غالبية موجة الخطاب الخطاب سيف الدولة ، يحثه على الفداء وعدم الانجراف للحساد والوشاة :

فلا تَعْتَرِرِ بالناس، ما كل من ترى أخوك إذا أوضعت في الأمر أوضعا

ولا تقلد ما يروءك جَلِيهِه تقلد إذا حاربت ما كان أقطعا^(٥)

وقوله :

فلا تترك الأعداءَ حَوْلِي لِيُفْرِحُوا ولا تقطع التَسَالِ عني وتَقْعُد

ولا تقعدنّ عني وقد سيم فديتي فلستَ عن الفِعلِ الكَرِيمِ بِمَقْعَدِ^(١)

(١) السابق ص ٨٩

(٢) الديوان ص ٩٠

(٣) السابق ص ١٥٥

(٤) البطل في شعر أبي فراس ص ٤٢٤

(٥) الديوان ص ١٨٥

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وقوله:

فلا تُنكِرِينِي، يابنةَ العَمِّ، إِنَّهُ لَيَعْرِفُ مَنْ أُنكِرْتَهُ الْبَدُوُّ وَالْحَضَرُ

ولا تُنكِرِينِي، إِنِّي غَيْرُ مُنكِرٍ إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ، وَاسْتُنزِلَ النَّصْرُ^(٢)

مما سبق نجد أن الدلالات المنطقية أكثر من أن نحصرها، فسعتها وشمول أغراضها ودلالاتها في الروميات، تحتم لها دراسة مستقلة بذاتها، وما ذكر إنما على سبيل المثال لا الحصر. فقد تعددت الدلالات اللغوية وغير اللغوية كما سبق وتفاوتت تلك الدلالات بين الالتزام والمخالفة والغاية والشرط، فاستخلاص عناصرها ليست بالأمر الهين لعمق معانيها وتعدد تجارها فكانت تمثيلاً للشاعر وفكره وشحن أذهان المتلقي.

ثالثاً: الروابط الشعورية:

تختلف دلالات الألفاظ الشعورية باختلاف التجارب الإنسانية، فيتكون رصيد زاخر من الألفاظ لتنتقل مع الانفعال الشعوري، وتتوقف قوة المشاعر على درجة التأثير من خلال اندماج الشاعر في زخم التجربة وعمق الانفعال ليصدق التعبير عنها.

" فالشاعر يعبر في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي سواء كانت تعبيراً عن حالة في طبيعة التجربة أو التعبير عنها، ما يحمل الجمهور على تتبعها لأنه يتوقع أن يرى فيها ما يتجاوب وطبيعة التجربة التي جعلها الشاعر موضع خواطره ليحلو صورتها"^(٣)

وهنا نجد أن نظرية التلقي لتلك التجربة تركز بالصورة الأولى على الشاعر، حين يستطيع تحميلها مفارقات الحياة، وتقلبات الدهر ومعاناته النفسية، وذلك من خلال الاتكاء على المفردات التي تلامس الشاعر وتنبض بالصراعات الداخلية مما يخلق لنا جواً نعيشه مع الشاعر، ومن خلال: "خلق وإيجاد لحدث شعري وجداني، وحدث يتدرج فيه الشاعر خطوة خطوة"^(٤)

وفي الروميات كانت التجربة حية وكاملة، فكانت في موضوع واحد لا تتعداه، لأنها تجربة حقيقية عانى الشاعر منها وتفاعل معها فعبّر عنها بأعذب العبارات في غاية الصدق والإبداع.

(١) السابق ص ٨٣

(٢) الديوان ص ١٥٩

(٣) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال - دار نهضة مصر - ١٩٩٧ م، ص ٣٦٣

(٤) في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف الطبعة التاسعة - دار المعارف ص ١٤٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

فوجدنا الروابط الشعورية قد اكتملت وعلت في ظل التجربة الوجدانية ، من خلال تفكيك النص لغوياً ، والتماهي مع إشعاعاته الایمائية .

١- المفردات الشعورية :-

" وهي مفردات شعرية مألوفة يلبسها رؤية غير مألوفة ، فنجد النظرة المختلفة للمفردة"^(١)

فتدور المفردات في إطار تجربة الشاعر منبثقة عن الأسر ، و الألم و الفقد و البعد و اهتزاز الذات لتشكيل المفردة الواحدة بعدة دلالات وصور وكأنها تنتقل من معنى لآخر باختلاف المشاعر ووحدة الإحساس ، فتشكلت مفردات الشكوى و الألم ، ومفردات الحزن والدموع ، والخوف والكبرياء و العزة ، والهجاء و السخرية ، كلها لتخدم تجربة مريرة عاشها الشاعر:

أ- الألفاظ الساخرة :

ولدت المفردات التهكمية في الروميات الكثير من مشاعر الغضب ، و كأنها ترجمة للأعصاب المثارة ، فالانفعال المضطرب من حصار أبي فراس داخل سجون الروم ولد الكثير من الحنق فطبع بطابع ساخر ، اتجه به الشاعر للتقليل من قيمة الروم الشخصية و الإنسانية .

ويندرج ذلك كله : " في التجارب الهزلية التي تصدر عن مواطن السخرية "^(٢)

فتعد جزء لا يتجزأ بدلالاتها من نسيج التجربة الشعورية و إن كانت أقلها " مثل هذه التجارب عادة ، دون التجارب الجدية الرصينة التي تبين من خلال الفكر الإنساني و عمقه. "^(٣)

ومع هذا شكلت حافظ قوي لشعور أبي فراس و عاطفته تجاه الروم يقول:

تَرَكْنَاكَ فِي بَطْنِ الْفَلَاحِ تَجُوبُهَا
كَمَا انْتَفَقَ الْبِرْبُوعُ يَلِثُ التَّرْبَا

تُفَاخِرْنَا بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ فِي الْوُغَى
لَقَدْ أَوْسَعْتَكَ النَّفْسُ يَا ابْنَ اسْتِهَا كَذِبَا

وَجَدْتُ أَبَاكَ الْعُلْجَ لَمَّا خَبَّرْتَهُ
أَقْلَبَكُمْ خَيْرًا وَأَكْثَرَكُمْ

٤١٠

و .

وقوله :

(١) الدلالة الشعرية - مقالة - د.عالي القرشي- صحيفة عكاظ العدد ٣٥٠١

(٢) النقد الأدبي الحديث ، غنيمي هلال ص ٣٦٧

(٣) السابق ص ٣٦٨

(٤) الديوان ص ٤٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

لَقَدْ جَمَعْتَنَا الْحَرْبُ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ فَكُنَّا بِهَا أُسْدًا وَكُنْتَ بِهَا كَلْبًا^(١)

وقوله :

وَلَكِنْ أَنْفَتُ الْمَوْتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ بِأَيْدِي النَّصَّارِيِّ الْعُلْفِ مَيَّةَ أَكْمَدِ^(٢)

وقوله :

وَتَكُنُّفَهُ بَطَارِقَةُ تُيُوسُ بُبَارِي بِالْعَثَانِينَ الضَّخَامِ

لَهُمْ خَلَقُ الْحَمِيرِ فَلَسْتُ تَلْقَى فَتَى مِنْهُمْ يَسِيرَ بِبِلَا حِزَامِ^(٣)

تعد الحرب الساخرة ضد العدو سلاحا ، فهي معركة سلاحها الكلمة فكانت أقوى حدة وأكثر تأثيرا في: (البربوع - ابن استها - العلج - كلبا - الغلف - العثانين) ، وذلك في محاولة صريحة للخروج باللفظ إلى أعلى درجات الامتهان .

ب- ألفاظ ارتبطت بمحاور المشاعر الوجدانية :

" الأحاسيس و المشاعر هي أهم العناصر في القصيدة ، أو في التجربة الشعورية ، إذ هي المفتاح الذي يسقط منه النغم ، ولا بد أن يكون النغم له صفة الدوام حتى يبقى ويخلد ، عن طريق تنمية الحياة الداخلية النفسية عند الشاعر "^(٤)

والقارئ للروميات يلاحظ كل الوضوح الصلة الوثيقة بين ألفاظ الشعور وأبي فراس ، فكانت سراجاً يضيء محيط الشاعر الأليم ، وتبرز من خلالها ألفاظ ارتبطت بعدة إحياءات :

١ - الفرح ، السرور ، الرضى :

(١) السابق ص ٤٢

(٢) الديوان ص ٣٨

(٣) السابق ص ٢٧٦

(٤) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، ص ٢٨

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

عند قراءتنا لتلك الألفاظ نجدتها ارتدت حلة جديدة غير ما نعهده من شعور الرضى و الإيجاب والقبول النفسي بل تصاعدت تلك الألفاظ بإيحاءات سلبية فالفرح أو الرضى ، اختلفت معاييرها وانقلبت موازينه ، مثلما تقلبت به الشاعر موازينه وتغير به الحال ، وكأن تغير دلالاتها دليلاً على تغير الذات المأسورة الغارقة بالألم والبعد والشكوى.

يقول :

وَلَا أَسْـَـوْغُ فَرْحَةً أَبَدًا وَقَدْ عَرَفْتُ الَّذِي تَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ^(١)

وقوله :

وَهَلْ أَنَا مَسْرُورٌ بِقُرْبِ أَقَارِبِي إِذَا كَانَ لِي مِنْهُمْ قُلُوبَ الْأَبَاعِدِ^(٢)

وقوله :

وَإِنِّي عَلِي الْحَالَيْنِ فِي الْعَتَبِ وَالرَّضَى مُقِيمٌ عَلَى مَا كَانَ يُعْرِفُ مِنْ وُدِّي^(٣)

جميع الدلالات السابقة على الفرحه و الرضى و الود هي دلالات سلبية ، حملت النقيض للمفردة ومعناها الأصلي ساعد في ذلك أدوات الشرط و الاستفهام و النفي فالرضي و السرور لا يعرف قلب أبي فراس طالما هو بعيد عن أهله ووطنه بل و يستنكر السرور حتى في القرب إذا ما كان قومه ، قد تنكروا له وابتعدوا عنه .

ثم يقول :

أَيْضًا حَكُّ مَأْسُورٍ وَتَبْكِي طَلِيقَةً وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ وَيَنْدَبُ سَالٍ^(٤)

الضحك اتخذ هنا دلالة مغايرة ، فكان الاستسلام و الخضوع ، وفقد الأمل في الفداء والحريه التي نشدها في مقارنة بين حاله وحال الحمامة النائحة.

(١) الديوان ص ٧٦

(٢) السابق ص ٨٨

(٣) السابق ص ٩٥

(٤) السابق ص ٢٣٨

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وَلَقَدْ وَقَفْتُ فَسَرْتَنِي مَاسَاءِنِي فِيهِ وَأَضْحَكَنِي الَّذِي أَبْكَانِي^(١)

إن السرور والضحك الذي أورده الشاعر ، إنما ندب لحاله وبعده عن الوطن ، وكأنما يرثي حاله بضحكات سافرة لما آل إليه الحال وفي ذات الوقت كان سرورا بالدمار والخراب ، ورعب جعلها الشاعر علامة على فقدته وبعده وكأن الأرض والديار تنشده وتحن عليه باكية وجلة .

فالسرور هنا سرور وضحك لمعاني سلبية استدركها الشاعر بالسخرية من الحال .

٢- الحزن ، الدموع :

وظف الشاعر مفردات الحزن والدمع كعنصرين أساسيين لدلالات الفراق والبعد عن سيف الدولة أو والدته أو حتى أقاربه ، فجاءت متكررة تأكيداً لحال الشاعر الذي لم يهنأ بالسرور لحظة في أسرهِ فكانت تلك إشارات استمرت في غالبية الروميات ، تستخدم بشكل أو بآخر معاني الفقد والفراق .

يقول :

لَمْ يَنْتَقِصْنِي بُعْدِي عَنْكَ مِنْ حُزْنٍ فِي الْمَوَاسِمِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ^(٢)

وقوله :

فَحُزْنِي حُزْنُ الْهَائِمِينَ مُبْرِحًا وَسِرِّي سِرُّ الْعَاشِقِينَ مُضِيعًا^(٣)

فموت الأحباب حزن وفي بعدهم كذلك حزن ، فلم يكن للشاعر إلا الحزن الذي فطر قلبه عليهم في دلالة للوفاء والشوق وكان حزنهم حزنه ومصابهم هو مصابه .

ومن أبرز دلالات الحزن أيضا الدموع ، فكانت رمزا لكثير من المشاعر المتناقضة مما جعلها متميزة في أثرها الوجداني ، فنجدها مرة تبعث على العزة والكبرياء وتدل على المحبة والوفاء ، فالدمع يفضح الأشواق الخفية ، وهي علامة وجدانية صادقة حتى تصبح هذه اللفظة محورا لكثير من الصور الشعرية ، والمعاني الشجية يقول :

إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَأَنِي بِسَطَّتْ يَدَ الْهَوَى وَأَذَلَّتْ دَمْعًا مِنْ خَلَاتِقِهِ الْكَبِيرِ^(١)

(١) السابق ص ٢٠٣

(٢) الديوان ص ٧٥

(٣) السابق ص ١٨٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

دلت الدموع هنا على معاني العزة والرجولة حينما يداري الشاعر دمعته عن أعين الخلائق رغم المراتة والبعء. و رمزا لإستعصاء النفس وكبرها :

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتِكَ الصَّبْرُ أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَكَلَا أَمْرٌ^(٢)

ومرة وصفها بالغرارة والانهمار لفرط الحنين والبعء :

قَرِيحٌ مَجَارِي الدَّمْعِ مُسْتَلِبُ الكَرَى يُقَلِّقِلُهُ هَمٌّ مِّنَ الشَّقِيقِ نَاصِبٌ^(٣)

وقوله :

وَلِي أَدْمَعٌ طَوَّعَى إِذَا مَا أَمَرْتَهَا وَهَنَّ عَوَاصٍ فِي هَوَاهُ غَوَالِبٌ^(٤)

وقوله في معاني الحب والإخاء والفراق :

إِنَّ فِي الأَسْرِ لَصَبَابًا دَمْعُهُ فِي الخِطِّ صَاصِبٌ^(٥)

ومما سبق نجد أن الشاعر ربط بين لفظتي الحزن والدموع بكثير من أبياته بصور خيم عليها الأسى والفقء .

٣- الخوف ، الخشية :

حشد أبو فراس رومياته في كثير منها بدلالات الخوف والشك والتردد فالخوف الذي لم ينضج في فكر الشاعر إلا بعد أسره ، فكانت ذات دلالات وإيحاءات نفسية حزينة يقول :

لَوْلَا العَجْزُ مَنَّمْنَجٍ مَا خِفْتُ أَسْبَابَ المَنِيهِ^(٦)

وقوله :

(١) السابق ص ١٥٧

(٢) السابق ص ١٥٧

(٣) الديوان ص ٣٨

(٤) السابق ص ٣٧

(٥) السابق ص ٣٠

(٦) السابق ص ٣١٧

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أُنَادِيكَ لَأَنْتَ أَوْ أَحَافُ مِنَ الرَّدَى وَلَا أَرْتَجِي تَأْخِيرَ يَوْمٍ إِلَى غَدٍ
وَلَكِنْ أَنْفَتُ الْمَوْتَ فِي دَارِ غَرْبَةٍ بِأَيْدِي النَّصَارَى الْعُلْفِ مَيْتَةً أَكْمَدِ^(١)
وقوله :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أُيِّتَ وَبَيْنَنَا خَلِجَاتِ وَالدَّرْبِ الْأَشْمِ وَالسِّ
يُنَافِسُنِي فِيكَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ وَكُلَّ زَمَانٍ لِي عَلَيْكَ مُنَافِسُ^(٢)
جميع دلالات الخوف والحشية دلالات تعليلية توضيحية فإيثار الفداء ، كان خوفا وحشية على والدته
الحزينة الوحيدة ، وكان قربى لسيف الدولة .

ج- ألفاظ ارتبطت بالطبيعة :

بين شعر الحنين وعناصر الطبيعة صلة عميقة تؤدي إلى التمازج والتداخل بينهما ، إذا ما ابتعد الشاعر
عن الوطن والأحباب ولعل نموذج العيد والحمامة في الروميات ، أبرز ما يدلنا على الحنين إلى ربوع
الوطن ، ووقوف الأسر والقضبان حائلا دون التمتع بهما فتغيرت المفاهيم لتلك العناصر والتي بدورها
حملت ما حملة الشاعر من أسى وحزن يقول :

أَيَا جَارَتَا مَا أَنْصَفَ الدَّهْرَ بَيْنَنَا تَعَالَى أَقَاسِمْكَ الْهُمُومِ تَعَالَى
تَعَالَى تَرِي رُوحاً لَدَيَّ ضَعِيفَةً تَرَدَّدُ فِي جِسْمٍ يُعَذِّبُ بِأَلِ
أَيْضُحِكَ مَأْسُورٌ وَتَبْكِي طَلِيقَةً وَيَسْكُتُ مُحْزُونٌ وَيَنْدُبُ سَالِ^(٣)

فالحمامة أصبحت جزء من التجربة الشعورية ، فكانت رابطا هاما يربط الحمامة بالذات الأليمة الجريحة
، لتوحد الأسباب والمسببات بينهما ، فالحمامة وأبو فراس قد فارقا أوطانها وبتوا شاكين باكين فكان
للشاعر : ((أن يستجدي للموضوعات الجمالية التي يراها نفسية كانت أم طبيعية أم انسانية))^(٤)

وفي وصف العيد يقول :

(١) السابق ص ٨٣
(٢) الديوان ص ١٧٦
(٣) السابق ص ٢٣٨
(٤) النقد الأدبي الحديث ص ٣٧٠

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

يَا عَيْدُ مَا عُدْتَ بِمَحْجُوبٍ عَلَى مُعْنَى الْقَلْبِ مَكْرُوبٍ

يَا عَيْدُ قَدْ عُدْتَ عَلَى نَاطِرٍ عَن كُلِّ حُسْنٍ فِيكَ مَحْجُوبٍ^(١)

العيد هو رمز التجديد ولكنه لم يكن كذلك ، بل كان موزعا للحزن والألم فيما يحل العيد وأبو فراس خلف القضبان ، فجعل الشاعر العيد رمزا لتوقف الزمن النسبي في مخيلة الشاعر فلم يعد هذا العيد جميلا ولا مشرقا ، هفت بريقه وخبا جماله ، وكأنه مرآة تعكس خلجات الشاعر النفسية .

ومما سبق نجد التكثيف الشعوري للمفردة اللفظية والتي أثقلها الشاعر بهومومه وآسيه .

فالروابط الشعورية لم تكن قاصرة ، بل تتشعب وتتوسع تلك الروابط عندما تشمل الليل ، الموت المرأة وغيرها ، وقد سبقت الإشارة إلى الدلالة عليها في مباحث سابقة .

(١) الديوان ص ٣٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

رابعاً : الروابط الموسيقية : (الإيقاع الوزني ، الإيقاع الداخلي) :

للموسيقى تأثير فعال في بلورة التشكيل الجمالي للنص الشعري ، فتهتز أهمية الشعر في تفاعل الموسيقى الخارجية الناتجة عن الوزن الشعري وأنظمة تشكيل القافية مع الموسيقى الداخلية ، والتي تنبثق من النظام الصوتي للحرف مع الحرف أو الكلمة مع الكلمة إلى تعانق الجملة بالجملة ، "وهي من أبرز الظواهر التي تميز الشعر عن سائر الفنون الإبداعية ، فتأخذ دورها الحساس كأهم بنية بنائية من الأدوات"^(١).

فالتشكيل الموسيقي موضوع قد عني به النقاد منذ القدم للحفاظ على النص الشعري وطريقة تركيبه ، فكانت الخصائص الموسيقية هي البنية الأساسية للشعر ، وهو عند قدامة بن جعفر "قول موزون مقفى يدل على معنى"^(٢).

وعند ابن فارس : "الشعر كلام موزون مقفى دال على معنى ويكون أكثر من بيت"^(٣).

فالوزن ضرورة في صناعة الشعر : و"الوزن أعظم أركان الشعر و أولها به خصوصية وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة."^(٤)

فالموسيقى مما سبق هي علم العروض المشتمل على الوزن والقافية : "فقد استخدم بعض النقاد مصطلحات شتى في الحديث عن موسيقى الشعر ، ومن ذلك الموسيقى الداخلية والموسيقى الخارجية والموسيقى الظاهرة والموسيقى الخفية."^(٥) وقد عرفه عبد العزيز عتيق : "أن العروض هو علم موسيقى الشعر ، وعلى ذلك يكون هناك صلة بينه وبين الموسيقى بصفة خاصة وهذه الصلة تتمثل في الجانب الصوتي فالموسيقى تقوم على تفسير الجمل إلى مقاطع صوتية تختلف طولاً وقصراً أو إلى أصوات صوتية

(١) دراسة أسلوبية في شعر أبي فراس الحمداني- رسالة ماجستير - نهيل فتحي - جامعة النجاح الوطنية - ١٩٩٩ م ص ١٦٤.

(٢) نقد الشعر - قدامه بن جعفر - تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ص ٦٤.

(٣) الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وفنون العرب في كلامها - أحمد بن فارس الرازي - تحقيق الدكتور : عمر فاروق - مكتبة المعارف - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ص ٢٦٥.

(٤) العمدة ص ١٢٠

(٥) موسيقى الشعر العربي - دراسة فنية وعروضية د. حسني عبد الجليل يوسف الجزء الأول - دار نشر الهيئة المصرية - ١٩٨٩ م ص ١٤.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

معينة

على نسق معين" (١).

أولاً : الإيقاع الوزني :

"يعد الإيقاع الوزني بنية أساسية في الشعر ، وهو كلام يستغرق التلفظ به مدداً من الزمن متساوية الكمية" (٢).

فالأوزان المستعملة وبنية تكرارها ، مكننا من وضع تصوير لترتيب البحور حسب أكبر عدد للأبيات أو القصائد والتي نظمت عليها الروميات :

١- الطويل :

"وهو أشهر البحور وأقدمها وأكثرها دوراناً على ألسنة الشعراء" (٣).

وكان له حظ وافر في الروميات ، فبلغت الروميات في هذا البحر وحده تسع عشرة قصيدة ب ٣٦٤ بيتاً ، وكان مرد شيوع هذا البحر تحديداً في قصائده هو ما امتاز به من نفس طويل وما اشتهر به من الجدية في الموضوعات فهو : "بحر الجلالة والنبالة والجد والعبث الغزلي لا يستقيم فيه ، وإنما يصلح فيه الغزل إذا مازجه نغمة من جد وعمق" (٤).

كما امتاز بالطول الذي يعطي للشاعر القدرة على التعبير عن خلجات نفسه ، وتجاربه الأليمة في الأسر : "فهو أطول الشعر" (٥) ، "وقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن" (٦).

وقد وجد أبو فراس أهمية هذا البحر على وجه الخصوص فنظم غالبية الروميات عليه؛ لملائمته نفسيته من جهة ، وميل غالبية الشعراء من جهة أخرى .

ومما نظمه على البحر الطويل كان أبرز المطالع منها ما يلي :-

(١) علم العروض والقافية - د . عبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٤٠٧ هـ -

١٩١٧ م ص ١٢ .

(٢) أبو فراس الحمداني في روميته ص ١٨٥ .

(٣) موسيقى الشعر العربي د. حسني عبد الجليل ص ٣٤

(٤) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها - عبدالله الطيب - الجزء الأول ، الطبعة الثانية الكويت ١٩٨٩م - ١٤٠٩ هـ ص ٤٦٧

(٥) البناء العروضي للقصيدة العربية د. محمد حماسة عبد اللطيف - دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ص ١٠٠ .

(٦) موسيقى الشعر د . ابراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة الثانية ١٩٥٢ م ص ٥٧ .

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أما لجميلٍ عندكُ كن ثوابُ	ولا لمسيئٍ عندكُ كن متّابُ ^(١)
فَلَا تَصِفْنِ الحَرْبَ عِنْدِي فَإِنَّهَا	طَعَامِي مَدِّ بَعْتُ الصَّبَا وَشَرَابِي ^(٢)
أَيَّتُ كَأَنِّي لِلصَّبَابَةِ صَاحِبُ	وَلِلنَّوْمِ مُدُّ بَانَ الخَلِيْطُ مُجَانِبُ ^(٣)
نَدَبْتُ لِحُسْنِ الصَّبْرِ قَلْبَ نَجِيبِ	وَنَادَيْتُ بِالتَّسْلِيمِ خَيْرَ مَجِيبِ ^(٤)
أَتَرْعُمُ يَا ضَخْمَ اللِّغَادِيدِ أَنَّنَا	وَنَحْنُ أَسْوَدُ الحَرْبِ لَا نَعْرِفُ الحَرْبَا ^(٥)
قَنَاتِي عَلَى مَا تَعْهَدُ انِ صَلِيْبَةُ	وَعُوْدِي عَلَى مَا تَعْلَمَانِ
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَرْتُ بِفِرَاقِنَا	يَدُ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ مَنْ هُوَ حَارِثُ ^(٧)
لَقَدْ كُنْتُ أَشْكَو البَعْدَ مِنْكَ وَبَيْنَنَا	بِلَادُ إِذَا مَا شِئْتُ قَرَبَهَا
دَعْوَتُكَ لِلحَفْنِ القَرِيحِ المُسَهَّدِ	لَدِيَّ وَلِلنَّوْمِ القَلِيلِ المُشَرَّدِ ^(٩)
لِمَنْ جَاهَدَ الحُسَادِ أَجْرُ المَجَاهِدِ	وَأَعْجَزَ مَا حَاولْتُ إِرْضَاءَ حَاسِدِ ^(١٠)
تَمَنَيْتُمْ أَنْ تُفْقِدُونِي وَإِنَّمَا	تَمَنَيْتُمْ أَنْ تُفْقِدُوا العَمْرَ أَصِيدَا ^(١١)
وَلَمَّا تَخَيَّرْتُ الاخْلَاءَ لِمِ أَجْدِ	صَبُورًا عَلَى حِفْظِ المُوَدَّةِ وَالْعَمْرَ هَدِ ^(١)

(١) الديوان ص ٢٤

(٢) الديوان ص ٣٣

(٣) السابق ص ٣٥

(٤) السابق ص ٤٠

(٥) السابق ص ٤٢

(٦) السابق ص ٥٦

(٧) السابق ص ٦٢

(٨) السابق ص ٧٩

(٩) السابق ص ٨٢

(١٠) السابق ص ٨٧

(١١) السابق ص ٩٠

أرَاكَ عَصِي الدَّمْعِ شِيمَتَكَ الصَّبْرُ
أما للهوى نُهِي عَلِيَّكَ وَلَا أَمْرُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَيْتَ وَيِّنَنَا
خَلِيحَانِ والدَّرْبُ الْأَشْمُ وَالسُّسُ^(٣)
أَبِي غَرَبُ هَذَا الدَّمْعِ إِلَّا تَسْرَعًا
وَمَكُونُ هَذَا الْحُبِّ إِلَّا تَضُوعًا^(٤)
مُصَايِي جَلِيلٌ وَالْعَزَاءُ جَمِيلٌ
وظَنِّي بَأَنَّ اللَّهَ سَـوْفَ يُدِيلُ^(٥)
وَلِلَّهِ عِنْدِي فِي الْإِسَارِ وَغِيْرِهِ
مَوَاهِبُ لَمْ يُحْصِصْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي^(٦)
أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقَرْبِي حَمَامَةٌ
أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي^(٧)
إِذَا كَانَ فَضْلِي لَا أُسَوِّغُ نَفْسَهُ
فَأَفْضَلُ مِنْهُ أَنْ أُرَى غَيْرَ فَاضِلٍ^(٨)

٢- الكامل:

ويأتي في المرتبة الثانية ، من ناحية عدد القصائد ، وهو أحد البحور الرئيسية وسمي الكامل : "التكامل
حركاته وهي ثلاثون حركة ، ليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره" ^(٩) ، "وله مقياس واحد هو
(متفاعلن) ولا يرد هذا المقياس إلا في هذا البحر" ^(١٠) .

وقد ورد في الروميات تاما ومجزؤا ، فالتام لم ينظم عليه إلا قصيدة واحدة :

(١) السابق ص ٩٥

(٢) الديوان ص ١٥٧

(٣) السابق ص ١٧٦

(٤) السابق ص ١٨٣

(٥) السابق ص ٢٣٢

(٦) السابق ص ٢٣٧

(٧) السابق ص ٢٣٨

(٨) السابق ص ٢٤٦

(٩) البناء العروضي ص ٤٢

(١٠) موسيقى الشعر : ابراهيم أنيس ص ٦١ - ٦٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أَعَزَّ أَنْتَ عَلَى رُسُومِ مَعَانٍ فَأُقِيمَ لِلْعَبْرَاتِ سَوْقَ هَوَانٍ^(١)

ومجزوء الكامل قد ورد له سبع قصائد ومقطوعات وبلغت عدد أبياتها تامة ومجزوءة مائة وثمانية وسبعين بيتا ما بين الشكوى أو الفخر والعتاب والزهد، وقد لائم هذا البحر اللين والرقة التي واكبت ذات الشاعر من خلال الشكوى والحنين "وهو أكثر البحور جدجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى، يجعله إن أريد به الجدل فخما جليلا، ويجعله إن أريد به الغزل وما بمجره من أبواب اللين والرقة، حلوا مع صلصلة كصلصلة الأجراس"^(٢)

وأبرز مطالع مجزوء الكامل :

إِنْ زَرْتُ خَرَشَنَةَ أَسِيرًا فَلَكُمْ أَحَطَّتْ بِمَا مُغِيرًا^(٣)
مَا لِلْعَبِيدِ مَنْ أَلْذِي يَقْضِي بِهِ اللَّهُ امْتِنَاعُ^(٤)
بِالْكُرْهِ مَنِّي وَاخْتِيَارِكُ أَنْ لَا أَكُونَ حَلِيْفَ دَارِكُ^(٥)
هَلْ تَعْطِفَانِ عَلَى الْعَلِيلِ لَا بِالْأَسِيرِ وَلَا الْقَتِيلِ^(٦)
قِفْ فِي رُسُومِ الْمُسْتَحَابِ وَحَايِي أَكْتَفِ الْمَصَلِّي^(٧)
يَا سَيِّدِي أَرَاكُمَا لَا تَذْكُرَانِ أَنْحَاكُمَا^(٨)
لَوْلَا الْعَجْوُزُ بِمَنْبِجِ مَا خِفْتُ أَسْبَابَ الْمَنِيهِ^(٩)

٣- السريع :

(١) الديوان ص ٣٠٢

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ص ٣٠٢

(٣) الديوان ص ١٥٥

(٤) السابق ص ١٨٨

(٥) السابق ص ٢٠٣

(٦) السابق ص ٢٣٥

(٧) السابق ص ٢٣٩

(٨) السابق ص ٢٧٤

(٩) السابق ص ٣١٧

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

"وهو من الأبحر الثلاثية الوحدة ووحده تتكرر مرتين كل مرة في شطر"^(١)

ويعد من أقدم البحور في الشعر العربي ، إلا أنه قليل "لأننا نشعر باضطراب في الموسيقى لا تستريح إليه الآذان ، إلا بعد مران طويل"^(٢)

وقد وصلت روميات أبي فراس فيها إلى خمس قصائد ، بمعدل أربعة عشر بيتا جمعت بين الشكوى والحنين وامتاز هذا البحر بـ "البطء والتأني"^(٣) ؛ مما أسهم في ترجمة عاطفة الشاعر المليئة بالمناجاة لبعده عن الأحبة وفراقهم .

ومن أبرز المطالع :

يَا عَيْدُ مَا عُدْتَ بِمَحْبُوبِ	عَلَى مُعْنَى الْقَلْبِ مَكْرُوبِ ^(٤)
يَالَيْلُ مَا أَغْفَلُ عَمَّا بِي	جَبَائِي فِيكَ وَأَحْبَابِي ^(٥)
إِرْثِ لِي صَبِّ فِيكَ قَدْ زِدْتُهُ	عَلَى بَلَايَا أَسْرِهِ أَسْرًا ^(٦)
إِلَيْكَ أَشْشُكُو مِنْكَ يَا ظَالِمِي	إِذْ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ مُعَدِّ عَلَيْكَ ^(٧)
قَدْ عَذَّبَ الْمَوْتُ بِأَفْوَاهِنَا	وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ الذَّلِيلِ ^(٨)

٤- الوافر :

وسمي بذلك : "لتوافر حركاته .. وقيل سمي وافراً لوفور أجزائه"^(٩) وهذا البحر شائع وحسن الموسيقى الموسيقى : "تستريح له الآذان ، وتطمئن النفوس عند السماع أو الإنشاد"^(١٠) ، "ويلاتم الأداء العاطفي

(١) البناء العروضي ص ١٣٠

(٢) موسيقى الشعر ص ٨٨

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب ص ١٨٢

(٤) الديوان ص ٣٤

(٥) السابق ص ٥٧

(٦) السابق ص ١٥٦

(٧) السابق ص ٢٠٣

(٨) السابق ص ٢٤٦

(٩) البناء العروضي ص ٣٤

(١٠) موسيقى الشعر ص ٧٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

في الغضب والحماسة أم في الغزل والحنين" ^(١) وبلغت الروميات فيه خمس قصائد بأربعة وتسعين بيتاً ، شملت الرثاء والعتاب والشكوى والهجاء .

زَمَانِي كُلُّهُ غَضَبٌ وَعَتَبٌ
وَأَنْتَ عَلَيَّ وَالْأَيَّامُ إِلْبُ ^(٢)
أَيَّامُ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غَيْثٌ
بِكُرِّهِ مِنْكَ مَالَقِي الْأَسِيرِ ^(٣)
ضَلال ما رأيتُ من الضلال
مُعَاتِبَةُ الْكَرِيمِ عَلَى النَّوَالِ ^(٤)
أَسِرْتُ فَلَمْ أَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا
وَلَا حَلَّ الْمَقَامِ لَنَا حُزَامًا ^(٥)
يَعِزُّ عَلَيَّ الْأَحْيَاةَ بِالشَّامِ
حَبِيبُ بَاتَ مَمْنُوعَ الْمَنَامِ ^(٦)

٥- المتقارب :

"ويتكون الشطر من هذا البحر من المقياس ((فعولن)) مكررا أربع مرات" ^(٧)
وسمي متقارب لأنه : "قريب القرابة بالرمل والوافر ، وله قربي مع الطويل والخفيف" ^(٨)
وقد تميز بحر المتقارب بنغمه اليسير ، وهو من البحور القليلة في شعر العرب وهو : "بحر فيه رنة ونغمة مطربة، على شدة مأنوسة" ^(٩)

وقد ورد تاما ومجزؤا فالتام قصيدتان ، والمجزؤ قصيدة واحدة ، وقد بلغت عدد أبياتها خمسين بيتاً .
وبالرغم من قلة استخدام هذا الوزن في الروميات ، إلا أن أجمل خطاب توجه به أبو فراس معاتباً فيه سيف الدولة ، كان في قصيدتين نظمت على هذا البحر

تَقَرَّرْ دُمُوعِي بِشَوْقِي إِلَيْكَ
وَيَشْهَدُ قَلْبِي بِطَوْلِ الْكَرْبِ ^(١٠)

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ص ٤٠٦

(٢) الديوان ص ٣١

(٣) السابق ص ١٦٢

(٤) السابق ص ٢٠٨

(٥) السابق ص ٢٥٣

(٦) السابق ص ٢٧٥

(٧) موسيقى الشعر ص ٨٤

(٨) المرشد إلى فهم أشعار العرب ص ٣٧٩

(٩) النغم الشعري ص ١٧

(١٠) الديوان ص ٢٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

أَسَيْفَ الْهُدَى وَقَرِيحَ الْعَرَبِ عَلَامَ الْجَفَاءِ وَفَيْمَ الْغَضَبِ^(١)

ومجزوء المتقارب وهي قصيدة واحدة :

لَأَيْكُمُ أَدْكُمُ وَفِي أَيِّكُمُ أَفْكُمُ^(٢)

٦- البسيط :

وسمي بسيطا : "لأن الأسباب انبسطت في أجزائه السباعية وهي مستفعلن"^(٣) وقد نظم الشاعر عليها ثلاث قصائد في روميته ، بأربع وعشرين بيتا ، وأبرزها في الرثاء لمناسبة البحر على استيعاب المعاني الرقيقة فيمتاز بالرفقة والجزالة"^(٤)

ومطالعها على النحو التالي :

وَعَلِيَّ لَمْ تَدَعْ قَلْبًا بَلَاءً أَلَمِ سَرَّتْ إِلَى طَلَبِ الْعَلِيَا وَغَارِبَهَا^(٥)

أَوْصِيكَ بِالْحُزْنِ لَا أَوْصِيكَ بِالْجُلْدِ جُلَّ الْمُصَابُ عَنِ التَّعْنِيفِ وَالْفَنْدِ^(٦)

يَا عَمَّرَ اللَّهُ سَيِّفَ الدِّينِ مُغْتَبِطًا فَكُلَّ حَادِثِهِ يُرْمَى بِهَا جَلَلُ^(٧)

فأصل البسيط "رجزي"^(٨) ولهذا لم يخل من الجلبة ، فساهم في إحداث إيجاء من خلال هذا البحر ، والذي تمثل في إطلاق العنان للمشاعر المتألمة و الجريحة عند الشاعر .

٧- الرمل:

(١) السابق ص ٢٨

(٢) الديوان ص ١٥٣

(٣) البناء العروضي ص ١٠٨

(٤) النغم الشعري ص ١٦

(٥) الديوان ص ٢١

(٦) السابق ص ٧٥

(٧) السابق ص ٢٠٥

(٨) المرشد إلى فهم أشعار العرب ص ٤٤٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وهو من البحور الخفيفة وسمي كذلك : "لأن الرمل نوع من الغناء يخرج من هذا الوزن ، والرمل ضرب من السير يسمى الهرولة"^(١)، وفي الروميات لم يرد إلا مجزوءاً بمقطوعة قصيرة من ثلاثة أبيات تضمنت غرض الغزل وهو الغرض الذي يتطلب النشوة والحياة والطرب وكان مجزوء الرمل ملائماً له : " ففسي رنته نشوة وطرب "^(٢)

كما أنه "حسن الموسيقى ، فتطمئن إليه النفوس"^(٣)

إِنَّ فِي الْأَسْرِرِ لَصَبَابًا دَمْعُهُ فِي الْخَدِّ صَافٍ^(٤)

٨- المنسرح:

بحر المنسرح من "الأبجر الثلاثية الوحدة ، فتكرر مرتين في البيت"^(٥)، ويمتاز بقلته في النظم عليه : "أما "أما القدماء فقد نظموا منه على قلة أيضا ، وإن كثرت قصائده في عصور العباسيين وتنوع وزنه"^(٦) وقد نظم عليه أبو فراس قصيدة واحدة بلغت خمسة وأربعين بيتاً تضمنت الشكوى والعتب مما وجد غايته في بحر المنسرح الذي فيه "نفحة من نوح"^(٧) يقول :

يَا حَسْرَةً مَا أَكَادُ أَحْمِلُهَا أَخْرَهَا مُزْعِجٌ وَأَوْلَهُهَا^(٨)

٩- الخفيف :

"من الأبجر الثلاثية الوحدة ((فاعلاتن مستعلن فاعلاتن)) وهو من البحور التي استخدمت بكثرة في الشعر الحديث"^(١) ونجد أن هذا البحر يمتاز ببذل الجهد ، والعت عند نظمه: "قد وجد النظم منه جهدا جهدا وعتنا"^(٢)

(١) البناء العروضي ص ٧٣

(٢) المرشد ص ١٤٨

(٣) موسيقى الشعر ص ١٢٣

(٤) الديوان ص ٣٠

(٥) البناء العروضي ص ١٣٧

(٦) موسيقى الشعر ص ٩٣

(٧) المرشد ص ٢٢١

(٨) الديوان ص ٢٤١

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وفي الروميات نجد مقطوعة واحدة فقط ، بأربعة أبيات كانت في الإخوانيات ، وهو ما امتاز به بحر الخفيف "كثير منها مقاطع" ^(٣) ويلائم هذا البحر الإخوانيات لفخامته "والخفيف صوب الفخامة" ^(٤) حيث أن الإخوانيات تحتاج إلى حسن الخطاب ودقة الأسلوب وتهذيب العبارة .

فكان الطويل من أكثر البحور شيوعاً في الروميات ، وكان أكثر تعبيراً عن الشكوى والعتاب والمديح والفخر والغزل ، ويليه الكامل ، وهي بحور تسيّر لما تنفعل النفس لها ، وتطرب الأذن بما فنجد أن الشكوى والعتاب ، قد تقاطعت مع غالبية البحور وإن اختص البسيط بالثناء .

مُعْرَمٌ مُؤَلِّمٌ جَرِيحٌ أَسِيرٌ إِنَّ قَلْبًا يَطِيقُ ذَا لَصَابُورٍ ^(٥)

مما سبق نجد أن البحور الثلاثة الأخيرة تدل على قلة استخدامها ، وإن بلغت أحياناً أبياتاً طويلة للقصيدة الواحدة .

القافية :-

تعد القافية من أبرز الوسائل الفنية لصياغة الفن الشعري وهي عبارة عن تشابه في اللفظ والحروف والوزن والتشكيل .

فالقافية : "حرف أو بعض كلمة ومرة كلمة ومرة كلمتين" ^(٦)

وهي : "الحروف التي يلتزمها الشاعر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة وقد تبدأ من آخر حرف ساكن في البيت إلى أول ساكن سبقه مع الحرف المتحرك الذي قبل الساكن" ^(٧) ، وهو "علم بأصول يعرف به أحوال أواخر الأبيات الشعرية من حركة وسكون ولزوم وجواز وفصيح وقبيح" ^(٨)

فالقافية ماهي إلا تكرار لأصوات في أواخر الأبيات ، ومن خلال حصر القافية في روميات أبي فراس اشتملت على نوعين من القافية :

(١) البناء العروضي ص ١٢٣

(٢) موسيقى الشعر ص ٧٩

(٣) المرشد ٢١٥

(٤) السابق ص ٢١٨

(٥) الديوان ص ١٥٢

(٦) العمدة ص ١٣٢

(٧) العروض الواضح وعلم القافية د. محمد علي الهاشمي - دار القلم-دمشق - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ص ١٣٥

(٨) المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر عدنان حقي - دار الرشيد - دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ص ١٤٧-١٤٨

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

مطلقة ومقيدة مشتملة على مقاطع صوتية متباينة ((الروي)) فكانت ذات خصائص دلالية صوتية مختلفة

١ - القافية المطلقة :-

لقد أحسن أبو فراس اختيار الروي ليجيء ملائما للحالة النفسية والتجربة الشعورية وهذا ما يطالعنا في قصائده . فالقافية المطلقة هي "ما كان رويها متحركا" ^(١) فكان الروي متحركا في الروميات بالضم تارة وبالكسر والفتح تارة أخرى في ثلاث وأربعين قصيدة وعدد الأبيات ٦٩٢ بيتا .

الروي المضموم : وبلغ ١٦ قصيدة بـ ٣١٧ بيتا وأشهرها رائيته الشهيرة :

أراك عصيِّ الدَّمْعِ شيمتكَ الصَّبْرُ أما للهوى نهيُّ عليك ولا أمرُ ^(٢)

الروي المكسور : وبلغ ١٨ قصيدة بـ ٢٦٩ بيتا ومن ذلك :

أَتَعِزُّ أَنْتَ عَلَيَّ رَسُومَ مِغْنَانٍ فَأَقِيمَ لِلعَبْرَاتِ سَوَاقَ هَوَانٍ ^(٣)

ج - الروي المفتوح : وبلغت قصائدها سبع قصائد بتسعة وتسعين بيتا وأبرز ما نظمها منها .

أبي غربُ هذا الدَّمْعِ إلا تسرَّعا ومكنونَ هذا الحبِّ إلا تَضوُّعا ^(٤)

وعلى هذا نجد أن أكبر عدد للأبيات المنظومة قد نظمت على الروي المضموم وقد كثر مع الباء ويليه المكسور ثم المفتوح وهو أقلها .

فالروي المضموم روي يدل على العزة والكبرياء والمكسور دل على الرقة والعطف والحنين وغلب على المفتوح الانكسار والاستعطاف .

فنجد مما سبق أن الروي غالبا ما كان ملائما لغرض الشاعر ونفسيته المتألمة وكأن الروي مكملا لتلك التجربة الشعورية بنغمها ومدها .

٢ (القافية المقيدة :-

(١) العروض الواضح ص ١٤١

(٢) الديوان ١٥٧

(٣) السابق ص ٣٠٢

(٤) السابق ص ١٨٣

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وهي عكس القافية المطلقة وهو ما كان ساكنا رويها وقد وردت في قصيدتين وأربع مقطوعات :

الباء : قصيدة ومقطوعة بـ ٣٢ بيتاً

الكاف : مقطوعتين بـ ٥ أبيات .

الهاء : قصيدة فقط بـ ١٥ بيتاً .

وبهذا نجد أن القافية المقيدة هي قليلة الحظ في الروميات؛ بورود قصيدتين وأربع مقطوعات فقط .

وعلى وجه العموم نجد أن الشاعر قد اتخذ اثني عشر رويًا هي :

(الباء والثاء والذال والراء والسين والعين والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء) فابتعد عن :

القوافي المنفرة مثل الصاد والطاء والهاء الأصلية والواو^(١)

وأيضاً "مما يشير إلى براعة الشاعر في مقدرته على إبراز تجليات النفس إخراجاً متنوعاً متجدداً لا يعتمد

على الثبوت والجمود"^(٢)

وعليه نجد أن القافية والوزن هما وجهان لعملة واحدة ولإكمال الإبداع الفني للشعر .

ثانياً: الإيقاع الداخلي :

التجمعات الصوتية المتماثلة والمتجانسة هي ما يخلق إيقاعات جديدة تتولد من النسيج الداخلي للقصيدة

مسهمه في إغناء القافية .

فهو "بنية جوهرية إن صح تعبير فتصور عن قدرة الشاعر على اختيار الكلمات المناسبة والنظام الذي

تعاقب عليه مع تلاؤم حروفها وحرركاتها"^(٣)

أو هو: "الإيقاع الهامس الذي يصدر عن الكلمة الواحدة بما تحمل في تأليفها من صدى ووقع حسن

وجمالها من رهافة ودقة وتأليف و انسجام حروف"^(٤)

(١) موسيقى الشعر – دراسة فنية عروضية ص ١٣٩

(٢) أبو فراس الحمداني حياته وشعره د. عبدالجليل حسن عبد المهدي ص ٣٩٨

(٣) أبو فراس الحمداني في روميته ، د. خالد الحلبي ص ١٨٨

(٤) الإيقاع في الشعر العربي – عبد الرحمن ألوجي – دار الحصاد – الطبعة الأولى ١٩٨٩ م ص ٧٤

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وقد اندمجت التعاريف السابقة تحت ما اسموه البلاغيون القدمات بفصاحة اللفظ: "وخلوصه من تنافر الحروف .

والغرابة ومخالفة القياس اللغوي"^(١)

إن تجانس الحروف والألفاظ ساق لنا جرساً إيقاعياً تمثل في عدة مستويات من خلال الروميات :

أ- الأصوات ودلالاتها المعنوية :-

الأصوات ترجمت نفسية داخلية تنبثق من داخل النص لتكون لنا معاني رمزية في مكوناتها وسكناها واتساقها وتكرارها .

ومن أبرز الأصوات التي تواتت في الروميات على سبيل المثال حرف السين :

أَيَا أُمَّ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غِيثٌ بِكُرِّهِ مِنْكَ مَا لَقِيَ الْأَسِيرُ

أَيَا أُمَّ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غِيثٌ تَحْيِيرَ لَا يُقِيمُ وَلَا يَسِيرُ

أَيَا أُمَّ الْأَسِيرِ سَقَاكَ غِيثٌ إِلَى مِنَ بِالْعِدَا يَأْتِي الْبَشِيرُ^(٢)

لقد ساهم حرف السين في إبراز الحسرة والألم المتجسدة في ذات الشاعر البائسة .

ويقول في الكاف :

إِلَيْكَ أَشْكُو يَا ظَالِمِي إِذْ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ مُعَدِّ عَلَيْكَ

أَعَانَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ أَعْنَن مِنْ لَيْسَ يَشْكُو مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ^(٣)

إن دلالة الكاف في ((إليك - أشكو - عليك - أعانك)) هي دلالة شكوى خالصة بثها الشاعر من

خلال الأبيات .

وفي الدال :

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ وَفِي اللَّيْلِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقِدُ الْبَدْرُ^(٤)

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفاتيح في علوم البلاغة - عبد المتعال الصعدي - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع -

الرياض - الجزء الأول - الطبعة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ص ١٠

(٢) الديوان ص ١٦٢

(٣) السابق ص ٢٠٣

(٤) السابق ص ١٦١

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

الدال في (جد - جدهم - يفتقد - البدر) هي إيجاءات بالجد والعزة والأنفة والتي كثير ما تغنى بها الشاعر في رومياته .

والنون أيضًا :

وأنا الذي ملاً البسيطة كلّها ناري وطمّنب في السّماءِ دُخاني^(١)

نجد التوظيف هنا قد أبرز لنا الاعتزاز بالنفس ، فالأصوات الداخلية قد ساهمت في إبراز المعاني والمقاصد والتي رغب الشاعر في إبرازها .

ب- المد ودلالاته :-

إن من أبرز الايقاعات الداخلية في رسم ذاتية أبي فراس هي المد والتي كانت من أبرز السمات اللغوية، مما يعطى ترجمة نفسية شعورية :

ياسَـــــــيِّدي أراكمـــــــا لا تـــــــذكّرانِ أخاكمـــــــا^(٢)

فلاحظ صوت الألف يتكرر بشكل لافت (أراكما) ، (لا تذكران) ، (أخاكما) .

وقد برزت لاميته الشهيرة بتشكيل موسيقى صوتي :

مُصايبي جليلٌ و العزاء جميلٌ وظنّني بأنّ الله سوف يديّلُ

جراحُ تحامها الأساةُ مخوفةٌ وسقمانِ بادٍ منهما ودخيلُ^(٣)

الآبيات زاخرة بأصوات المد ، الواو ، والياء ، والألف تظهر لنا كمية الألم والحزن المفرغة من خلال موسيقى داخلية مديّة .

فنجد : جليل - جميل - يديل - جراح تحامها - أساة - مخوفة - سقمان - دخيل .

فتؤثر أصوات المد في ترك بصمة موسيقية غنية .

(١) الديوان ص ٣٠٤

(٢) السابق ص ٢٧٤

(٣) السابق ص ٢٣٢

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

ج - التكرار :-

إن تكرار الحروف والكلمات وحتى الجمل ساهمت في إبراز المدلول العام للبيت أو القصيدة .
ومن أبرز مظاهر التكرار هو من خلال تكرار أدوات الاستفهام أو النفي أو النداء ، فكانت
الاستفهامات والنداءات المتعاقبة إنما هي استغاثات ملحة للرفقة بحاله يقول :

يا واسع الدار كيف توسرُ عُمها ونحن في صخرة نُزَلُّ لُها
ياناعم الثوب كيف تُبدله ثيابنا الصّوف ما نُبدلُه
ياراكب الخيل لو بصرت بنا نَحْمِلُ أقيادنا وننقلُه^(١)
وقوله :

يا مَنْ رأى لي بحصنٍ خرشنةً أسد الشرى في القيودِ أرجلها
يا مَنْ رأى لي الدروبَ شامخةً دون لقاء الحبيب أطولها
يا مَنْ رأى لي القيودَ مؤثقةً على حبيب الفؤادِ أثقلها^(٢)

إن النداءات المتكررة هي وسيلة لإبراز الذات السائلة في طلب الغداء والحرية .

وفي النفي نجد تعبيرات الفخر والإباء حين يقول :

أنا الجارُ لازادي بطيءٌ عليهم ولادون مالي للحوادثِ بآبُ
ولا أطلبُ العوراءَ منهم أ صيها ولا عورتِي للطالينِ تُصابُ^(٣)

د - التقسيم :-

"وقد ينشأ هذا الإيقاع اللفظي من اتسام البيت إلى أقسام متشابهة في ترتيبها النحوي"^(١) وفي الروميات
الروميات يظهر التقسيم كعنصر موسيقي جعل البيت ينقسم إلى وحدات وزنية متكررة .

(١) الديوان ص ٢٤٣

(٢) السابق ص ٢٤١

(٣) السابق ص ٢٥-٢٦

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

يقول :

أَنْتَ سَمَاءٌ وَنَحْنُ أَنْجُمُهَا أَنْتَ بِلَادٌ وَنَحْنُ أَجْبَلُهَا
أَنْتَ سَحَابٌ وَنَحْنُ وَابِلُهُ أَنْتَ يَمِينٌ وَنَحْنُ أَنْمُلُهَا^(٢)

وقوله :

أَيْضُحْكُ مَأْسُورٌ وَتَبْكِي طَلِيقَةٌ وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ وَيَنْدُبُ سَالٍ^(٣)

إن ارتباط الصديق بالمعنى كان ارتباطاً وثيقاً من خلال الروميات .

هـ - الفنون البديعية :-

إن المحسنات البديعية إنما هي قيم تعبيرية تؤدي إلى تأثير معنوي فاستمت الروميات في شعر أبي فراس الحمداني بالكثير من الوضوح والسهولة، وصدق التجربة والعاطفة. ومن المحسنات والتي احتلت المرتبة الأولى بين فنون البديع هي الطباق:

قوله :

وَقَالَ أَصْحَابِي الْفَرَارُ أَوْ الرَّدَى فَقُلْتُ هُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مُرٌّ^(٤)

لقد تنوع الطباق بين أسماء : (أحلاهما - مر) مما يدل على عمق الطابع المأسوي ، والذي جعل الأسماء المتكافئة متآزرة لإظهاره ، وعليه فإن الطباق له تأثير بلاغي من ناحيتين :

"ناحية لفظية : وذلك بمحيئة في الأسلوب سلسا طبعاً غير متكلف فيخلع عليه جزالة وفخامة ويجعل له وقعا جميلاً مؤثراً وناحية معنوية : بما يحققه من إيضاح المعنى وإظهاره."^(٥)

أما المقابلة لا نجدها كثيراً في شعره فالألفاظ والجمل المتقابلة إنما هي تحقق غايات فكرية وبلاغية عظيمة

وقوله :

فَاطْمَأَنَّ حَتَّى تَرْتَوِي الْبَيْضُ وَالْقَنَا وَأَسْعَبُ حَتَّى يَشْبَعُ الذَّبُّ وَالنَّسْرُ^(١)

(١) نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي د.علي يونس -الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م ص ٤٢٢

(٢) الديوان ص ٢٤٢-٢٤٣

(٣) السابق ص ٢٣٨

(٤) السابق ص ١٦٠

(٥) دراسات منهجية في علم البديع د.الشحات محمد أوستيت الطبعة الأولى- دار خفاجي ١٩٩٤- ص ٥٠ - ٥١

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

وقوله :

وَمِنْ أَضْيَعِ الْأَشْيَاءِ مُهْجَةَ عَاقِلٍ يَجُوزُ عَلَى حَوَائِثِهِمْ حَكْمَ جَاهِلٍ^(٢)

فالتقابل موجود بين شطري البيت كما نجد التقابل الموجود بين العقل والجهل وما يتعلق بهما من الضياع والوجود هما من سخرية الأقدار .

كما وظف الشاعر الجناس كخلق بديعي جميل من خلال أبياته ؛ لزيادة التأثير ولفت الانتباه يقول :

مُصَابِي جَلِيلٌ وَالْعَزَاءُ جَمِيلٌ وَظَنِّي بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُدِيلُ^(٣)

وقوله من الجناس التام هي أيضاً :

زَمَانِي كُلُّهُ غَضْبٌ وَعَتْبٌ وَأَنْتَ عَلَيَّ وَالْأَيَّامُ إِلْبٌ^(٤)

فنجد الجناس بين (جليل - جميل ، غضب ، عتب)،

وفي الجناس التام قوله :

وَمَا أَدْعِي مَا يَعْلَمُ اللَّهُ غَيْرُهُ رَحَابٌ عَلَيَّ لِلْعُفَاةِ رِحَابٌ^(٥)

الجناس بين (رحاب - رحاب) .

هنا يعطى الجناس جرساً موسيقياً ينطوي على الإثارة الذهنية للمتلقي كما يكثر الترصيع في الروميات

لقوله:

يَا عَيْدُ مَا عُدْتَ بِمَحْبُوبٍ عَلَى مُعْنَى الْقَلْبِ مَكْرُوبٍ^(٦)

مما سبق نجد أن الفنون البديعية والتي استعان بها الشاعر ما هي إلا جزء لا يتجزأ من الموسيقى الشعرية

متضافرة مع الوزن والقافية ؛ لخلق عمل فني فنجد نظام فني متكامل جمالياً وإيقاعياً .

(١) الديوان ص ١٥٩

(٢) الديوان ص ٢٤٦

(٣) السابق ص ٢٣٢

(٤) السابق ص ٣١

(٥) السابق ص ٢٦

(٦) السابق ص ٣٤

الخاتمة

كان لأسر أبي فراس لدى الروم أثر واضح في روميّاته ، ارتسمت من خلال موضوعات شعره وخصائصه النفسية والفنية ، والتي ترجمتها قصائده ومقطوعاته على دقة حجمها النصي ، ليلقى الشاعر اهتماما كبيرا في بيئة النقاد والمؤرخين العرب والمستشرقين ؛ ليجمعوا ديوانه جمعا وترتيبا وشرحا وتحقيقا مما ساعدنا في إثراء البحث.

ولأن المحور البحثي يدور حول كلمتي الذات والآخر وماتدل عليه ، فقد اهتم الفصل الاول والثاني بالدراسة الموضوعية لتوضيح معنى الذات والآخر وبخاصة لدى العرب ، وتطور مفهومهما الاجتماعي والقبلي ثم الأممي ، مع التأكيد على علاقتها بالآخر واستجلاء الذات الحربية من خلالها والذاتية على حد سواء .

وشعر أبي فراس الذي صور الذات والآخر بأماطها المختلفة ذو الألفاظ السهلة الدالة على المعنى الشعوري ، قد تبلور في الفصل الثالث فتطرق إلى العبارة الشعرية والروابط الدلالية بكافة أشكالها، إضافة إلى المعجم الحربي والموسيقي .

ونظرا لكثرة الدراسات التاريخية والنفسية والوجدانية والدلالية والأسلوبية والجمالية ، نجدنا في هذا البحث قد اتكأنا على الإيجاز في التفسير البلاغي اللغوي والشعوري لشعره ؛ لأنه سيكون ضربا من التكرار والزيادة والتي نربأ بالبحث أن يصل إليه فالتزمت التركيز الشديد الذي لا ينتقص الأطراف اللغوية والبلاغية والشعورية في ظل كثرة الدراسات ، ولإجلاء الذات والآخر الموضوعي في الروميّات .
ومن خلال ما سبق قد توصل البحث إلى عدة نتائج :

— اتفاق المعنى اللغوي والأدبي لمفهوم الذات ، الذي حقق كثير من الجوانب التي تشكل الشخصية من نواح معرفية وجسمية وانفعالية واجتماعية .

— كشفت الروميّات من خلال الذات الجمعية ، عن قدرة الشاعر في التواصل والتكاتف الأسري من جهة ، وشمولية النظرة القومية والأممية ، والذي عززه ماضيه الحربي والقيادي .

— من خلال بحث الآخر في الروميّات تبين أن الآخر بكل قسماته من خلال المكان الذي ميزه محيط الشاعر في السجن والأسر ، وكل أوصافه وعلاقاته كانت ألم أم فخر فإنها جمعت هوية الشاعر وأدت إلى ثوابت ثقافيه ووطنية.

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

- برهن الزمن الذي تشكل من خلال التحولات الزمنية أنه كان عنصرا فاعلا في تجليات النفس البشرية أو الطبيعية التي هي رمز الوجود الإنساني .
- برزت صورة الإنسان من خلال علاقتي العدو والمرأة مرتكزة على محيط الحرب والأسر والعشق ، لتشكل تجربة حياتية خطيرة .
- قلة صور الأسر ودلالات الآلة في الروميات ؛ لانشغال الشاعر بإبراز الصفات الوجدانية الذاتية أكثر من الصور الآلية .
- كما كشفت المناظرات الرومية عن كل ما يتعلق بمفردات الحرب والصور والمواقع والشخصيات ، مما زادها قيمة تاريخية .
- أما في ما يخص السمات المعنوية والتي شكلت القصائد ، فقد احتوت بناء تجارب شعورية جديدة أسهمت في إثراء الروميات .
- كشف المعجم الحربي صورة الذات الحربية في الروميات في مواجهة الآخر ، بألفاظ معينة أكثر من غيرها؛ لارتباطها بموضوع الحرب والأسر والتجربة الوجدانية .
- تظافر الصورة الإيحائية والمباشرة لخلق إبداع فني ، استجلى نوازع الشاعر وخلجاته .
- كشفت الروميات عن التكثيف الشعوري للمفردة اللفظية ، التي أنقلها الشاعر بمومه من خلال الروابط اللغوية والمنطقية والشعورية على حد سواء .
- خرجت الدراسة الموسيقية في الروميات ، بشيوع البحر الطويل ؛لقدرته على التعبير عن الشكوى والعتاب والمديح والغزل .
- كما استخلصت الدراسة بروز القافية المطلقة ، فكانت المقيدة قليلة الحظ في الروميات .
- أظهرت الروميات خلق عمل فني ، من خلال الفنون البديعية والتي شكلت نظاما فنيا متكامل جماليا وإيقاعيا .
- والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أبو فراس الحمداني تأليف خليل شرف الدين _ منشورات دار ومكتبة الهلال - بيروت طبعة ١٩٩٦ م
- أبو فراس الحمداني حياته وشعره للدكتور عبدالجليل حسن عبدالمهدي طبعة عام ١٩٨١ م
- أبو فراس الحمداني شاعر الفروسية والوجدان إعداد د. محمد حمود - دار الفكر اللبناني - بيروت
- أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية د. عبدالمجيد الحر - دار الفكر العربي - بيروت لبنان طبعة أولى ١٩٩٦ م
- الاتجاه القومي في الشعر المعاصر - عمر دقاق - طبعة عام ١٩٦١ م
- أبو فراس الحمداني في روميته د. خالد بن سعود الحليبي - إصدار نادي المنطقة الشرقية الأدبي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ .
- الاتجاه القومي في الشعر المغربي الحديث والمعاصر د. شعيب أوعزوز طبعة أولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م مطبعة الأمنية
- أثر الحرب في تشكيل الصورة الأدبية د. حمد النيل محمد الحسن _ مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها ج ١٩ العدد ٣١ _ ١٤٢٥ هـ .
- الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين _ حسين العودات _ دار الساقى _ بيروت _ لبنان _ الطبعة الأولى ٢٠١٠ م
- الأخوانيات في الشعر العباسي د. محمد عثمان الملا الطبعة الأولى صفر - ١٤١٢ هـ
- أدب الحوار والمناظرة للدكتور علي جريشة - دار الوفاء للطباعة و النشر - الطبعة الأولى ١٤١٠ - ١٩٨٩ م
- أدباء العرب في الأعصر العباسية: حياتهم - آثارهم - نقد آثارهم - بطرس البستاني - دار مارون عبود ١٩٧٩ م
- آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي بيروت - لبنان ١٩٨٦ م مطبعة دار المشرق

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

- استدعاء الرمز المكاني في الشعر العربي القديم- أبو القاسم رشوان- الطبعة الأولى ١٩٩٥م- جامعة القاهرة- مكتبة الآداب
- الأسر والسجن في شعر العرب ، د. أحمد مختار البرزة، مؤسسة علوم القرآن - دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- أسرار البلاغة _ عبدالقاهر الجرجاني النحوي _ تحقيق محمود محمد شاكر - دار المدني _ الطبعة الأولى _ ١٤١٢هـ _ ١٩٩١م.
- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة د.مصطفى سويف _ الطبعة الرابعة دار المعارف.
- إشكالية الهوية والانتماء _ علي حمدان _ المركز الاستراتيجي للدراسات السياسية _ سيدني _ الطبعة الأولى _ ٢٠٠٥م
- أصول النقد الأدبي لـ أحمد الشايب _ مكتبة النهضة المصرية الطبعة العاشرة ١٩٤٤
- الألفاظ المستعملة في المنطق _أبونصر الفارابي_ حققه محسن مهدي _ دار المشرق بيروت _ لبنان _ الطبعة الثانية .
- الأمة القطب نحو تأصيل منهاجي لمفهوم الأمة مني عبدالمنعم أبو الفضل - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
- الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله د. عبدالله الشوكي طبعة ونشر وزارة الأوقاف بالمملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ
- الإنسان في الأدب الإسلامي - د. محمد عادل الهاشمي - مكتبة الطالب الجامعي .
- الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي د . حسين يوسف - دار الاتحاد العربي _ بيروت .
- أيام العرب في الجاهلية تأليف: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي الجاوي - المكتبة العصرية - بيروت - الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م
- الإيقاع في الشعر العربي _ عبدالرحمن الوجي _ دار الحصاد _ الطبعة الأولى ١٩٨٩م
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لـ عبدالمتعال الصعيدي _ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع _ الرياض _ الجزء الأول _ الطبعة ١٤٢٠هـ _ ١٩٩٩م

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

- البلاغة والأسلوبية د. محمد عبدالمطلب - دار نوبار للطباعة - القاهرة الطبعة الاولى ١٩٩٤م.
- البناء العروضي للقصيدة العربية د. محمد حماسه عبداللطيف - دار الشروق الطبعة الاولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م
- تاريخ الأدب العربي - حنا الفاخوري - المطبعة البولسية - الطبعة الثانية - بيروت - ١٩٥٣م .
- التجربة الشعرية بين الصدق الفني وصدق الواقع د. جهاد المحالسي - نشر جامعة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية ج ١٥ عدد ٢٧ - ١٤٢٤هـ -
- التحليل النفسي والأدب - جان بلامان نويل الطبعة الأولى ١٩٩٦م - منشورات عويدات - بيروت - لبنان
- التكيف النفسي د. مصطفى فهمي - مكتبة مصر دار الطباعة الحديثة
- جماليات المكان - غاستون بلاشر - ترجمة غالب هلسا - الطبعة الثانية - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان
- الخيال الشعري عند العرب . أبي القاسم الشابي - دائرة المعارف الإسلامية - مصر .
- دراسات في النص الشعري العصر العباسي للدكتور عبده بدوي الناشر - دار قباء للنشر - القاهرة
- دراسات منهجية في علم البديع د. محمد أوستيت الطبعة الاولى - دار خفاجي - ١٩٩٤م .
- ديوان الأعشى الكبير - ميمون بن قيس - شرح وتعليق د. محمد حسين المطبعة النموذجية .
- ديوان أبي فراس الحمداني رواية أبي عبدالله الحسين بن خالوية - دار صادر بيروت - لبنان الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م -
- ديوان أبي النجم العجلي - ا فضل بن قدامه - جمعه وشرحه وحققه د. محمد أديب عبدالواحد جمران مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
- الرثاء لجنة من أدباء الأقطار العربية - دار المعارف
- زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم تحقيق د. سامي الدهان طبعة أولى - دمشق - ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م
- الزمان في الفلسفة والعلم د. يحيى طريف الخولي - الهيئة المصرية ١٩٩٩م

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

- الزمن في الشعر الجاهلي الدكتور عبد العزيز شحاته - ١٩٩٥ م
- السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي د. واضح عبدالصمد
- المؤسسة الجامعية للنشر الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م
- السياسة المدنية للفارابي بيروت - لبنان - ١٩٩٨م. مطبعة دار المشرق
- السيرة النبوية لابن هشام حققها مصطفى السقا ، ابراهيم الأبياري وعبد الحميد شليبي - دار المعرفة بيروت-لبنان
- سيكولوجية الشك يوسف ميخائيل أسعد - دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٩٧ م
- سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والإتجاهات د. عبد الفتاح محمد دويدار - دار المعرفة الجامعية - الشطب - الطبعة ١٩٩٩ م
- الشخصية ونظرياتها - اختبارات وأساليب قياسها د. رمضان محمد القذافي منشورات الجامعة المفتوحة - دار الكتب الوطنية - بنغازي ١٩٩٣ م
- الشخصية السوية إعداد د. سيد عبدالحميد مرسي - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م دار التوفيق النموذجية للطباعة الأزهر - مصر
- شرح المعلقات السبع للحسين أحمد الزوزني - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .
- شرح ديوان أبي فراس الحمداني - خليل الدويهي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان الطبعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م -
- شرح ديوان المتنبي - عبدالرحمن البرقوقي - المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م
- شعر أبي فراس الحمداني دراسة فنية تأليف ماجدولين وجيه بسيسو طبعة أولى ١٤٠٩ - ١٩٨٨م
- الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني تأليف د. سعود محمود عبدالجابر جامعة قطر مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م بيروت لبنان
- الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين د. عبدالله بن ثقفان - دار التوبة - الرياض ١٩٩٦م

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وفنون العرب في كلامها _ أحمد بن فارس الرازي تحقيق الدكتور عمر فاروق _ مكتبة المعارف _ بيروت _ لبنان _ الطبعة الأولى.
- الصورة الأدبية في القرآن د. صلاح الدين عبدالنواب _ الشركة المصرية العالمية للنشر _ ١٩٩٥ م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب د. جابر عصفور المركز الثقافي الغربي _ الطبعة الثالثة ١٩٩٢ م.
- الصورة والبناء الشعري د. محمد حسن عبدالله _ دار المعارف _ القاهرة - ١٩٨١ م .
- الطبيعة في الشعر الجاهلي د. نوري حمود القيسي - الشركة المتحدة للتوزيع الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م
- الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول د . أنور عليان دار العلوم للنشر ١٤٠٣ هـ ٩٨٣ م
- الطلل في النص العربي - دراسة في الظاهرة الطللية مظهرًا للرؤية العربية - سعد حسن كموني - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م - المؤسسة الجامعية للنشر
- ظاهرة القلق في شعر يوسف عبد الطيف - محمد بشير إصدار نادى المنطقة الشرقية
- العامل النفسي ودوره في شعر الحرب عند المتنبي د. حسن محمد ربابعة _ مجلة المجمع العلمي العراقي _ المجلد السابع والأربعون _ الجزء الرابع _ ١٤٢١ هـ _ ٢٠٠٠ م
- العروض الواضح وعلم القافية د. محمد علي الهاشمي _ دار القلم _ دمشق _ الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ _ ١٩٩١ م
- العصر الأموي السياسي والحضاري د. إبراهيم زعرور والدكتور علي أحمد طبعة عام ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م مطبعة الاتحاد بدمشق
- علم العروض والقافية د. عبدالعزيز عتيق _ دار النهضة العربية للطباعة والنشر _ بيروت ١٤٠٧ هـ _ ١٩٧١ م.
- علم النفس الأسري - أحمد محمد مبارك - مكتبة الفلاح - الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
- العمدة في نقد الشعر _ أبو علي بن رشيق القيرواني _ شرح الدكتور عفيف _ دار صادر بيروت _ الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ _ ٢٠٠٣ م

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

- عيار الشعر _ محمد أحمد بن طباطبا العلوي _ شرح وتحقيق عباس عبدالستار _ دار الكتب العلمية _ بيروت _ لبنان الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
- الفروسية في الشعر الجاهلي نوري القيسي منشورات مكتبة النهضة - بغداد - الطبعة الأولى - ١٩٦٤م .
- فلسفة المكان في الشعر العربي - قراءة موضوعاتية جمالية - د. حبيب مونسي منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ٢٠٠١م
- في الشعر العباسي - فوزي عيسى - القاهرة - دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٨م .
- في الشعر العباسي الرؤية والفن د، عز الدين اسماعيل - المكتبة الأكاديمية - مصر - ١٩٩٤م .
- في النقد الأدبي د. شوقي ضيف _ الطبعة التاسعة _ دار المعارف .
- في طبيعة الانسان د. عبدالسلام عبدالغفار - دار النهضة العربية
- القائد سيف الدولة الحمداني لحمدان الكبيسي - دار الشؤون الثقافية العامة - الطبعة الأولى - ١٩٨٩م
- قضايا في الأدب والنقد رؤية عربية وقفه خليجية د. ماهر حسن فهمي - دار الثقافة قطر - الدوحة طبعة ١٩٨٦م
- قضية الزمن في الشعر العربي - الشباب والشيب - د. فاطمة محجوب دار المعارف
- قلق الموت _ سلسلة كتب ثقافية شهرية تصدرها المجلة الوطنية بالكويت د. أحمد محمد عبدالخالق ١٩٩٨م
- القومية في نظر الإسلام - محمد أحمد باشميل - بيروت - ١٩٦٠م طبعة أولى ٣٧٩هـ
- الكامل في التاريخ لابن الأثير : الجزء الأول - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان الطبعة الثالثة ١٩٦٨م
- كتاب الفروسية : ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي دار الأندلس - حائل - السعودية - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م تحقيق مشهور حسن بن سليمان

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

- لسانيات النص _ مدخل إلى انسجام الخطاب _ محمد خطابي _ المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى ١٩٩١م _ بيروت _ لبنان.
- اللغة بين القومية والعالمية د. إبراهيم أنيس دار المعارف سنة ١٩٧٠م .
- الليل في الشعر الجاهلي _ د إبراهيم محمد قاسم - مطبعة الإسلام الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
- ماهي القومية: ساطع الحصري - دار العلم للملايين - بيروت - طبعة أولى ١٩٥٩م
- محاضرات في المنطق د. ماهر عبد القادر محمد - دار المعرفة الجامعية
- مدخل إلى علم اللغة النصي تأليف فولفغانغ اهاتيه _ ديتر فيهفيجد ترجمة الدكتور فالح العجمي _ مطابع جامعة الملك سعود ١٤١٩هـ
- المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكيولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجاً زين الدين المختاري _ منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٨م.
- مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - لصفى الدين البغدادي _ مختصر معجم البلدان لياقوت تحقيق علي البجادي - دار الجليل - بيروت
- مسند الإمام أحمد بن حنبل - ابن حنبل (أبو عبدالله أحمد الشيباني) - مصر مؤسسة قرطبة
- مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسيه د. عبدالحليم حفني _ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٧م
- المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر _ عدنان حقي _ دار الرشيد _ دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ _ ١٩٨٧م
- مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ دراسة في مدلول الأمة في التراث العربي الإسلامي د. ناصيف نصار الطبعة الخامسة - دار الطليعة - بيروت
- مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق - د. قحطان أحمد الظاهر الطبعة الأولى ٢٠٠٤م - دار وائل للنشر والتوزيع - عمان - الأردن
- مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة د. محمد توفيق دراسة في ميتافيزيقا براولسي - الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية. طبعة عام ٢٠٠٣

الذات والآخر في روميّات أبي فراس الحمداني

- مقدمة ابن خلدون الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر المجلد الأول - مكتبة لبنان - بيروت ١٩٩٢م
- ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي د. صادق مكّي دار الفكر اللبناني بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٩٩١م
- المناظرات - فخر الدين الرازي - مؤسسة عز الدين للنشر - طبعة أولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
- المنطق والنحو الصوري د. طه عبدالرحمن - دار الطليعة - بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء - أبي الحسن حازم القرطاجني - تحقيق محمد الحبيب - دار الغرب الإسلامية.
- الموازنة بين الشعراء د. زكي مبارك - دار الجيل - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ص ٢٧٨
- موسيقى الشعر العربي - دراسة فنية وعروضية د. حسني عبدالجليل يوسف - دار نشر الهيئة المصرية ١٩٨٩م.
- موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس - مكتبة الانجلو المصرية - الطبعة الثانية ١٩٥٢م
- النرجسية - دراسة نفسية د. نيلا غرانرغر - ترجمة وجيه أسعد منشورات وزارة الثقافة - دمشق - سوريا ٢٠٠٠م
- نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي د. علي يونس - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م.
- النقد الأدبي الحديث - د. محمد غنيمي هلال - دار نهضة مصر ١٩٩٧م.
- النقد الأدبي الحديث - محمد غنيمي هلال - نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٩٧م.
- نقد الشعر - قدامه بن جعفر - تحقيق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
- نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع - دار الثقافة الإسلامية - الرياض - للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله
- الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية د. خليل نوري العاني - سلسلة دراسات إسلامية معاصرة - العراق - الطبعة الأولى ٢٠٠٩م

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

- وصف الخيل في الشعر الجاهلي د. كامل سلامة الدقس دار الكتب الثقافية الكويت الطبعة سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
- وفيات الأعيان ابن خلكان : أحمد بن يحيى الجزء الأول - القاهرة ١٨٨١ م
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان - تحقيق الدكتور إحسان عباس المجلد الثاني - بيروت - دار صادر الطبعة الأولى ١٩٧٧ م
- الوقوف على الأطلال - الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث - عزة حسن دمشق - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر تأليف أبي منصور الثعالبي النيسابوري شرح وتحقيق د. مفيد محمد الجزء الأول الطبعة الأولى ١٤٠٣-١٩٨٣ م دار الكتب العلمية - بيروت

المعاجم والموسوعات:

- الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمتعربين والمنتشرتين دار العلم للملايين- بيروت- خير الدين الزركلي- الطبعة الخامسة ١٩٨٠م
- لسان العرب أعد بناءه على الحرف الأول يوسف خياط ونديم مرعشلي- دار لسان العرب
- القاموس المحيط_ الفيروز أبادي - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان - الطبعة الأولى ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ
- المعجم الوسيط_ قام بإخراجه ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار- الطبعة الثانية- دار الدعوة اسطنبول- تركيا
- موسوعة علم النفس اعداد د.أسعد رزق مراجعة د. عبدالله عبدالدايم المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- الطبعة الثالثة ١٩٨٧م
- موسوعة شعراء العرب د. يحيى شامي الجزء الثاني دار الفكر العربي- بيروت
- موسوعة شعراء العصر العباسي د.عبدعون الروضان - دار أسامة للنشر والتوزيع
- المعجم الفلسفي - الدكتور جميل صليبا - الجزء الثاني - دار الكتاب اللبناني- ١٩٨٢ م
- معجم البلدان - الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي- المجلد الثاني دار صادر بيروت

الرسائل الجامعية :

- (مكانة العقل في فلسفة الجاحظ) أطروحة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة. للطالب عبدالمجيد الوزني عام ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ جامعة الجزائر
- الاتجاه الوجداني في شعر حسن عبدالله القرشي - رسالة ماجستير - مقدمه من يحيى أحمد الزهراني - جامعة أم القرى بمكة المكرمة
- البطل في شعر أبي فراس الحمداني ، دراسة موضوعية وفنية ، دراسة فنية درجة الماجستير ، عبد الرحمن صالح خميس ، عام ١٤٢٧هـ - جامعة أم القرى .
- دراسة أسلوبية في شعر أبي فراس الحمداني - رسالة ماجستير - تميل فتحى - جامعة النجاح الوطنية - ١٩٩٩ م
- رؤية المكان في روايات (يوسف السباعي) دراسة فيه - رسالة ماجستير - رضا السيد العشماوي - جامعه المنصورة - كلية الآداب - ٢٠١٠ م
- روميات أبي فراس الحمداني - دراسة جمالية - رسالة ماجستير - لفضيلة بن عيسى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م
- عدة الحرب في الشعر الجاهلي اعداد: ناهد جعفر - رسالة ماجستير قدمت للجامعة الأمريكية في بيروت حزيران ١٩٨٥م

المقالات والدوريات :

- المكان وجدانية الليل والنهار - مقالة - عمر العسري في ديوان (مساء في يدي) - الموقع الإلكتروني بني حر للثقافة والفكر و الأدب www.diwanAlarab.com يناير ٢٠٠٨
- المكان الهوية وهوية المكان - مقالة الكترونية - لصحيفة المدينة - العدد : ١٧٥-٨٩
- صورة العدو من ويكيبيديا - الموسوعة الحرة ص٧ تحت العنوان الإلكتروني www.wikipedia.com
- مقالة بعنوان الروم في شعر أبي فراس أسماء بعض الشخصيات البيزنطية في قضية الشاعر الفري أبو فراس (القرن العاشر) ل أدونتس وم. كانار ترجمة وليد الخشاب (كاتب من مصر) في الموقع الإلكتروني : www.nizwa.com
- ظاهرة التكرار في شعر عبدالرحمن العشماوي " ديوان عناقيد الضياء أمودجاً" د. علي بن محمد الحمود _ مجلة عالم الكتب.
- معاني شعر الغزل بين التقليد والتجديد في العصر المملوكي والعثماني أ.د نبيل أبوعلي _ مجلة الجامعة الإسلامية _ المجلد السابع عشر ٢٠٠٩ العدد الأول.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق د.نادية رمضان محمد النجار _ مجلة علوم اللغة _ المجلد التاسع العدد الثاني ٢٠٠٦
- الدلالة الشعرية _ مقالة _ د. عالي القرشي _ صحيفة عكاظ العدد ٣٥٠١.
- تكوين الهوية الفردية _ مقال _ د.توفيق السيف _ صحيفة عكاظ العدد ٢٨٦٤

الفهرس

رقم الصفحة	المحتوى
أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
ج	ملخص باللغة العربية
د	ملخص باللغة الإنجليزية
١	المقدمة
٣	التمهيد
١٠٤-٩	الفصل الأول : الذات
١٢	المبحث الأول : الذات الشخصية
٤٨-١٥	ألوان الذات
١٥	الذات غير الأكاديمية
١٨	الذات الاجتماعية
٣٥-١٨	الذات النفسية
٤٨-٣٥	الذات الأكاديمية
٤٣-٣٥	الثقافة اللغوية والتاريخية والدينية
٤٨-٤٣	الثقافة الحربية
٧٨-٤٩	المبحث الثاني : الذات الأسرية
٦٩-٥٠٠	علاقته بسيف الدولة

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

رقم الصفحة	المحتوى
٧٤-٧٠	علاقته بإخوته وأسرته بشكل عام
٧٨-٧٤	علاقته بوالدته
٩٠-٧٩	المبحث الثالث : الذات القومية
٨٤-٨١	التعريف بالقومية
٩٠-٨٤	مقومات القومية
١٠٤-٩١	المبحث الرابع : الذات الأممية
٩٥-٩٢	التعريف بالأممية
١٠٤-٩٥	أبعاد الأممية
١٧١-١٠٥	الفصل الثاني : الآخر
١٧١-١٠٥	المبحث الأول : المكان - الزمان - الإنسان
١٢٠-١٠٦	المكان
١٠٧-١٠٦	التعريف بالمكان
١١٤-١٠٧	المكان والطلل
١٢١-١١٤	المكان توظيفياً
١٤٠-١٢١	الزمان
١٢٢	مفهوم الزمن
١٢٣	أقسام الزمن في الروميات :
١٢٩-١٢٣	الزمن المتحول

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

رقم الصفحة	المحتوى
١٣٥-١٢٩	الزمن والطبيعية
١٤٠-١٣٥	الزمن والحيوان
١٤٦-١٤٠	الإنسان
١٤٣-١٤١	العلاقة مع العدو
١٤٦-١٤٣	العلاقة بالمرأة
١٥٧-١٤٧	المبحث الثاني
١٤٧١٥٧	صور الأسر
١٤٨	الجوانب النفسية والصور الجسدية في الأسر
١٤٦	الصورة الخارجية
١٥٠-١٤٩	الصورة المضمون
١٥٢-١٥٠	منزلة الأسير في الأسر
١٥١-١٥٠	الإذلال والتشفي
١٥٢-١٥١	حسن المعاملة
١٥٤-١٥٢	آلات الحرب
١٥٦-١٥٤	آلات الأسر وأمكنته
١٥٦-١٥٤	آلات الأسر
١٥٧-١٥٦	أمكنة الأسر
١٩٦-١٥٨	المبحث الثالث

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

رقم الصفحة	المحتوى
١٥٩	المناظرات الرومية
١٦٠-١٥٩	التعريف بالمناظرات
١٧١-١٦٠	المناظرات الرومية بين التحليل والتحقيق
١٦٥-١٦١	النص الأول
١٧١-١٦٦	النص الثاني
١٩٧-١٧٢	الفصل الثالث : تشكيل الروميات
١٨٦-١٧٢	المبحث الأول : السمات المعنوية التي شكلت القصائد
١٧٨-١٧٣	بناء القصيدة
١٧٩-١٧٨	التجربة الشعورية
١٨٠-١٧٩	صدق التجربة الفني
١٨١-١٨٠	صدق التجربة التاريخي
١٨٢-١٨١	صدق التجربة في الواقع
١٨٣-١٨٢	صدق التجربة الأخلاقي
١٨٥-١٨٣	تكرار المعاني
١٨٦-١٨٥	التجديد في المعاني
١٩٧-١٨٧	المبحث الثاني : المعجم الحربي
١٩٧	المبحث الثالث : العبارة بين الإيحاء والتوصيل
١٩٩-١٩٨	العبارة الشعرية الإيحائية

الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني

رقم الصفحة	المحتوى
٢١٠-٢٠٣	العبارة الشعرية المباشرة (التوصيل)
٢١١	المبحث الرابع : بناء القصيدة (الروابط اللغوية) الروابط المنطقية الروابط الشعورية ، الروابط الموسيقية
٢٢٠-٢١٢	الروابط اللغوية
٢٣٨-٢٢٠	الروابط المنطقية
٢٤٥-٢٣٨	الروابط الشعورية
٢٤٦-٢٤٦	الروابط الموسيقية
٣٥٧-٢٤٦	الإيقاع الوزني
٢٦٢ -٢٥٧	الإيقاع الداخلي
٢٦٤-٢٦٣	الخاتمة
٢٧٦-٢٦٥	المصادر والمراجع
٢٨١-٢٧٧	الفهرس